مبادرة

القراءة بالمجان

ليان للنشر والتوزيع

الكتاب: أهالي القاهرة الكرام/ قصص

الكاتب: مجموعة مؤلفين

رقم الإيداع: 2018/17153

ISBN: 978-977-800-088-7

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com

دار ليان للنشر والتوزيع

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

أهالي القاهرة الكرام

قصص

كُتّاب المعتكف الكتابي

ليان للنشر والتوزيع

إهداء إلى كل طامح جامح في سماء الأدب..

سلام عليكم حتى بلوغ الرضا أو التحقق..

السماء تُمطر الحلوى!

بقلم : رشا الشهابي

كان الازدحام المروري يسود شارع ٢٦ يوليو بالزمالك كالعادة مساءً، والسيارات تزحف رويدًا رويدًا بالطريق، وأمامي كانت سيارةٌ فارهةٌ سوداء تتحرك ببطءٍ، ثم انفرجت قليلًا انبعاجة الطريق فقامت السيارة السوداء بزيادة سرعتها بعض الشيء، وإذا بامرأةٍ تقارب الأربعين من العمر، وترتدي جلبابًا مزركشًا متواضعًا، ووشاحًا أسود على الرأس تركض خلف السيارة، ومع اقترابنا من إشارة مرور كان نورها مضاءً بالأخضر وتبدَّل للون الأحمر، توقفت السيارة التي كان زجاج السائق بها مفتوحًا واقتربت السيدة منه، ليدور حديث بينهما شاهدتُ أحداثه وعشت معها، وأنا أنتظر أن يعود ضوء الإشارة للأخضر مجددًا.

فقد اتضح لي أن السيدة كانت بائعة زهور، وأن مَن بالسيارة أخذ بوكيه ورد منها، ولم يكن قد دفع حسابه بعد؛ ولهذا كانت هي تُسابِق الريح كي تلحق به، وتبعت السيدة مجموعة من حوالي ست فتيات أعمارهن مختلفة، وكُبراهن لا يزيد سنها عن الخمسة عشر عامًا، يرتدين ملابس رثّة، ويحملن بوكيهات ورد أخرى، والتففن حول نفس السيارة من الناحيتين وبدا أنهن كُنَّ يتوسلن ويتوددن لمن بالسيارة كي يشتري المزيد..

لم أستطع تمييز إذا كان السائق رجلًا أم امرأة؛ ولكني استنتجت أنها امرأة

لسببين: أولهما أنه بدا لي أن المبلغ المدفوع لقاء الزهور فاق ثمنه بكثير، وذلك ما جعل هذا السرب من النحل يتقدَّم للالتصاق بشدّة بزجاج هذه السيارة بالذات.

فقد جرت العادة أن النساء هُن مَن يدفعن بسخاءٍ أكثر للباعة الجائلين؛ لتعاطفهن مع الشكل الخارجي المتواضع لهم.

والسبب الآخر والأهم، هو أن من بالسيارة ناول إحدى الفتيات نوعًا معينًا من البسكويت، ولم يكن ظاهرًا لي ماهيته، وحينها أضاء النور الأخضر لإشارة المرور، وبدأت السيارات بالتحرك فوجدت الفتاة التي بحوزتها البسكويت وتبلغ من العمر حوالي التسع سنوات، تلتفت إليّ وتنظر إلى البسكويت باحتقارٍ شديدٍ، وتلقيه بلا مبالاة ناحية سيارتي حتى نزل، واستقر فوق الزجاج الأمامي لها!

وبالنظر لما سقط عليَّ من السماء أدركت أن ما قذفته بالهواء كان بسكويت "ويفر لوكر"، أو Loacker"".

وتساءل عقلي باندهاشٍ شديدٍ: "كيف ترمي "اللوكر" العزيز الغالي بكل هذه السهولة؟! ذلك البسكويت الذي أصبحتُ أنا لا أشتريه إلا في المواسم والأعياد! ولكني عدت وفكرت أن ذلك لجهلها به، وأن مبلغ حلمها كان النقود، أو ربما وجبة تعرفها كساندويتش شاورما.. وحينها تأكدَتْ ظنوني بأن السائق امرأة؛ فمَن من الرجال سيخطر بباله أن يعطي بائعة زهور جائلة "بسكويت لوكر"؟!

والمهم أني كنت آنذاك قد بدأت تهدئة السرعة؛ بحثًا عن مكانٍ للركنة حتى وجهني سايس بالمنطقة لبقعةٍ مناسبة، وكان الرجل يحمل بيده كوبَ شاي ساخن، وبطرف عينيه لمح "اللوكر" على الزجاج؛ فتوقعت أن يطلبه مني ليتناوله مع الشاي، لذا أخذت أبتهل لله سرًا، ألا يفعل ذلك، وما إن أخرجت له

النقود مقابل الخدمة؛ حتى اختفى من أمامي فورًا، فبدا لي أنه لم يكن يعرف "اللوكر" هو الآخر؛ لذلك احتقره وتجاهله أيضًا، وحمدت الله على ذلك!

بعدها أخذت "اللوكر" ووضعته داخل أحشاء حقيبتي المنبعجة!

وفي نهاية اليوم عند عودتي للمنزل، كنت أبحث عن شاحن المحمول بالحقيبة، وبالصدفة لمست يدي "اللوكر" العائم ببحرها، فأخرجته منها وأخذت أتفقد تاريخ صلاحيته، وسلامة الورقة الخارجية له؛ محاولةً التأكد من أنه لا يوجد ما هو مُريبٌ بالأمر، ولكني اطمأننت أن كل شيءٍ بخير؛ فأدركت حينها أنه كان من نصيبي، وكي أتناوله كما أحب أعددت فنجانًا من القهوة، وقلبي يُحدثني بأن السماء يُمكن أن تُمطر الحلوى..!

جنة حلويات الشام

بقلم : رشا الشهابي

- أنا "مبرومة"، هذا هو اسمي. قالت وهي تبتسم، ثم أكملت وقالت:

وكنافة ملفوفة، هو اسمي الثاني، ألتف وأدور حول ذاتي، ومن ثَمّ أنتظرهم كي يملؤوني بالمكسراتِ، سواء الفستق، أو البندق، أو الفول السوداني، وبعد التسوية يغرقونني بالقِطر، وحسب الحشو يكون السعر، ولوني ذهبي كقرص الشمس.. ثم قاطعتها "الوربات" قائلة:

- كُفّي عن الحديث والاستخفاف، واتركي فرصةً للآخرين للكلام! وأكملت حديثها بحدةٍ وحزم وقالت:

- أما أنا فيمكنكم أن تنادوني باسمي التاني جلاش، أنا عجينةٌ مقطعة إلى مربعاتٍ صغيرة، ومكونة من عدة طبقات، وبعد أن يملؤوني بالقشدة يطوّنَ ورقاتي وأُصبِح مثلثات، وفي النهاية بعد احمرار وجهي، يسقوونني أيضًا بالقِطر، ولكني بالتأكيد أفضل من تلك المبرومة في الطعم! وشهقت حينها المبرومة وتبرّمت، وبحنقٍ تساءلت:

- ما هذا الذي تقولين؟! أأنت تهذين؟! من قال إنك الأفضل يا بومة؟! ثم صرخ فيهم المعمول وقال:

- هششش! اهدأن قليلًا أيتها المزعجات! ألا تكُفّفن أبدًا عن الشجار والمنازعات!! ثم أكمل المنقوش وقال:

- أما أنا فالمعمول، وقبل أن تسألوا، لست أنا مثل الكعك بالسكر، أعرف

أنني أشبهه بالشكل، ولكن وجهي لا يُزين بالسكر، ومحشوٌ أنا من الداخل بالتمر، وكذلك عجينتنا مختلفةٌ بعض الشيء، ولكن لا بأس من خلط الأسماء؛ فنحن أسرةٌ مترابطة ولا تهمنا الألقاب، أما هذا البسكويت الصامت رغمًا عنه فهو برازق؛ إنه من المقرمشات دائريةُ الشكل، مغطى بالكامل بالسمسم، تغمر الحبوب الذهبية وجهه وفاهه فتعرقل حركة لسانه؛ لذلك يؤثر السكوت عن أن يسخر الآخرون من كلامه.

ومعنا أيضًا بسبوسة، وبقلاوة، وكنافة بالقشدة، ولكنها تترفع عن الحديث والثرثرة، وتعد نفسها فوق الجميع؛ لأنها الأشهر بيننا، ولكن لا يهُم فإن الأحوال لا تدوم والأيام متغيرة!

وكلنا هنا حلوياتٌ شامية صنعنا صاحبنا السوري، وخبزَنَا بهذا المحل في هذه الأرض الجديدة التي جاء قريبًا للاستقرار بها، وقد سافر معه أهلونا من الوصفات من قبل، وجابوا معه حول العالم الكثير من البلاد، ولكن السفرة كانت بالماضي بناءً على الرغبات لا فرارًا من مصائر مجهولة، أو خوفًا من القصف والضربات!

وأنا لا أعرف لِمَن نوجه الحديث كل ليلة؛ ففي جميع الأحوال لا يوجد منصتون، ولكننا نُنَفِّسُ عما بصدورنا كي لا نختنق صامتين..

فالمرار يملؤنا من الحزن على صاحبنا، لكننا مثله صامدون!

ونعرف أن فراق الأرض يؤلمه، وهو بالقلب حامله، ومع ذلك مثله نحن قادرون أن نُسعِد مَن حولنا بالحلو الذي يخرج منا، مع أننا بالأصل مثله: متألمون..!

وفجأة سمعَتْ الحلويات صوت صاحب المحل يقترب ليفتح المكان، وبسرعةٍ فائقةٍ هرعت إلى أماكنها والتزمت الأدب والصمت، ودسّت نفسها وسط أطباقها من جديد، ومثّلت أنها عادت جامدة!

مسافر

بقلم : رشا الشهابي

ظلامٌ دامس تتلألأ في سمائه نجومٌ مضيئة تبدو في هيئتها مثل الأصداف المشعة، ولكن ليس في الماء وإنما في السماء، اهتديت بأنوارها إلى صوتٍ شجيٍّ يصدحّ وسط الجبال الشاهقة والصحراء القاحلة؛ فجلست هنالك بذلك المكان عنده حيث سمعته يغني بإحساسٍ أثار بداخلي الأحزان والشجون كلماتٍ كانت تقول:

"القمر مسافر، والسهر مسافر، والفرحة مسافرة.. حتى الحزن سافر وكلنا مسافرين"

وظل يكمل غناء مواله الحزين، وقطرات الندى تسقط خلسةً من مقلتي عينيَّ رافضةً الخضوع لضعفي كالمعتاد، وأيقظني من غفوتي صوتٌ يناديني بحنوٍ ورِقَّةٍ؛ فتنبهت أن حلمي قد انتهى، وأن صباحًا قد أتى ففتحت عينيَّ، ووجدت أمامي لوحةً جدارية لم أستطع بالبداية تمييز المكتوب عليها، فتحركت من مكاني ودنوت منها لمسافةٍ أقرب، فوجدت المدونُ عليها يقول:

إن هول الموت وهمٌ ينثني طي الصدور

فالذي عاش ربيعًا كالذي عاش الدهور

فارتسمت على وجهي ابتسامة صافية تحمل في قسماتها الرضا والسكون، وفجأة لطمتني موجةٌ عاليةٌ أثناء جلستي على البحر؛ فانبتهت لكل ما حولي فلم أجد لا صحراء ولا لوحة! وإنما وجدتني أرقد على شطٍّ بحرٍ هادئ وسط الرمال الذهبية، وتلفح وجهي نسمات من الهواء البارد، ومن بعيد رأيت طيفًا لوجوهٍ تضحك، لا أعرف بالتحديد أصحابها ولكن بدا لي أنها كانت مجموعةٌ تستمتع بربيعٍ من عمرها أثناء رحلة سفر..

دماء بالدور الثاني!

بقلم : رشا الشهابي

كان يومًا عاديًا داخل أروقة المشفى، ولكن بآخر النهار وأنا داخل غرفتي شعرت أن هناك فوضى أكثر من المعتادة بدأت تعج خارج حدود جدرانها، أصوات صراخٍ تتعالى وتتردد بشكلٍ متكرِّرٍ، وخطوات أقدامٍ لأُناسٍ تهرع في جميع الاتجاهات هنا وهناك، ولأن الجو العام بالمشفى عادةً ما يملأه الضجيج؛ فلم أعر الأمر اهتمامًا وتصورت أن حالاتٍ حرجةً متعددة وصلت إلى المكان جُملةً واحدة، فلم أبرح مكاني وظللت ماكثًا بغرفتي في وقت راحتي بعد عناء يومٍ طويل مع الحالات والمرضى..

وفجأة داهمني "كيڤن" زميلي بفتح باب الغرفة سريعًا ومناداتي قائلًا:

- چون! چون انهض سريعًا! هناك أمرٌ مفزع يجري بالخارج! ألم أقل لك إن هناك سرًا دفينًا وراء تلك الغرفة المغلقة؟!

نهضت فزعًا وسألته عما يجري فأجابني وهو يرتعد:

- إن "مخلوقة غريبة" شوهدت وهي تخرج من باب الغرفة السرية، تلك الغرفة التي لا يدخلها سوى كبير أطباء المشفى دكتور روبرت، وثلاثة أطباء

آخرين لا يعملون بالمكان، وإنما يأتون معه في زياراتٍ دورية أسبوعية لهذه الغرفة فقط، ويرحلون جميعًا بعد عدة ساعات، وعاملة نظافة عجوز لا تتكلم وبالكاد تُبصر بعينيها.. سألته بارتيابٍ:

- ماذا يقصد بـ "مخلوقةٌ غريبة"؟! فأجابني وقال:

- يجب أن ترى بنفسك!

قمت من مكاني مسرعًا وتحركت مع كيڤن؛ لأري بعيني الكارثة التي يبدو أنها حلَّت بالمكان، وما إن خرجنا من غرفتي حتى رأينا مخلوقةً مخيفةً تركض بالمكان وتصرخ، يبدو من هيئتها أنها امرأة، ولكنها تحولت إلى مسخٍ مقيت الشكل! فحاجباها كانا مختفين بالكامل من وجهها، وأسنانها لم تكن مثل الأسنان العادية للبشر، وإنما كانت مدببةً مثل أسنانِ فكٍ مفترسٍ، والدم يقطر منها بغزارةٍ كبيرة، وكان شعرها قصيراً غير متساوي الأطراف وبدا وكأن أجزاءً منه تساقطت، ولم يعد إلا القليل المتناثر على فروة رأسها، وكان لون بشرتها أبيضَ شاحبًا مثل الموتى! كانت تجري بالرواق مثل حيوانٍ هائجٍ، والكل خائفٌ من الاقتراب منها بسبب تصرفاتها المضطربة المجنونة، وشكلها غير المألوف!

وفجأة هدَّأت المخلوقة نحيلة الجسد خطاها مع اقترابها نحوي، ونظرت بعينيَّ وحملقت فيهما، ثم همست في أذني بنبرة صوتٍ منخفضة مبحوحة مثل، فحيح الثعابين وقالت:

- رووبرت... تجارب... رووبرت!

ثم راحت تركض مسرعةً بالمكان مجددًا، والدم يلطخ الأرض حيثما كانت تخطو بقدميها!

نظر كيڤن إليَّ وهو يرتعش وسألني:

- ماذا قالت لك؟!

فأجبته:

- إنها تسأل عن دكتور روبرت!

وفي تلك اللحظة ظهر روبرت، وبصحبته اثنان من ممرضي المشفى قويي البنّية، وأمرهما بالإمساك بالمخلوقة بأية طريقة ممكنة، وبالفعل استطاعا اللحاق بها، والقبض عليها بعد أن قاومتهما بصراخها وصياحها طويلًا..

نظرت نحو روبرت وهو يقف بعيدًا يراقب ما يحدث ورآني هو، وأنا أنظر نحوه محاولًا استفهام ما الذي فعله كي يُحوّل امرأةً من البشر إلى وحشٍ كريهٍ مثل هذا!

ووجدته يشير إليّ كي ألحق به إلى الغرفة التي احتجزوا بها المخلوقة المرعبة، وهناك وجدت الممرضَيْن قد قاما بتوثيق يديها وساقيها إلى السرير، وأمرني روبرت أن أحقنها بمادةٍ مُخدِّرةٍ كي تخمد قواها وتهدأ.. ولأنني كنتُ طبيبًا شابًا حديث التخرج وتسلمت عملي بهذا المكان منذ مدةٍ قصيرة؛ فلم أتجرأ على معارضته فيما طلب، وامتثلت لأوامره دون أن أنطق بكلمةٍ واحدة.

وقبل أن أضع المحقنة في ذراعها، نظرت إلى المخلوقة الثائرة وصرخت بوجهي وقالت:

- اقتلني!

رفعت عينيَّ ونظرت لروبرت بعينين حمراوين ويدين ترتجفان؛ محاولًا استيعاب ما يجري!

فصاح بوجهي قائلًا بلهجةٍ آمرة:

- احقنها فورًا! ماذا تنتظر؟!

حقنتها مذعورًا، وأنا أتصبب عرقًا وقد مرّت عليَّ هذه اللحظات كدهرٍ من الزمان!

وبعد أن قضيت ليلتي في المنزل أحلم بالكوابيس المفزعة من جراء ما حدثَ، نهضت باكرًا وذهبت للمشفى وأول ما توجهت إليه، كانت الغرفة التي تركت بها المخلوقة الغريبة كي أُلقي نظرةً عليها ولكني لم أجدها بها؛ فأخذت أبحث عن دكتور روبرت لأسأله عن مصيرها، فوجدته يقف أمام باب الغرفة السرية هو والثلاثة أطباء الزائرون الذين يأتون فقط للمتابعة الدورية على هذه الغرفة، وكان هناك مجموعة من الممرضين ينقلون منها في صمت جثثًا مغطاة بالكامل بملاءاتٍ بيضاء على ناقلات خارج مبنى المشفى. فسألت دكتور روبرت بانفعالٍ:

- ما الذي يجري؟ وأين ذهبَتْ المخلوقة؟!

فأجابني وقال بلهجةٍ صارمة:

- ليس من شأنك!

ولأن ذلك كان منذ زمن طويل، ولم تكن الهواتف الجوالة قد ظهرت على الساحة؛ فلم أستطع تصوير كل ما حدثَ..

وأُغلق الدور الذي يحوي الغرفة السرّية بأكمله منذ ذلك الحين، وكُتب عليه ممنوع الاقتراب..

ومُنع على أيِّ أحدٍ من العاملين بالمشفى التحدث إطلاقًا عن ذلك اليوم وما حدث فيه وإلا كان مصيره الفصل.

وبعد أن انتهى جدي من رواية هذه القصة عن المشفى بعدما علمَ بتعييني

بها مؤخرًا، سألته وفي أي دورٍ كانت توجد تلك الغرفة السرّية فأجابني وقال:

- إنها بالدور الثاني، ولأن جدي كثيراً ما يهذي بسبب أمراض الشيخوخة، وتقدُّم العمر، ويروي حكاياتٍ خرافية عن أشياء لم تحدث وأناسٌ لم تعد على قيد الحياة، تجاهلت الأمر برمته، وفي اليوم التالي ذهبت لأستقل المصعد في المشفى؛ كي أصعد إلى الدور الرابع الذي به نوبات عملي، ولكني وجدت نفسي أضغط على زر الدور الثاني؛ فلم يستجب المصعد، فكررت المحاولة ولم يتغير شيء، وعلمت بعد ذلك من أحد الزملاء، أن المصعد مبرمجٌ على ألا يقف بالدور الثاني لسببٍ لا يعلمه أحد.

رسائل مكتومة!

بقلم : رشا الشهابي

أنا الخشب اليائس البائس الممد هناك على أرضية الغرفة..

اشتقت لرائحة المسك التي كانت تفوح من كعبيّ قدميها، ولا أعرف أين اختفت..؟

ولِمَ لمْ يعد كعباها يطآن سطحي، كما كانا يفعلان في السابق؟!

في البداية تخيلت أن غيابها لرحلة سفرٍ مؤقتة، ولكن بعد أن طال الأمدّ ولم تَعُد، نفد صبري، وأخذت التساؤلات تحيرني والحزن يكتنفني، يفتك بي وبأحشائي..

هل أغضبتها يومًا دون قصدٍ منِّي؟ ولكن كيف أُغضبها؟ وأنا المكبل بمكاني وكل ما أفعله، هو الاستماع لها في كل حالاتها؛ تاركًا لها العنان تفعل بي ما يحلو لها! راضخًا لضرباتٍ عنيفةٍ من قدمها حين تغضب؛ فتصفعني بها! وهانئًا حين تلمسني أنامل قدمها برقة الفراشة، عندما تطير فرحًا من السعادة! فكل ما أهمّني بالأمر هو راحتها وسكونها فكيف إذًا تهجرني؟! وهي مَن كانت

بأيامٍ من عمرها تعطر وجهي بمسحاتٍ من أزهار اللافندر والليمون والصنوبر والياسمين ليطيب مرقدي!

والآن أحيانًا يقوم غيرها بمسح العطر علي وجهي، ولكنه أبدًا ليس كمثل الذي كان ينهمر من كفيها! أفتقدها هي بالروح المُشعة التي كانت تنبعث منها، فتضيء أركان المكان في أشد الأيام عتمة!

أعرف أنني أنتمي لعالمٍ آخر غير عالمها، وليس لي قلبٌ يماثل قلبها الشفاف، ولكنها استطاعت دون أدنى مجهودٍ منها أن تخترق العادات الكونية وتجعلني أشتاق إليها! ولكني لم أدرك ذلك إلا حينما تمزقتُ وتفتتُ إلى إشلاءٍ، وحُطام بعد فراقها!!

فالهالة التي كانت تنسكب منها على أي مكانٍ حلّت به، كانت كفيلةً بأن تملأه سكينةً وراحةً وأمانًا، والآن تلك الحالة السحرية من المجرة اختفت!

وبالرغم من كل ما كانت تنشره من بهاءٍ في الأنحاء إلا أنها لم تنسب نفسها لعالم الملائكة؛ بل كانت متشبثةً بكونها واحدٍ من بشر يحمل في طيات وجوده بعض الذنوب والخطايا، ولعل ذلك كان سر الجمال الكامن فيها، في أنها كانت مُتسقةً مع ذاتها فانبسط الكون بحضرتها؛ لأنها لم تحاول أن تتظاهر بحقيقةٍ أُخرى عمن تكون، ولكن أيرضيها الفراق وتركي لكل هذا العذاب؟!

- تُري إلى أين ذهبت؟ وهل سيظل لهيب الألم يخرج من جنباتي اليوم تلو الآخر بلا نهاية؛ حتي أصير هشيمًا وسرابًا؟!

وبرغم كل الغموض للوضع الراهن إلا أني أظل ألتمس الأعذار لبُعدها، فهي الوحيدة التي جذبت انتباهي؛ لكي أفتح مسامعي ومسامي؛ لأصغى لها وأتشرب من كلماتها العذبة الرقراقة، فالآن رغم كل مَن يجيء، ويتجول بهذه

الغرفة التي أنا ولدت بها فلا أجدني أستمع لمن دونها!

- فالصمّم يصيبني يا سيدتي كلما بعدتِ أو رحلتِ! ويا ليتني أجد من السبل ما يعيدك إليّ مجددًا، أو أعثر على ترياقٍ يُهدئ زئير أنيني المستمر! فحالي أصبح يُرثى له، وحنيني إليكِ يؤلمني، ولا أستطيع الصراخ! وجُلّ ما أستطيع فعله هو الذوبان والانتظار؛ آملًا في يومٍ للرجوع، أو يومٍ أتصالح فيه مع الأقدار..!

وأنا هي الراحلة...!

منعني عنكَ وجودي بعالمٍ آخر رحلت إليه دون سابق إنذار، صعدت روحي إليه فجأة، فلم تسنح لي الفرصة بوداعك أنت والكثيرين الوداع الأخير..!

فأتمنى منك في ذلك أن تعذرني؛ لأني لم أهجرك بإرادتي، ولم يكن الرحيل اختيارًا، ولكن كان سُنةً حياتية لا بُدَّ لي من اتباعها دون أن أتخذ فيها قرارًا، وأعرف أنك الآن لا تسمعني ليصلك مني هذا الاعتذار، ولكني أقدمه لك على أية حالٍ؛ فذبذبات أنينك تصلني عبر الموجات برغم مرور وقتٍ طويل على الفراق.. فكلُّ من أتوا بعدي أشاعوا أمامك خبر مغادرتي هذه الأرض، أما أنت فتسد أذنيك، وتأبى السماع؛ فتظل الحيرة تأكل من روحك، وتمرضك، وتفعل ذلك؛ رهبةً من التيقن من حقيقة أني ذهبت بلا عودة، وأنك لن تراني مجددًا أبدًا؛ فيكون ذلك عذابًا آخر أكبر وأعمق لك، وأشفق عليك من كل ما تمر به ولا سبيل لي في إعطائك أملًا تتشبث به لعلاج كل ما يحتويك؛ ولكني لم أكن على علمٍ أنك تعلقت بي إلى هذا الحد..!

وربما علمي بالأمر لم يكن ليُغيِّر بالأمور شيئًا؛ لأننا من عالمين مختلفين، ولكن معرفتي لمقدار غلاوتي لديك أذهلني! فروحك بدت أرق من بشرٍ لم تعرف قلوبهم سوى الغدر، وأستغرب أن تكون أنت بما فيك أكثر وفاءً في الطبع!

ويدهشني أنك لم تنسَ عطوري وعاداتي، وكيف أهمَّتك راحتي وسعادتي،

رغم أن ذلك كله كان أقل ما يشغل بال الموجودين بحياتي؟!

ولم يكن عقلي ليصدق أبدًا لو كانوا أخبروه أن الأشياء الجامدة تتألم في غياب صاحبها، وتفتقد أنفاسه ولمساته وحركاته، وكنت سأسخر من ذلك كله، ولكن بعد أن عرفت رسائلك المكتومة أدركت أن هناك بعض الأمور حساباتها خارج حسابات المنطق..!

فطوال حياتي ما كنت سأعرف أبدًا قدر ارتباطك بي لهذا الحد، وإنما كان لا بُدَّ لرحيل روحي من جسدي؛ لأكتشف ماكان من الأمور يخفي عني..

فَقَدَرُنا الغريب أننا أحيانًا لا نعرف أن غيرنا أحبَّنا سوى بعد أن نغيب تمامًا عن الحياة..!

فهل هذا نفسه يحمل الكثير من المنطق في طياته ومحتواه؟!

جينز م ق ط ع

بقلم : صلاح عبدالله

وضع يوسف هاتفه المحمول على الكرسي المجاور له في عصبية، بعد أن أنهى المكالمة مع زوجته، وسبب عصبيته أنها طلبت منه - كالعادة- طلبًا غير متوقع وعكس اتجاه سيره تمامًا، بعد يوم طويل في العمل، وإجهاد القيادة في شوارع القاهرة المزدحمة، عدل مساره وتمتم وكأنه يحدث سيارته:

- هيَّا بنا يا عزيزتي، لدينا مهمة لننجزها. فاستسلم للقيادة، وفتح زجاج السيارة حتى آخره ليتنسم هواء الربيع اللطيف.

كان يسير بسرعة متوازنة وخصوصًا بعدما حلَّ المساء وبنظرة سريعة على تابلوه السيارة؛ إذ الوقت قد أوشك على العاشرة، وكان قد تجاوز الشارع الرئيسي المؤدي للمقطم، وقد اقترب من وجهته في أحد الشوارع الخلفية هناك، والذي يكاد ينتهي عندها العمار، ولا يتبقى غير حافة الهضبة، زاد من حرصه ورفع درجة انتباهه وتركيزه، وقوة ملاحظته؛ تحسبًا لأي طارئ، أو ما لا يحمد عقباه..

عجبًا..!! ما هذا؟ ارتاب يوسف من سيارتين تقفان خلف بعضهما بمسافة

بسيطة على الجانب الآخر من الطريق بشكل لم يُشعره بالارتياح، فزاد من تركيزه ليتحقق من الأمر؛ فلفت انتباهه أن إطار السيارة الأمامية فارغٌ من الهواء، وتجلس خلف عجلة القيادة فتاة جميلة الملامح، تتحدث في هاتفها؛ فمر بجوارها ولم يقف، فوصل للسيارة التي تقبع خلفها فوجد فيها شابًا يحدق فيه بالتبعية، فآثر يوسف أن يمضي ويدع تلك المغامرة التي طرأت على باله مع ما شابها من وساوس، فالفتاة جميلة قد فرغ إطار سيارتها، فما يلبث شهم أن يعرض مساعدته؛ فينقض عليه شريكها الذي ينتظر اللحظة المناسبة ويتم الفتك به، أو السطو على سيارته. إنها خدعة قديمة!

ولكن ما لبث وقد ساوره الشك أن يكون مخطئًا؛ فمِن المؤكد أنه لم يغير طريقه عبثًا.. حتمًا هناك حكمة في تصاريف القدر، فأدار عجلة القيادة مرة أخرى..

- مساء الخير، أي مساعدة؟

- أشكرك، أنا كلمت مامتي وزمانها جاية.

- يعني مفيش أخ أو صديق، إنما ماما صعب تغيَّر عجلة.

- الحقيقة مفيش بس هي هتتصرف.

- لو تسمحي أنا أساعدك لحد ما ماما تيجي.

- مش عاوزه أتعبك.

- العفو دي حاجة سهلة.. بس مش قوي. أول حاجة بطلي العربية، وارفعي فرامل اليد.

وبكل تلقائية توجهتُ إلى شنطة العربية، وأخرجت شنطة العدة وعدتُ للإطار الفارغ، وجلستُ على ركبتي، وبدأتُ خطوات تغيير الإطار، في نفس اللحظة التي قامت فيها الفتاة بفتح باب السيارة، خرجت تكاد تلمسني فرفعت رأسي لأتبين خطوتها، ملامحها جميلة وعطرها رقيق، ترتدي قميصًا

أبيض وبنطالاً من الجينز مقطوعًا من أسفله إلى أعلاه، يستر ويشف، يخاطب الفطرة ويثير الفضول، والمفترض أنه آخر صيحة، غضضت بصري وتنحنحت، وطلبت منها الابتعاد حتى لا تتأذى من أدوات الرفع والتغيير، ومن خلف ظهري سمعت صوت شاب يعرض المساعدة؛ فالتفت إليه وجدته من كان يجلس في السيارة الخلفية، وقد استطرد شارحًا وهو يساعدني -وبدون أن أسأله- قائلاً:

- الصراحة خُفت تكون نمرة ويحصل حاجة وحشة.

فطمأنتُه وابتسمت في هدوء.

وقمنا سويًا بتبديل الإطار للجميلة ذات الجينز المقطع، التي كسا وجهها كل علامات الاطمئنان والسعادة، ولما جاءت والدتها شكرتنا وانصرفنا جميعًا في هدوء.

حورية

بقلم : شروق كمال

عبثًا، كانت تحاول أن تطفئ الضجيج الذي اشتعل في عقلها، وبلا جدوى كانت تحاول أن تغلق ثقوب الوَجَع في روحها قبل أن يتسلل إلى قلبها المنهك. أخذت تحدِّق في سلسلة المفاتيح الملقاة أمامها، كل هذه المفاتيح لأبواب لا تهتم حقًّا بفتحها، كل هذه المفاتيح لأبواب لا تملكها فعلاً! انتزعتها من على المنضدة وأحكمت قبضتها عليها، وسارت بخطى متسارعة نحو الباب، كطائر أخافته نسمات الحرية فارتعد منه الجناح.. وقفت بعد أن أغلقت خلفها الباب، وجدت نفسها خلف مقود السيارة بلا بوصلة لاتجاهات ذاتها، كأنها تركت ذاتها هناك على الكرسي وغادرت كشبَحٍ بلا هوية! قادت لساعاتٍ قبل أن تلفحها نسمات مالحة، شعرت بجفاف حلقها يتوغل في ذرات جسمها البارد، نظرت ذاهلةً وتسلَّلت ابتسامة خافتة إلى قسمات وجهها المنهك، ترجَّلت من سيارتها وسارت بخطى هادئة متثاقلة.

- وحدك تعرفني، تربت على وجعي..

وبدا صوت البحر الهادر، كأنه يحتضن صوتَها يختصر المسافات التي يصنعها هذا السور الأسمنتي القصير. لا تدري كم مر من الوقت وهي تحدق في

زُرقة البحر، وأمواجه المتلاطمة على الصخور المستسلمة لجلد الأمواج؟! كانت الدموع تنساب على وجنتيها وقلبها يرتعد ألمًا في دقات تمردت على صدرها، مدَّت يديها في محاولة يائسة لملامسة الموج، تسلقت السور برشاقة جسدها النحيل، وهبطت بحذرٍ على إحدى الصخور، عندها أحست بيدٍ تجذبها بعنفٍ إلى الوراء!

- ماذا تفعلين؟

- هل أنتِ هي؟ نفس المجنونة؟!

نظرت إليه في ذهولٍ..

- أنا فقط أريد أن أجلس على الصخور، أردت أن أقترب قليلاً من البحر.

نظر لها في توجس:

- بملابس النوم؟!

نظرت لنفسها في ذهولٍ! فأحكمت بسرعة رباط الروب الذي يخفي تحته بيجاما عليها رسومات طفولية، وشبشب المنزل لا يساعدها في الثبات على لزوجة الصخور تحت قدميها ابتلعت ريقها، وأخفضت رأسها وأجهشت في البكاء.

اقترب منها الرجل، وقرَّب لها منديلًا:

- تشبهينها! ولكن لا هي كانت أطول قليلًا وربما أكثر إحباطًا!

رفعت إليه عينين دامعتين:

- عمَّن تتكلم؟

زفر زفرةً طويلةً، وغمغم قائلًا:

- يبدو أنكن جميعًا تحملن نفس الملامح، جريمة إحباط مكتملة الأركان، والجاني هو الضحية.

كان جسدها النحيل يرتعد عندما أعلنت قدماها استسلامها أمام وطأة كلماته، فجلست على الصخرة وهو ما زال ممسكًا بيديها، حاولت أن تسحب كفها من قبضة يده، ولكنه أحكم قبضته عليها.

- البحر اليوم يبدو ثائرًا أكثرمن المعتاد، وبرودة الماء لا تشجع بأن ألقي بنفسي خلفك يا فتاة.

زمت شفتين جافتين:

- لن ألقي بنفسي في البحر، فقط أحتاج بعض الوقت أمام البحر وحدي.

خفف قليلًا من قبضته، وجلس بجانبها متأملًا وجهها الذابل ويديها المرتعشتين. نظرت له، وقد قطبت جبينها فالتقت عيناها "اللتان أحالتهما أشرعة الشمس، إلى نهرين من العسل الرائق" بعينيه السوداوين كالليل، فانسلت إلى وجهه ابتسامة رائقة خففت من حدة كهرباء الغضب التي تسري بينهما، وأطلق سراح يدها.

- هل تسمحين لي أن أجلس بجوارك؟ لن أتكلم، اعتبريني شبحَ هواءٍ، لا أحد.

ابتسمت قائلة:

- حسنًا أيها اللا أحد!

مسحت وجهها من رذاذ البحر، الذي يبدو كأنه يغسل أحزانها، ويمزج ماءه بدموعها.

جاءها صوته هامسًا:

- هل تعدينني إذا تركتك للحظات؛ لآتي لك بماء، ألّا تلقي بنفسك في أحضان الموج؟ لا تبدو فكرة جيدة أن تموتي عطشى!

نظرت إليه بغضبٍ من جديدٍ:

- كم مرة علي أن أقول إنني لا أنتوي الانتحار يا سيدي!

عاجلها قائلًا:

- انتحار! مَن قال انتحار؟ ولكنني أدرك روح حوريات البحر حين أرى إحداهن، ولا آمن أن يلقي عليك البحر تعويذته، فتعودين لهيئتك الحقيقية، ويناديك هدير الأمواج، فتلبين النداء!

تعالت ضحكتها للمرة الأولى منذ أشهر، وضعت يدها على فمها، وكأنها تخجل من أن تفرح، كأن السعادة لا تليق بها.

أمسك بصَدفَة بجواره ووضعها في كفها:

- أتعدينني؟ سأترك لك هذه الصدفة أمانة تعيدينها إليَّ حين عودتي، لا تجعليني أحزن على ضياعها.

أومأت بالموافقة

فقام مسرعًا وقفز من السور إلى الشارع، وهو يتلفت كل بضع خطوات ليطمئن أنها ما زالت هناك.

كانت أنفاسها الهادئة تتناغم مع الموج، حتى لا تدري أهذا هديره أم رجع أنفاسها في صدرها؟! وعيناها تسرحان إلى حيث يلتقي الأفق بالبحر.. فلا تدري، مَن فيهما أخذ زُرقتَه من الآخر؟ والشمس ترتفع في السماء وقد تعالت الأصوات خلفها بالمارة، وأبواق السيارات. كانت وكأنها تذوب في تلك اللوحة الصاخبة وتتلاشى في ذرات الهواء، وكأنها اتّحدت مع الصخور من حولها.

- حورية..

هكذا ناداها وهو يجلس من جديد بجانبها.

هزت رأسها:

- اسمي ليس حورية.

ابتسم في خجلٍ:

- هذا ليس اسمًا، هذه صفة.

ناولها زجاجة المياه، وكيسًا به بعض الشطائر والحلوى.

التفتت إليه متسائلة بطفولة ابتسامتها.

- هذا غذاء الحوريات؟! ظننت أنهن لا يأكلن مثل الآدميات.

فهمس لها بعد أن أدار وجهه يمنة ويسرة، كأنه يريد أن يفضي إليها بسِرٍّ خطيرٍ:

- لا بُدَّ أن نوهم من حولنا أنك امرأة عادية، لا يمكن أن يدرك أحدٌ حقيقتك. لن تحتمل عقولهم الصغيرة أنَّ حورية حقيقية ظهرت على صخورِ هذا الشاطئ!

نظرت له باهتمامٍ شديدٍ ثم أغرقت في الضحك.

أكلت كأنها لم تأكل منذ أيامٍ، أم كانت هذه حقيقة!

كان يراقبها، وملامح الرضا تكسو وجهه الأسمر وملامحه الهادئة.

ابتسمت متسائلة، وقد بدت أكثر هدوءًا وراحة:

- مَن تكون هذه الفتاة التي ظننتني هي؟

أشاح بوجهه إلى البحر وأغمض عينيه، كأنما يستدعي صورتها من ذاكرته، ثم استطرد قائلًا بعد أن خيم الحزن على قسمات صوته:

- منذ أكثر من عامين كنت في طريقي إلى عملي، تمامًا كاليوم، عندما لمحتها تقف على هذه الصخور، وكنت على الجانب الآخر من الطريق، لفت انتباهي أنها تمد يديها للبحر وكانت.. التفت إليها كانت تلبس ملابس البيت.

احمرَّ وجهها خجلاً!

فأكمل قائلاً:

- عبرتُ الطريق بسرعة، وفي لمح البصر كنتُ أناديها..

فالتفتت إليَّ صارخة وعلا نحيبها أن أتركها وشأنها.. كنت مرتعدًا لا أدري ماذا أفعل؟ وهي ترجوني أن لا أتبعها ولا أحاول إنقاذها، كانت عيناها عسليتان تمامًا كعينيك، كانتا كنافذتين فُتحتا على روحها المعذبة وأسلمت نفسها للبحر. أخذتُ أصرخ وقفزت إلى الصخرة التي كانت تقف عليها، أحاول أن ألتمس وجودها في البحر ولكنها اختفت.

جلست هنا أنتحب ولا أدري ماذا أفعل حتى مغيب الشمس، ثم لملمت شتات نفسي ومضيت إلى البيت، ظلت عيناها تسكنني، وصرخاتها تطاردني في أحلامي.. واليوم عندما رأيتك ظننت أن الفرصة قد حانت كي أنقذها.

التفت إليها بصوت متهدج وتابعَ:

- لماذا؟ أعرف أن سؤالي قد يبدو غريبًا، ولكنني لا أفهم.

نظرت إليه بنظرة بائسة وزفرت آهة محترقة.

- هناك حدٌّ للقهر واليأس والإحباط إذا تجاوزته، تتساوى بعده كل الأشياء. حين تفقد بوصلتك تتساوى كل الاتجاهات، تفقد الكثير من المعاني التي تربطك بالحياة...

قاطعها:

- ولكن إرادة الحياة غريزة.

تدحرجت دمعة على وجنتها..

- الإحباط يغير تضاريسنا النفسية، ببساطة نتغير وتنفصم عرى الروابط التي تربطنا بالحياة، وبأنفسنا، حتى لو لم نلقِ بأنفسنا إلى أحضان البحر.

- كُلٌّ منا ينتحر بطريقته حتى لو داخل نفسه!

مدَّ يده بعفوية ومَسح دمعاتها، فأطرقت، واعتذر لها:

- آسف فقط ليتني أستطيع أن أخفف عنك. ابتسمت له:

- أنا بالفعل أفضلُ، أشكرك يا.. مدَّ يده مصافحًا:

- أنا سليم.

ابتسمَتْ..

- أهلاً سليم.

- أنا هدى.

ردَّ بإيماءة:

- تشرّفنا.

وجلسا يتأملان الموج، وقد اكتسى بألوان الغروب، والشمس تلقي بنفسها رويدًا إلى أحضان البحر الذي أصبح أكثر هدوءًا، أحست هدى ببرودة الجو تلفها فنظرت إلى سليم في رقة:

- لم أشعر بالوقت، وعليَّ أن أعود، ما زال أمامي سفر.

التفت إليها كأنه يحاول أن يحتفظ بقسمات وجهها نقشًا في ذاكرته، وأن يستبين لون عينيها في الغروب، وقد بدت أكثر روعة.

- يبدو أن عليَّ أنا أن أشكركِ هدى، فقد حررتِني من شبح تلك المرأة،

والأروع أني عندما سأنظر في البحر مجددًا، ستسكنني عيناك لا عيناها.

مدَّ يده وضغط على كفها الصغير:

- تشبثي بالقارب ربما ستهديك الأيام بوصلة جديدة، أو قد تأخذك العواصف إلى جزيرة لم يطأها قلبٌ قبلك، مواسم الإبحار لا تنتهي ياعزيزتي، والعواصف العارضة تمر، قد تخلف بعدها حطامًا، لكن حوريات البحر مثلك يجدن السباحة رغم الحطام، يبحثن عن فنارات في قلب العاصفة، يحتمين بالنور من الظلام!

هدى، أرجوك لا تغرقي في أمواج الظلام، ابحثي عن قطرات النور، ودعيها تغمرك فقط.. تشبثي..

أوصلها إلى عربتها وودعها قائلًا:

- لم أكن أدرك كم أنا محظوظ! لا يتسنى للكثير من البشر أن يقضوا وقتًا مع حورية بحر حقيقية!

- أراكِ قريبًا.

نادته: انتظر..

مدت يدها وأخرجت صَدَفة من جيبها:

- هذه الأمانة لك. وابتسمت عيناها في سعادة، أخذها وأعادها إلى كفها مرة أخرى مبتسمًا:

- سآتي لآخذها لاحقًا..

صولو

بقلم : شروق كمال

كانت نايات الحنينِ تبكي على إيقاع انكساري عندما كنت أُراقص إحدى شخصيات رواياتي، كان إيقاعي صامتًا، ولم أستطع أن أكتب لبطلتي حوارًا يليق بوجعي، فاكتفيت بأن أعتذر منها، وأجلس وحيدًا داخل عقلي عندما جاء لحنكِ متأخرًا، ككمان يبدِّد قوسه وحشةَ الألحان. كنت تتهادين بحضور يغتال السكون، نوتة موسيقية من الألَق، جلستِ قبالتي تلبسين ثوب الحلم كأرقى تيوليبة من أراضي الوهج!

أذكر كيفَ انتبهتِ فجأةً إلى عيني وهما تقتحمان هالتَك وكأن نداء استغاثات روحي قد عكَّر صفو قهوتك، نظرت إليك محييًا وكلي أمل أن تتعرفي على ملامحي من جريدة، أو صورة لي على غلاف إحدى رواياتي.

هل ينجح قلمي أن يحجز لي دقائقَ من السعادة معك؛ ليعوض ساعات الشقاء الذي يشعله في قلبي مخاضُ الحروف في الكتابة؟! ولا أدري كيف ابتسم النهار حين وقفتِ واستدرتِ نحوي تاركة أشياءك على الطاولة، وسرت بخطواتٍ

أحسستُها دهرًا، واعتذرت طالبة توقيعي على دفترك.

هل كان ما قلتُه لك سطرًا لأحد أبطال رواياتي أم ارتجلتُه حينها؟! ولكني أذكر حينَ هممتِ بالعودة إلى طاولتك، كيف باغتُّك سائلًا:

- ما الذي يلفت انتباهك في كتاباتي؟ وطلبت منك الجلوس.

أذكر كيف اعتدلتِ في جلستك، ورفعت رأسك إلى السماء كأنما ترسمينَ كلماتك على وجه إحدى الغيمات قبل أن تمطريها في قلبي! ناولتك بِحِسّ الأديب مفكرتي التي لا تغادر جيبي وطلبت منك أن تصفي انطباعاتك عمّا قرأتِ لي.

- يعجبني البعد النفسي لشخصياتكَ، أراه مناسبًا لرجل بقامتك الأدبية، ورغمَ انكسارات أشعة روحك إلا أن كيمياء الحديث مع شخصياتك يجذبني.

تأملتك طويلاً، وأنا أقرأ ما كتبتِ بخطٍّ مُنمقٍ، وحروفٍ كأنها نوتة موسيقية!

ابتسمتُ ساعتها بخبثٍ: ولكن هذا تحليل لشخصي وليس لكتاباتي.

أطرقتِ رأسك بخجلٍ أشرق به وجهك ورفعت إليَّ عينينِ رائقتين كغدير مشاعر حالمة قائلة:

- وما الفرق؟ أنت ما تكتب، وحينَ أقرأُ لكَ فأنا أدخل عالمك أبحث في ملامح أبطالك عمن يشبهني، أتدثر بدفء مشاعرهم وأحلم معهم وأتألم لهم!

أوَتدرين ياعزيزتي، لا أعتقد أن أيا من بطلاتي تشبهك، لم أكتب قبلًا عن الملائكة الذين يتخفون في ثياب البشر، لم أكتب عن طفولة عيون تحترف الخجل، ولا كانت بطلاتي بذكاء مشاعرك ورُقيِّ أحاسيسك!

لم أرد ساعتها أن أُطيل صمتي وحوارات ذاتي؛ حتى لا ينقطع سلسال الحديث معك وكنت أخاف أن تقرئي في عيني لهفتي لاستكشاف قارة روحك..

- وأنت هل تدرسينَ الأدب؟ تَبدينَ كناقدة محترفة!

ابتسمتِ من جديدٍ:

- دراستي أبعد ما تكون عن النقد الأدبي، ولكن الجمال حولَنا يا سيدي لا يحتاج إلى دراسة، واستمتاعك بالكلمة والقصيدة لا يختلف عن إحساسك بروعة هذا المنظر على النيل.

- لم أرَ النيل يومًا بهذه الروعة يا سيدتي، كانت نسمات الراحة تداعب أشجار الحنين إلى أحدٍ يفهمني، وكنتِ كقيثارة عذبة تعزف لحنَ صولو رائقًا رقراقًا، ينساب في جوانحي!

تحدَّثنا عن أبطال وبطلات رواياتي، وعن مزاج قهوتي ومفكرتي التي لم أكتب فيها حرفًا بعد ملاحظاتك، وعن دراساتك العملية، وعملك، وأبحاثك ومعملك، وعن عذابات الأشجار في الخريف، ورقة الياسمين، ومعاناة المطر مع أراضٍ لا تزهر!

لا أدري كيف سمحت الشمس لنفسها أن تغيب في هذا اليوم الاستثنائي! ولا أدري كيف استحل الليل لنفسه أن يلبس عباءته على عجلٍ، ويأتي ليكون ثالثنا..

كنتِ تهمين بالرحيل متمتمة بعبارات الشكر على الوقت الرائع -كما وصفتِه-، عندما انتفض قلبي محدقًا في ملامحك كأنه يحفظها، يدوِّن نوتتها الموسيقِية يضبطُ طوله الموجي على أمواج اشتياقه لك، قبل حتى أن تغادري!

- سأراك قريبًا؟

تَعَلقت عيناي بعينيك قبل أن تجمعي أشياءك، وتوقفي دقات قلبي وأنتِ تقولين:

- لا أدري.. هل تعتقد حقًا أننا يمكن أن نلتقي مرة أُخرى؟

لم أستطع أن أتبينَ ما تقصدين كانت جملتك أوضح من أن أفهمها، وأعترف أني أدركت ساعتها أننا ننتمي لعالَمين لا يلتقيان إلا في شخصينا، ولكني خفت أن أفقدك.. ففقدتك فعلاً!

لم أمتلك يومًا جرأة أبطال رواياتي، كنت أختبئ فيهم مني، أنتِ احتفظت لنفسك بالمسافة اللائقة لأي أنثى راقية، وأنا لم أحاول أن أفك رموز بساطتك المعقدة.

أكنتِ تريدينني أن أبوحَ بما في قلبي؟ أنا يا سيدتي لا أبوح إلا للورق وعلى الورق، كان يمكن لو أمهلتِني أن أكتب لك كم شعرَتْ كفاي باليتم بعد أن سحبت كفك على عجلٍ! وكيف أغمضت عيني طويلاً لأستبقيك أمامي! وكيف أني اكتشفت أنه عليَّ منَ اليوم وصاعدًا أن أستحضر طيفك مع شروق الشمس؛ لأستطيع أن أستسيغ طعم الحياة الباهتة بعدك!

وبينما تركتِني أستجمع بقايا لقائنا السحابي وأُرتب أفكاري على عجل، التفتُّ لأجد أن الساعةَ قد قاربت الواحدة صباحًا، وأنا ما زلت محتضنًا مفكرتي، كان عليَّ أن أغادر المكان ولكن قطعة منّي بقيت هناك، وظلت تبحث عنك في الأيام التالية وتعنفني كيف أني لم أنسج حولك أي خيوطٍ أتبعك بها! كيف جعلتني أتكلم عن نفسي كل هذا الوقت وأنا لا أخرج من شرنقتي إلا نادرًا! حتى حروفي تعاتبني على غيابك فتُولَد مظلمةً بلا ضياء!

أدور في حلقات الوجع وحدي ممسكًا مفكرتي، وكلماتك المعزوفة فيها هي كل ما بقي لي منك..

ثم قررت أن أُسوي هذا الأمر بيني وبين نفسي، تحديت نفسي أنني يمكن أن آتي وأجلس على طاولتي أرتشف قهوتي دونَ أن أسترجع ما كانَ بيننا، وبأني أستطيع الكتابة مجددًا في مفكرتي، وأنني سأُحيي غيرك ألف امرأة، وربما

سأتحدث مع ألف غيرهن، وربما سأُحب منهن ألفًا ثالثة! ولكن بمجرد أن جلست على طاولتي، علا نحيب روحي وكرهت صمتي حين كان يجدر بي الكلام.

أنا يا سيدتي أفتقد سلامي الداخلي بعدك، أرحل كلَّ مغيبٍ إلى هدوء ملامحك وأختبئ في راحةِ كفيك وأضم حروفَك إلى صدري، ولا أدري إن كنت ستقرئين حروفي هذه بعد يومٍ، أو شهرٍ، أو عامٍ، أو أكثر.. لكنّني سألتُك أن تعيدي إليَّ روحي التي غادرتني بعدك وأن تمنحيني واحةَ السلام، التي سكنتُها معك لسويعات ثم طُردت منها، وأن تعيديني إلى أراضيك وتعودي إلى سمائي.

كانت عيناها تبحثان عن عينيه وهي تحمل قصاصة الصحيفة، التي نشر رسالته بها عندما خبأت الغيمات أشعة الشمس الهاربة إلى الأفق وأشرقت هي في حياته من جديدٍ..

غُرِبَة صباحِيَّة

بقلم : شروق كمال

بحذرٍ، كان يمشي بين حروف كلماته، يجري حواراتٍ طويلة داخل رأسه، يرتّب الجمل، ويعود بمحاة اللامبالاة يحذف ويختصر، ثمّ يكتفي برشفةٍ من قهوته!

يدور في دوائر الدّخان المتصاعد برائحةٍ صباحيّة، تشجّع صمته على المضيّ قدمًا، واحتلال مساحاتٍ من أثير الغرفة التي تجمعهما، خطةٌ محكمةٌ لقنص أيّ حرفٍ تسول له نفسه بالتّحرّر من بين شفتيْه..

وكانت هي تجلس أمامه هادئةً، كزهرةٍ اكتفتْ من نسيم الصّباح، وباقة الدّفء الصباحية وقرّرتْ أن تستبق الغروب إلى ليلٍ تغلق فيه بتلاتها، كانت تداعب أحجار عقدها تلفّه حول إصبعها، وصوتُ تهامُس الأحجار يشي بما لم تبح به عيناها..

نظر بتمعنٍ إلى عقدها، وأنين الأحجار يعلو وينخفض، كأمواجٍ تتلاطم على شاطئ ذاكرته، نعم فعلًا كان هذا آخر هداياه لها منذ زمنٍ.. ترى، لماذا ترتديه اليوم؟!!

داخل عقلها، كانت تذرع الطرقات بين غرف عقله، تنتقل بسرعة نبضاتها

العصبيّة بين ذكرياتٍ لم تعد تهزّها، كانت يومًا تقتات عليها لتبقى على قيد السّعادة، لكنّها توقّفت منذ فترةٍ ليست بالبعيدة، توقفت عن انتظار السندباد العائد بحكايات من جوف الحلم بعد أن هزمتها ليالي الانتظار!

نزف طويلًا قلبها المتعب من المشي على أشواك غربتها في حضوره وصار عليها أن تجمع بقايا الوجد؛ لتدفنه في موكبٍ مهيبٍ في إحدى غرف عقلها، وتكتفي بوضع أكاليل الزهور كل صباحٍ على رموس بعض ذكرياتها السعيدة، طقوس صباحية لا أكثر..

كانت يده تعزف لحنًا، يتجول في ذاكرته منذ الصباح، زم شفتيه وأخذتْه تنهيدةٌ إلى ملامح وجهها:

- لماذا لم أعد أجيد قراءتك؟!

توقفت عيناكِ منذ فترة عن الكلام، بعد أن اعتادت أن تضمني بسماتُك الصباحية الناعمة، ولكنّي لا أتذكر متى بدأت المشي لمسافاتٍ طويلةٍ داخل نفسك، تتجوّلين وحدك؟! لو فقط يمكنني أن أعرف بم تفكرين يا سيدة الصّمت؟ إن كنت تتحدّين صمتي، فأنا من بدأ اللّعبة وسأنهيها كما يحلو لي..

تركت أحجار عقدها لتستريح على جيدها، ورفعتْ بهدوءٍ أحد جداول العسل الهاربة إلى ليلِ عينيها!

- أين فقدْتُكِ؟

- لا أدري متى تحديدًا جرَّفتك أمواج الدّنيا بعيدًا عن شاطئي؟ وأنا استنفذت كلّ نجومي؛ لتهتدي بها في طريقك إلى سمائي، ولكنَّك كنت تحترف البعد، وأنا أحترق شوقًا إليك نعم احترقت عبثًا، وأنا أحاول أن أكون لك دفئًا يهاجر في حنايا قلبك ولا يعود.. ولكن كيف لي السّفر في طرقٍ طمسْت أنت ملامحها، وتركتني تائهةً فيك!

اعتدل في جلسته، وهمهم داخل عقله: كمْ أحنّ إلى طفولتك بين الكلمات.. إلى لهفتك إلى حدِّ البكاء..!

- لماذا توقفت عن استيعاب إخفاقات الزمن في أن يحتضن أحلامك الصّغيرة؟!

- كان عليكِ أن تمشي الطريق وحدك إلى آخره؛ بحثًا عن ترياقٍ يشفينا من الملل، ويعيد لعالمنا بهجته، لا أن تنسحبي داخل نفسك كقوقعة أعيتْها الأمواج وأحرقتها الرمال!

انعكست أشعّة الشمس من عقدها إلى عينيه، كأنّما تعاتبه على ذبول زهرةٍ أهدتها له الأيام.. أزاح كرسيّه وتشاغل بالنّظر إلى ساعته، وارتداء معطفه مسرعًا؛ ليعفيه تأخره من أن يطبع على جبينها قبلة سريعة، ولكنّه لم يدرك أنّه بالنسبة لها كان قد غادر منذ زمن..

سوارٌ من العشق.. أنا

بقلم : حنان العشماوي

مَن أنا؟! أي سؤالٍ هذا الذي أطرحه على نفسى أو عليكم؟

فمِن أين لكم أن تَعرِفوني؟ أم هل بإمكاني أنا أن أُعرّف نفسي لنفسي؟!

يا له من سؤال صعب عشت أزمانًا، وأعمارًا أحاول الإجابة عنه، والإجابة خافية أبحث عنها في تجاويف الدار، وبين خلجات نفس تحتار! ولا تدري أين البداية؟ وإلى أين المسار؟

كل ما أعي هو أنَّ لنا طريقًا ممتدًا عبر الزمن أنا والعشق!

أيٌّ عشق..؟!

كتاب طويل، خطته سنوات العمر..

هي جذور سنديانة عتيقة، تغلغلت في الأرض والنفس معًا، تفرعت إلى أقاصي الدنيا تحمل ظلالًا تسَع الأرض وما عليها..

نظمت عشقى في سوارٍ من حبات متراصة تحوي بداخلها بعضاً من. قصص عشقٍ حلمت بها

وربما إحدى معانيه الكامنة بداخلي

لففتها حول معصمي و رحت ابحث عن البقية الباقية من حباته اتمنى بها ان يكتمل سواري قبل ان يتلاشى العشق من الحياة كلها

لم يعد العشق إلا.. لمسات أحرُف كلماتٍ، تقاذفتها الريح؛ لتصل إلى مَن تصله..

تُبلغه عنِّي همسات نثرتُها هنا وهناك..

سأحكي لكم عني في العشق الحكايا دون أن أزهد في الرواية..

****

أولى حلقات السوار.. عشق الشتاء..

تمر السنوات، تتعاقب الفصول ومع بداية كل شتاء، يزداد عدد الشعيرات البيضاء، تظهر خطوط الزمن على الملامح هنا وهناك..

تعاود كلمات تلك البديعة «رجعت الشتوية» بصوت فيروز

وذكريات الطفولة والصبا والشباب، تظلِّل سماء الشتاء أجمل فصول العام

كم أنت جميل أيها الشتاء! قطرات أمطارك المباركة، تُحيي نبت العشق في القلب، عشقي المتجدد للدنيا والأيام..

عشق السحابات الحُبلى بسر الحياة وترياقها.. عشقي للشوارع اللامعة من انسياب فيض السماء على الأرض

السماء، وقد اكتست بشلالاتٍ من القطن المندوف، سحابات مكتنزة تبدو للمُراقِب، منحوتات رائعة تسير على مسار حريري، تسرع بها أحيانًا هبَّات من ريح تُزاحمها، قاصدة المروج البعيدة..

كم هو جميلٌ فصل الشتاء!

تراه في ملابس الأطفال، احمرار الأنوف والوجنات.

ما أحلى انبعاث البخار من الأفواه، واحتكاك الأكف؛ ابتغاء لمسات دفء حانية!

يناير أوَّلُ شهور العام، وأول صرخة تشق الصدر، كنت أنا باكورة إنتاج أبي وأمي وفرحتهما الأولى.. طفلة كثيرة الصُراخ، لا تكاد تهدأ حتى تبدأ من جديد.. تُرى أكان صُراخي لأنني كنت أعلم ما الذي ينتظرني من أحداث غيَّرَت مسار حياتي.. عدة مرات؟!

نعود الآن للشتاء وعشقه..

تحت زخات قطرات لؤلؤية، كان اللقاء.. أمام أمواج بحر الإسكندرية الثائرة، ثوران النفس وقَفتْ.. غير عابئة بالمشهد الضبابي، وما ينثره الموج على الوجه الصلد، صلادة الجلمود.. وقَفتْ تلقي بالسؤال كما هي عادتها في نفس الموعد، يوم ميلادها من كل عام.

تختلف الأسئلة عامًا بعد عام، ولكن يبقى الموقع والزمان محددين مسبقًا، مهما اختلفت من حولها الظروف

اقتربت من الحاجز الصخري وبيدها زجاجة، بالداخل حُشرت ورقة مطوية بها سؤال هذا العام، أحكمت وضع السدادة الفلين بمنتهى الهدوء، وضعت قُبلةً صغيرةً على الزجاجة، ثم ألقتها إلى الأمواج..

وقفت تلمحها برهة حتى غابت عن ناظريها، سرحت بشريط الزمن تستعيد ذكرى أول زجاجة أرسلتها إلى الموج ليتلقفها ويحمل ورقتها المطوية إلى آخر العالم..

كان سرهما الخاص، لكنه رحلَ، الأب الجميل.

مُذ بدأت تعي الدنيا كانت تلقي أمنية عامها الجديد إلى أمواج البحر، يأخذها من يدها يرحلان بالقطار رحلتهما الخاصة بهما فقط؛ ليصلا إلى الإسكندرية، ورحلة أخرى بالحنطور إلى منطقة أخرى تتمتع أثناءها بدقات حوافر الحصان على الطريق، وتمايل ذيله ذات اليمين واليسار، يصلان إلى حيث بقعتهما المباركة، يخرج من جيب معطفه زجاجة الأسرار تضع الورقة المطوية على أمنيتها بداخلها.

يحكم إغلاقها بقطعة الفلين، ثم يناولها لها، تضع قُبلةً صغيرةً على جدار الزجاجة؛ كأنها رسالة شكر، تبلغها الأمواج.

يلقيها الأب بوسع المدى تدوم الوقفة إلى أن ترحل الزجاجة وتختفي بين طيات الموج، ثم يعودان سيراً.. أحيانًا يصادفهما بائع (الكلوكلو)، أو الآيس كريم؛ فيتناولان قرطاسين من البسكويت عليهما قمم ثلجية بطعم الشيكولاتة والمانجو.

برغم برودة الجو إلا أنها أجمل طقوس الرحلة، ثم يعودان أدراجهما إلى محطة القطار؛ لتنتهي الرحلة في انتظار نفس الموعد من العام القادم.

إنه العام الأول الذي تقوم فيه برحلتها منفردة دون الأب الحبيب؛ فقد رحل إلى حيث لا عودة، وكان لزامًا عليها أن تأتي إلى هنا وحدها بقلب محترق، ووجه بلا أي مشاعر وعيون زجاجية لا تكاد تلمح بها دلائل حياة..

وقفت صامتة لا تدري ما الذي ستفعله بعد ذلك، وكأن الفكر تجمَّد في انتظار ردِّ الموج على سؤال رسالتها:

- كيف أحيا وحيدةً من بعدك؟!

نزلت الدمعات بهدوءٍ وصمتٍ..

من بعيدٍ كان هناك مَن يراقبها دون أن تدري! في منتصف العقد الثالث يحمل بيده كاميرا تصوير احترافية، اعتاد تصوير أمواج البحر أثناء الشتاء..

انهمار الأمطار على أرض الطريق، وانعكاس لمعتها على أسطح السيارات الواقفة..

وجوه المارين يحتمون بجريدة وربما بأكياس بلاستيكية؛ تقيهم البلل..

آخرون يجلسون على سُور الكورنيش مستمتعين بكل قطرة كأنهم في انتظار خيرات السماء تلقيها إليهم سحابات طيبة..

لقطات تسجل الرضا والطمأنينة وربما التبرم، الضجر..

في لفتة منه رآها.. بدت كتمثال إحدى الآلهة القديمة ثابتة يتلاعب الهواء بالخصلات الذهبية، وكأنها خيوط من بقايا شمسٍ غائمة.

لم يتمالك نفسه أو عدسته..

لم يعد في المكان سواهما أو هكذا أحسَّ..

كان يلتقط صورًا لها بكل اتجاه ودون توقف..

بدأت تتململ في الوقفة.. أدرك أنه إن لم يدركها قد ترحل، ومعها بعضٌ من نفسه.

حانت اللحظة حين التفتت عن البحر باتجاه الطريق، وجدته أمامها يحدق فيها باهتمام، وحنو غريب، اقترب منها ثابتًا رابط الجأش، وسيم المحيا، أسمر منحوت الملامح ابتسم محييًا بأدبٍ..

- سامحيني، أنا مصور أعمل بإحدى القنوات الوثائقية، وأعشق تصوير بحر إسكندرية وخاصة في فصل الشتاء، وكنتِ أنتِ هديتي لهذا اليوم، تخيلتك في وقفتكِ كإحدى آلهة الإغريق القُدامى، وسمحت لنفسي بالتقاط صور لك دون استئذان. أعتقد أنها قد تروق لك.

تأملت الوجه الأسمر الباسم، وبدأت قسمات وجهها تلين وخيال الابتسامة، يحتال للظهور على الشفاة الوردية..

ألقت نظرة تساؤل خاطفة للموج وهي تحاول السيطرة على خصلات الشعر الثائرة وهزت الرأس.. بالموافقة..

****

* عشق الموسيقى *

أصوات ملائكية تنتشر في أنحاء المكان لا أحد يدري ماهيتها..

أتُراها خفقات أجنحة طائر يحركها بسرعة من نشوة لقائه بوليفه؟! تتابعه دقات قطرات الندى تنزلق من ورقةٍ خضراء لأُخرى أسفلها، والآن أرهِفوا السمع إن صفير الرياح يتجول بين قصباتٍ نمت على ضفاف أنهار يدفع ماءها أمامه، فتسمع خريرها يرتطم بعضه ببعض، ويحرك بداخله اصطكاك الحصوات ببعضها.. يتعالى هديل حمامٍ ينشد تسابيح ربانية لا يفهمها إلا من اصطفاه الرب؛ ليهيم مع هذه النغمات تنسحب إلى الروح تسافر معها إلى قُبة السماء وتنحدر من نشوتها إلى أغوار قيعان الأرض..!

تلك هي، موسيقى الله في بديع كونه وضعها في مخلوقاته، وسمح لنا بعظيم متعتها دون إفراطٍ أو تفريطٍ، إنها الموسيقى الربانية منذ خلق الله خلقه البديع، وجعل الصوت هو أحلى موسيقى من تغريد الطير إلى وقع مياه الأمطار ومن نقيق الضفادع إلى دبيب النمل.

حوَّلها البشر إلى آلاتٍ تخاطب الوجدان وتسمو بالروح إلى خالقها!

إنه عشقي..!

قاعة فسيحة تسود الظلمة أركانها، وضوء ناعم يفترش المنتصف ينبعث معه دخان خفيف يزيد من واقعية الحلم

اتخذت مكانها بمنتهى الأريحية أمام هذا الكيان الأسود الضخم؛ حيث رقدت متراصة إلى جانب بعضها البعض، الأصابع البيضاء تعلوها السوداء أقصر

منها لكل منها دوره ومقامه..

صدى نغمات تتصل فيما بينها؛ لتُغلق حلقة عشقها..

هي تدور بداخل مدارها تتمايل دقات قلبها مع دقات الأنامل على تلك الأصابع الطيعة؛ كأنهما يتجاذبان حديث عشق خاص بهما وحدهما..

دنيا سحرية تحياها، ويحياها معها الحضور.

في مكان مظلم في إحدى البنوارات المرتفعة عليها؛ جلس ساكنًا يرهف السمع وقد غادرته الروح لتسكن تلك الأنامل الراقصة، تتلبسها بكل محبة تحيط بها؛ حتى لا تهرب إحدى تلك النغمات دون أن يشعر بها.

كان يقتفي أخبار حفلاتها من مكانٍ لآخر، ومن بلدٍ لسواه.

تمر الأيام تسابق بعضها بعضًا، هو هناك دائمًا في الظل والخفاء، يرحل مُحلِّقًا مع روعة المعزوفة..

في نهاية كل عرض تجد باقة من الورود الحمراء بداخل غلالة حريرية بيضاء معقودة بشريط من الساتان الأسود..

مع الباقة تجد وريقة صغيرة ملفوفة بها كلمة واحدة فقط: "أحسنتِ"..

تتراقص الفرحة بالقلب والسؤال يتردد في البال تلقيه بنظرة إلى كلِّ وجهٍ يصادفها:

- أتكون أنت؟! يومًا بعد يومٍ تحوَّل السؤال إلى هوسٍ..

كانت تخطو إلى المسرح، وعيناها تتجولان بين الحاضرين أثناء تحيتهم..

تجلس إلى البيانو، هي تعلم تمامًا أنه هناك يصوِّب إليها نظره فتُبدِع وتبدع

وبعد انتهاء الوصلة تُطيل تحية جمهورها العريض، وعيناها تطوفان طواف الهائم على وجهه بلا بُوصلة تهديه الطريق يدق قلبها في انتظار جائزة الإتقان

الباقة الحبيبة إلى القلب والكلمة الماسية.

- أحسنتِ

إلى أن كان يوم بعد انتهاء حفلها، وأثناء مغادرتها لمحت سيارة سوداء بزجاج معتمٍ، تقف غيرَ بعيدٍ من سيارتها وكأنها بانتظار أحدٍ ما لم تُعِرها التفاتًا في بادئ الأمر، مكثت في السيارة تلتقط أنفاسها بعد يومٍ طويلٍ مُرهِقٍ وقد ضمت الباقة إلى وجهها؛ تستمد من شذاها الراحة والأمل.

لفت انتباهها خروج رجل طويل القامة، يرتدي معطفًا أنيقًا، ونظارةً سوداء بيده عصا؛ مما يستخدمها فاقدو البصر، وباليد الأخرى يستند على أحد العاملين بالمسرح. حينها نزل السائق بسرعة أقبَل إليه، وقام بتوصيله إلى السيارة بعد أن فتحَ الباب الخلفي ركب الرجل وانطلقت السيارة، تشق ظلام الليل الدامس بأنوارها.

عندها وقع نظر العامل بالمسرح عليها بداخل السيارة، نادته إليها، تقدَّم وقد بدا عليه الارتباك.

- مساء الخير ياعمّ طُلبة.

ردَّ عليها السلام وبصوته رعشة وعدم ثباتٍ:

- مساء النور يا ست الكل يا أجمل فنانة.

- مَن كان ذاك الرجل؟؟

أجاب وقد اختنق صوته:

- إنه أحد رواد المكان، رجل محترم.

- يخيل إليَّ أنه قد سبق لي رؤيته، ولكن لا أدري أين؟

أجابها:

- نعم سيدتي أنتِ على حقٍّ؛ فقد كان أحد أعمدة المكان هُنا قبل أن يفقد بصره في حادث، إنه أحد قادة الأوركسترا المعروفين. وربما عزفتِ تحت قيادته يومًا ما، وأخبرها باسمه ومضى إلى حال سبيله.

تذكرته.. كان فنانًا جادًا متميزًا في عمله.. ربما تبادلا بضع كلمات للتحية فيما سبق، وألقى إليها ببعض التوجيهات أثناء العمل، لكنها لا تعرفه معرفةً شخصيةً.

مرت تلك الحادثة في ذهنها مرور الكرام..

بعد بضعة أشهر، وفي إحدى الحفلات في الاستراحة، كانت قد شعرت ببعض الألم في الرأس فعادت إلى حجرتها؛ لتتناول دواءً لتخفيف الصداع حتى تُكمل النصف الثاني من الحفل.

فتحت الباب وجدت غريبًا في الغرفة ينحني؛ ليضع شيئًا.

- ماذا تفعل هُنا؟ قالتها بصوت حادٍ التفت مرتبكًا، رأته إنه عامل المسرح الذى سبق وتحدثت إليه قبلًا

ردَّ عليها بصوت أقرب للترجي:

- أرجوكِ سيدتي، أنا لم أقصد سوءًا أبدًا. حينها وقع نظرها على هدية كل حفلة.

الباقة الرائعة والبطاقة! اتسعت عيناها من فرط الدهشة وعدم التصديق.

- أأنت مَن يرسل لي البطاقة؟! أجاب وقد عقد الرعب صوته من مواجهتها:

- لا لستُ أنا سيدتي. بل هي خدمة أؤديها لسيدي، رجل كريم الأفضال.. لا يرغب سوى في إرسال تلك الباقة لفنانة يحترم فنها ويقدره.

- اصفحي عنِّي أرجوكِ!

- مَن هو؟؟ أو ربما أعرفه دون أن أدري؟! أليس كذلك؟!!

ورمته بنظرة الواثقة من أمرٍ ما.. أجابها دون أن يرفع وجهه المُطرق أرضًا:

- نعم سيدتي، إنه هو سيدي الكريم. أراد أن يرسل إليك تقديره دون أن تعرفي هويته..

حينها طرق طارقٌ الباب يبلغها بانتهاء الاستراحة. نظرت إلى العامل قائلة:

- بعد أن أنتهي من الوصلة اصطحبني إليه، دون أن تلفظ بحرفٍ، وإلّا «وشددت على الحرف الأخير». بهدوء ردَّ:

- سمعًا وطاعة سيدتي.

خرجت إلى جمهورها وقلبها تختلط به مشاعر متضاربة من الفرحة والألم والخوف والترقب..

جلست إلى محبوبها الأسود العريض، وبدأت تتلمسه بأنامل غير الأنامل، عزفت بإجادة وإحساس لم تعرفه قبلًا، وبعد أن انتهت قامت لتحية الجمهور بابتسامة واثقة وعينها تعلم أين تنظر؟ ثم انحنت ودارت على عقبيها إلى خلف الستار..

عادت إلى غرفتها، وكان العامل واقفًا بالباب.

تناولت الباقة وقالت:

- خُذني إليه. سارت خلفه ودقات القلب تصم الآذان من القادم!

وصلا إلى البونوار المقصود. طرق العامل الباب، سمعت الصوت القوي:

- ادخل.

أشارت للعامل بالانصراف نظر إليها، وعيناه ترجوانها أن تتريث.

أشارت إليه بنظرة مطمْئِنة أن انصرف، دخلت إلى البنوار وسمعته يقول:

- وصلت الأمانة يا طُلبة.

بصوت هادئ:

- جئت بنفسي أشكر أستاذي العظيم، وفارسي الخفي على أجمل باقة وحلم داعب خيالي

كنت أتمنى أن تكون يداكَ التي لطالما قادتنا في العزف هى التى تُهدينى إياها..

جمدت ملامح الوجه الوسيم الذي أخفت النظارة السوداء أغلب ملامحه، رد بصوت عميق هادئ:

- فنانتى الجميلة: إن الورود تُهدى؛ لتبلغ معنى جميلًا دونما النظر إلى مُهديها..

ابتسمت قائلة:

- إذًا فلن نختلف فيمن يسير معك إلى السيارة، ما دامت الطريق في النهاية واحدة لكلينا.

مدت يدها والتقطت كفه في راحتها وقالت:

- أتمانع إن تشارَكْنَا الطريق؟

ابتسم ابتسامة غامضة وسارا وقد تعانقت الأذرع فيما بينها.

غادرا المكان وقد نسيا خلفهما باقة الورد والورقة المطوية بالكلمة الماسية: أحسنتِ.

****

* عشق الحروف *

المشهد الأول:

بداية الدنيا السحرية، ومغارة علي بابا أنام أحلم باكتشافها وخلال الحلم أهتف بكل أنواع البقول:

- افتح يا ترمس، طب افتح يا حُمُّص!

وأظل على حالي إلى أن أفتح العيون مع ضوء النهار، ورحلة الذهاب للمدرسة..

أعترف وأقولها بيدي، لا بيد عمرو!

أنا إنسانة لا تحب الدراسة على اختلاف مراحلها.

أنا أشعر بأوجاع في الجسم كله، حين يُطلب منِّي حفظ أبيات شعرية من نَصٍّ لأحد أعظم شُعراء العصر الجاهلي، أو حفظ معادلة كيميائية، والأسوأ من كل المواد الرياضيات، التي كانت وما زالت أولى المواد التي وقفت سدًا منيعًا بيني وبين الراحة والسعادة في الطفولة..

لكن.. وهنا تأتي كلمة لكن كبيرة جدًا.. كنت، وياللعجب من المتفوقات في الدراسة!

غريب جدًّا، أليس كذلك؟!

المعادلة بسيطة، أنا شخص يحترم نفسه، يرفض أن يواجه بتوبيخ من مُدرِّسةٍ، أو مُدرسٍ.

ويالطامة الكُبرى إن جاء التوبيخ من الوالد حينها تكون النهاية، ويختل ميزاني أمام نفسي، وأشعر بفقدان الهوية واختلال الثقة بالنفس. والأدهى والأمَرْ حرماني من مكافأة التفوق حلم نهاية العام الدراسي بكفاءة، الرحلة

الموعودة إلى دار الهلال والعودة محمَّلة بما لذَّ وطاب من كُتبٍ وقِصصٍ أحيا عليها إلى بداية العام الدراسي الجديد دنياي السحرية.. لذا؛ كانت الدراسة جهاد بمعنى كلمة جهاد..

إن ما أعني من عشق الحروف شيء يختلف تمامًا عن الدراسة وأعبائها.. إنه السحر بعينه!

المشهد الثاني

تتراءى الحروف أمامي؛ كأنها فراشات وأنا النور يجتذبها خارج الغلاف غلالة رقراقة تفصل بين الواقع والخيال.

يتلاشى فيه الجسد المادي مجرد أثيرٍ يمتزج بالهواء. يسري إلى الأحلام، ودنيا الحكايا والأساطير.

وهنا تتدلى الستائر الحريرية على الرياش الفاخر، ويَصِلُني صوت شهرزاد يأتي ساحرًا؛ لتأخذني معها إلى دنيا العجائب.. أدنو من قصر شهبندر التجار، وأطوف بين الخمائل في بساتين مد البصر..

أرى عناقيد العنب تتدلى، كالثُريا يسقط عليها شعاع الشمس؛ فتتلألأ حباتها ياقوت أحمر بهجة للناظرين..

أرى راقصات يدُرن حول فسقية من المرمر الأبيض، يتحركن بنعومة الحوريات على أنغام القيثارات من حولنا..

أراني وقد ارتديت الحرير الموشى بالخيوط الذهبية، أضع فوق رأسي تاجًا من الذهب الخالص، تتناثر فوقه ماسات دقيقة رُصت على شكل وردات صغيرة!

أجلس وأمير أحلامي بداخل إيوان من خشب الورد، نستند على مساند مخملية من ريش النعام ملقاة هنا وهناك..

إنه ينظر إليَّ بشغفٍ جميلٍ في انتظار بقية الحكاية وأنا أسرد قائلة:

- ورأى التاجر منصور الجميلة بدر البدور وهي تدور في الأسواق، تبحث عن مبتغاها بكل رواق إلى أن وصلت إلى دكان العطار مرزوق أبو الأسرار؛ فأقبلت عليه ورمت صُرة الأموال بين يديه..

وفجأة تعالى صياح ديك الصباح، وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح..

يالها من حياة تلك التي أحياها كل يوم!

أنا كل أميرات الزمان لكل زمان!

أنا هي تلك الفتاة التي تبلغ من العمر أحد عشر ربيعًا، ذات النظارة الدائرية الصغيرة الجالسة في أحد أركان غرفتها، وقد صنعت لنفسها كهفًا من ملاءة سرير، وأربع كراسٍ مقلوبة تنزوي بداخلها تعيش أجمل سويعات حياتها ضمن أحداث إحدى القصص المتناثرة بداخل صومعتها البدائية إلى أن يظهر من يهدِّد ويتوعد بالويل والثبور وعظائم الأمور؛ كي أعود لدنيا الواقع وأهجر عالمي الخيالي الرائع، لكنها الاستحالة بعينها.. فهو العشق، وعشقي لا دواء له سوى متابعة الترحال من قصة لأخرى وشخصية لغيرها، إلى أن أقف أنا على حكايتي وأذوب في تفاصيلها وأضع بنفسي النهاية التي أتمنى..

****

عشق الذكريات

- رحلة في جدار الزمن -

طفلة في السادسة من العمر، ومعطف داكن الزُرقة وقفازات قطنية بيضاء، ممسكة بيد أبيها يصطحبها في أول يوم دراسي وأول مدرسة «مدرسة النيل» أعتصر الذاكرة، أرجوها أن تجود بما يختبئ تحت ركام السنين؛ لأجمل ذكريات

فها هي الساحة الكبيرة في منتصفها سارية علم خفاق كنت أراه ينتشر وعندما نكون صغارًا تكون الأشياء من حولنا كبيرة عملاقة. هكذا كان العِلم وكانت البلد واسمها موقع في القلب لا يدانيه آخر، وعشق ملكَ عليَّ حياتِي من يومها وللآن، وبعد مرور خمسة وأربعين عامًا لا يزال اسم مصر وصورة علمها، وأنا أخطو أولى خطواتي في مدرسة النيل..

أذكر أنني كنت أنشُد مع أبي النشيد الخاص بالمدرسة

مدرسة النيل يا أمل غالي في العالي، مكانك في العالي

أعوام وأعوام مرت صباح مدرسي يشبه ما سبقه، وما سيليه.

اخترق صوت المنبه المزعج السكون إيذانًا ببدء يومٍ جَديدٍ بعد عدة دقائق ارتفع صوتٌ نعرفه جيدًا:

- يلَّا يا بنات أتوبيس المدرسة على وصول، وهتتأخروا وأنا مش هوصَّل حد..

يتلو ذلك هجمة شرسة على غرفة البنات، وشد الأغطية الصوفية في أبرد الأجواء الشتوية.

- آاااه يا بابا عادتك، ولا هتشتريها الساعة لسه ستة والباص معاده سبعة ونصف، ولكنه الاستيقاظ بالأمر المباشر..

يأتي بعدها موشح البحث عن فردة الحذاء الرياضي، فالحصة الأولى ألعاب، أو...

- أين اختفت المنقلة؟! عندي امتحان هندسة.

- ماما فين ساندويتش الجبنة البيضا بالزيتون؟ مش بحب الحلاوة، أنا هاخد النهارده مصروف زيادة هاجيب أكل من المقصف (كانتين المدرسة).

أولى ساعات النهار هرج ومرج بسبب المدرسة وهرجلة البنات.

- كم من السنوات مرت علينا يا أختي؟!

كنّا كما القول المتداول: وكأننا «مولودين فوق رأس بعض، قط وفأر»!

ولكنها كانت أحلى أيام العمر، صديقات الطفولة والمراهقة إلى الآن. نتذكر النوادر، ونتمنى الرجوع لزمن القلب الخالي من الشوائب والأحزان، لم تَخلُ الأيام من بعض التوبيخ لدرجات منخفضة في علاماتي المدرسية، وربما لجلوسي أمام الأفلام الهندية لأربع ساعات هي زمن الفيلم، أو لاكتشاف الوالد وجود لغزٍ بُوليسي للمغامرين الخمسة، أو أيًّا كان عددهم بداخل كتاب النصوص، أو أي كتاب آخر؛ فلم أكن أدقق، المهم أن أقرأ وإن جار ذلك على حقوق المناهج الدراسية.

يا الله! كم كنت أتمنى أن أنتهي من الدراسة! أن أحيا بدون ضغوط الامتحانات!

كان هاجسي الذي يجعل معدتي تنقبض أن لا أكون محلَّ فخره..

يا لها من معاناة تحيا بداخل قلب وعقل صغيرة غاية أملها، نظرة فخر وكلمة تشجيع..

لم يكن هناك ما يعكِّر صفو القلب إلا ذلك السيف المسلط على الرقبة..

آخر كل عام في درجات الشهادة المدرسية والنظرة الثاقبة التي تخترق الجسد كأشعة "X" كاشفة عن المشاعر المضطربة، والأنفاس المتلاحقة حين نتقدم حاملين الشهادة ننتظر وضع الإمضاء الكريمة ندعو الله ألَّا يرافقها سيل من كلمات التأنيب واللوم لعدم الوصول للمرتبة المنشودة من التفوق.

أفراحٌ وأتراحٌ رسمت الخطوة بعد الخطوة، إلى أن كان الفراق بعد مُضي أجمل سنوات العمر والصداقة.. تأخذني الأيام في طياتها.. وإن كنتُ للآن لا أحب الدراسة، ولكني أتمنى كل طلعة شمس أن أعيش حدوتة كل موسم

دراسي مرة واحدة.. واحدة فقط أتمتع بما ضقت به يومًا، ألمح وجهك الطيب يا أبي، أو يجود عليَّ الزمان بابتسامة من وجه أمي وإن كانت مُحمَّلةً بغمزٍ أو لَمزٍ على تصرفاتي.

تمر الأيام تباعًا ننفض أمطار شتاء يمر يليه آخر نكبر ونكبر، وتختلف الحياة..

****

* عشق الكائنات *

ضربات في الهواء أسمعها؛ فأخف إلى نافذتي أفتحها، لقد حان الموعد..

إنهم ينادونني، هيَّا ياعاشقة الحمام فقد تجلت شمس النهار، طرقت أشعتها نافذتك؛ لتنفضي عنكِ نُعاسك، وتأتي إلينا بيدك المحملة بالأطايب..

هيَّا أقبلي علينا بالخير!

كم أشتاق لتلك الخفقات للأجنحة! إنه عالمٌ آخرُ أشعر به يقبلني بداخله، ليست مجرد حبات تلتقطها المناقير الصغيرة من كفي؛ فتشبع، أو بضع قطرات لؤلؤية صافية تروي بها عطش السفر من مكانٍ لآخرَ، ولكنها رسالة عشقٍ غيرُ مرئيّة يحملها الهواء تحوي كل المشاعر هو الحب.

أنا هي عاشقة للحياة والأرواح في أجساد الكائنات الطيبة على اختلافها، وتنوع فصائلها..

أوجَدَني الله على هذا النحو، أشعر بما حولي منها أكاد أسمعهم يشقون القلب بما يتبادلون من همسات فيما بينهم غزل وحُبٍّ ونداءٍ للتلاقي، وقرقرات تشي بالسعادة حين يتسلل ضوء الشمس؛ فيلامس الأجساد أيًا كانت بأكُفٍ للدفء حانية أرقب من خلف نافذتي تعاقُب الفصول ودوران الأيام معها تأخذ مَن تأخذ..

إنها الحياة وهذا هو الناموس منذ بدء الخليقة أرواح تتآلف، تتعايش وبعدها الرحيل.

التقيته صباح أحد الأيام بينما أستعد للذهاب إلى عملي، صغير هزيل وقف أمامي يهز ذيله؛ ملوحًا بفرحٍ ولمعة فرح بالعينين الصغيرة، وصوت أشبه بضحكات طفلٍ صغيرٍ، ولكنه عواء لصغير آخر.

اقتربت منه ملوِّحةً فأسرع الصغير بحبورٍ، وكأنما كان ينتظر الإشارة يقفز إلى أعلى محاولًا الوصول إلى اليد الممتدة نحوه.

فعلت الخطيئة الكبرى كما يراها الكثير، مددت اليد أربِّت على رأس الصغير لم أدهش حين استلقى عند قدمي؛ يرغب في بعض التربيت والدلال وقرأت الرسالة في العين، وكنت قد شعُرت بها في القلب.

- هلا صحبتني معك؛ فأنا وحيد في هذه الدنيا كما أنتِ..

****

* عشق البحور والغروب *

إلى الأزرق الجميل أهدي روحي..

إلى اتساع جنباتك الصافية أُلقي بقلبي؛ علَّه يستقر في أعماقك ويهدأ..

إلى انسيابك تارة وثوراتك أخرى أُلقي بالروح المضطربة، فينالها ما ينالها من عنفوانك وسكون أمواجك، فتهدأ وتتعلم متى تكون الثورة؟ وأي جمال في السكون والانسياب، فتستكين وتتابع السير دون قلاقل مجهدة..

إلى زُرقتك الصافية أُلقي بالعينين فترى الجمال والصفاء من خلال أجمل ألوان الدنيا وشفافيتها؛ فلا تلمح دون البهاء في جلالك بديلًا ترى به الدنيا على اختلاف أحوالها.. إلى فضية سمكاتك أنظر وأستقي البهجة والأمل.. فأُعاود الحياة يومًا جديدًا لما تبقَّى من أيام قُدّرت من قبل الميلاد..

إليك أيها الأزرق المُحيط أنحني محبةً وعشقًا..

خطوات تترك آثارها على الرمال المبتلة بهجمة الموجة، ثم انحسارها إلى حيث كانت..

أستمتع بملمس الرمال بين الأصابع أثناء الخطو إلى أن أصل إلى مأمني..

صخرة موجودة منذ بداية الزمان نحرتها الأمواج وشكَّلتها الريح إلى أن خلقت منها مقعدًا صخريًا، تطل منه على أجمل ما خلق ربي من منظر..

درجات متفاوتة من الأزرق الفيروزي يتراوح في شفافيته بين البلوري المضيء إلى الأزرق الداكن

وخيالات فوق الماء لأجنحة طائر يخترق السماء ناصبًا عينيه على هدفٍ يختفي ثم يعاود الظهور بين الدرجات المتفاوتة من الألوان..

لحظات يمرق كالسهم قاصدًا تلك الفضية السابحة أسفل القشرة الزرقاء، ثم ينتهي المشهد بانتصار المجنح الأبيض حاملًا الطريدة الثمينة..

كم سافرت بخيالاتي مع أساطيرك من وحوش خارقة وعرائس مسترسلة الشعر ذهبية الذيل!

يداعب خيالي تلك النقوش البيضاء أشعر أنها نتاج تلامُس الموجات بعضها بعضًا.. أيُّ غزل وأيُّ عشقٍ أحياه، حين أتطلع إليك تتسرب الحياة من بين الخلايا، ترحل إليك تلتمس من نسماتك طاقة الكون ودافعها!

نعم إنها قصة عشق قديمة بيني وبين الأزرق المحيط بكل انفعالاته

في سكونه، سكون لنفسي وهدوء للكون من حولي، كما أنه يمتص غضبتي بعنفوانه وثورته كمن يقول: "أشعر بك وبتلك العواصف التي تكاد تطرحك أرضًا، الزمي موقعك فلن تزيدك الأنواء إلا صلابة وإصرارًا!"

الإسكندرية عشقي الساكن المتجدد في القلب!

حرة أنا كأحد تلك النوارس البيضاء تطوف بالمرافئ تستند على الصواري؛ لالتقاط الأنفاس ثم تعاود رحلتها غير عابئة بدفع الرياح وشدة النوة القادمة، بل قد تندفع إلى منتصف العاصفة تستدعي فورة الدماء في أطرافها تحثها لمتابعة الطيران إلى ما شاء قدرها.

أتابع المسير تحت زخَّاتٍ رقيقةٍ من أمطار بواكير الشتاء اعتدت أنا فعلها، كلما ضاقت بي الأرض بما رحُبت أنطلق إلى الجميلة الفتية مهما مرَّ عليها من زمن.

الإسكندرية، وبحرها مستودع أسرار المحبين والمكلومين على حدٍّ سواءٍ، ألتمس راحة النفس على كورنيشها، أجلس في انتظار الموعد، لم نخلفه مرةً أنا وشمس الغروب تأتي على مهلٍ، ترمقني بتلك النظرة الحانية، وكأنها تعلم ما يختلج بالقلب.

ينساب دمعي فيختلط بملوحة رذاذ الموج يحمله الهواء إلى الوجه، يلطف حرارة وجنتي

أبوح وأبوح وتستمع هي إلى شكواي دون أن تلتفت عني

أسر إليها..

أنا وحيدة سيدتي؛ فقد رحلَ مَن رحلَ ولا أرى ضوءًا في نهاية النفق

يأتيني شعاعها الحاني

يرسل ظله إلى اللا نهائية كأنها تدعوني لإرسال النظرة للبعيد

تهمس أشعتها بداخلي:

وهل هناك من نهاية لأشعتي أو سرمدية البحر؟

لا تنتظري للطريق رفيقًا، ولا نهاية بل هي مجموعة من الخُطى

تأخذك من عالمٍ لآخر بحسب ما تأمُلين، ضعي بعضًا من دفء أشعتي بداخل هذه الروح، أظهريها فوق شفتيكِ حين تبتسمين..

املئي فراغ القلب مد البحر محبةً وشغفًا، تنفسي مِلء البراح سعادة..

سافري مع الريح كما الطير، لا تتفقدي النهايات، فكل يوم هو يومٌ جديدٌ بإحداثيات جديدة، ينتج عنها مخاض يومٍ جديد..

تشرق شمسه تضيء الدنيا بما رحبت إلى أن يحين أوان الرحيل في صورة جمالية من أبدع ما خلق الرب،

قرصٌ نُحاسي متوهج، يقطر صِبغة رائعة الجمال تضفي لمساتُ دفء

حين يذوب داخل أمواج تطفئ حِممه بمائها البارد، وربما يسيح سياحة الطير يفترش البراري والحقول، فيحيل قمحها إلى سنابل من ذهب خالص، يتيه نظر الناظر إليه فيُأخذ بلُبه أخذًا قاهرًا،

أو لعلهُ ينساب متخللًا رمال الصحراء وصولًا لواحاتها؛ فتكتمل صورةً شعرِيةً ولوحة للفنان الأعظم بداخل القلب مشهد يقترن بالمغيب مرت عليه الأزمنة، لكنه باقٍ ثابتٍ ثبوت مغيب كل يوم

شرفة واسعة مترامية الأطراف، أو ربما هكذا تخيلتها لصغر السن، وما أدراكم باتساع مخيلة تلك الطفلة قابعة في مكانها في إحدى زوايا المكان، تلاعب قطة صغيرة يبدو الهناء على كلتيهما، ولكل منهما سعادة خاصة بها تشرق الشمس وتغيب على صورة العالم أجمع في دنياها.

إنهما قطبا حياتها يرتشفان من أكواب زجاجية، أو أقداح صغيرة وهناك دائمًا دخانٌ ينبعث، وأطباق من الأطايب تتوسطها مزهرية تقف بداخلها بضع زهراتٍ منتصبة القامة.

تلقي عليهم شمس المغيب تحية رائقة تكسب الوجوه الدفء ولمحة احمرارٍ لطيفة، وجهاز صغير موضوع يصدر أصواتًا ينسجم منها الجلوس، وبسمات انسجام وتواصل تسود المكان.

- إلى أين رحل الجميع؟! لم يبق منهم إلا تلك التحية الحزينة من شمس الغروب تُذكِّر الحاضر بما كان..

****

* عشق الألوان*

أحلامٌ ملونة

منذ أن تفتحت أبواب الدنيا أمام ناظريها، وهي لا ترى من حولها سوى الفراغ، تدور حياتها بداخل مكعب أبيض كبير هو دنياها الباهتة الخالية من ألوان السعادة وبهجة الأيام.

كانت ترى الجدران الخالية من الحياة، تتسرب بداخل الروح تسحب منها الفرحة..

إنها تحيا الفراغ! يا لها من حياةٍ باردة، وأي حياة مع كل هذا الفراغ..

كم تمنت أثناء طفولتها أن تحمل علب الطلاء المختلفة تمتطي سحابة ضخمة تدور بها تسكب الألوان ذات اليمين وذات اليسار تضيء بها وجه الدنيا!

دارت سنوات العمر دورتها، وكبرت الصغيرة؛ لتصبح شابة تحمل بداخل قلبها أحلامًا ملونة بعدد حبات رمال الصحاري، ونجمات السماء ودت لو أخرجتها للعالم؛ فيصبح أبهى وأجمل، رويدًا رويدًا أمسكت بفرشاتها؛ لتبدأ

تدور بوشاحٍ حريري من الألوان تمزجها، وتضع الأصباغ عليّ والجدران الرمادية؛ فيستحيل القبح إلى جمال والغِلظة الى رقة، وثلجية الحواس إلى دفء حانٍ.

ولكن منذ متى كانت أحلامنا مسارات ممُهدة نتمنى ونحلُم إلى أن نستيقظ على واقع مخالف قُدّر لنا من قبل الوجود..

هكذا اغتال الواقع الحُلم واختلفت المسارات سنواتٍ وسنواتٍ، تغيَّر فيها وجه الدنيا..

سرق الزمن وشاحَ أحلامها، والتفت حولها تلك الجدران الصماء الخاوية من الحياة والحب؛ فحُبست بداخلها الآمال والأحلام، وأزهق واقعُها الأنفاس.

أذعنت فلم تعتد رفع راية العصيان في أي مرحلةٍ من مراحل حياتها السابقة

تابعت المسار المرسوم تجرُّ وراءها أذيالًا من إحباطات، وخيبات أمل لم يكتب له الحياة..

وكان ما كان من أمر الدنيا والأقدار.. حتى ذلك اليوم نظرت إلى ما حولها؛ فلم ترَ ما يستحق البقاء

غمرت العبرات كل شيء، فتلاشت الرؤى لم تعد ترى إلا خيالًا يتراقص من خلف الدموع لباب يدعوها للرحيل؛ هاتفًا بها هلُمي وأقبلي لم يعد هناك من مخرج إلاي..

حملتها ساقاها بصعوبة، وخرجت تاركة وراءها أثرًا من الدمع باقٍ لا يجف، وخيوطًا لؤلؤية متناثرة غزت الرأس، وآلام بالنفس لا يراها إلا من عاين مثيلها في حياته..

واصلت المسير بقلب راضٍ ونفسٍ راجيةٍ..

صفت السيارة قريبًا من المبنى المتميز في حي الزمالك الرائع أشبه بڤيلا كبيرة نسبيًا.

يا له من مكان جميل يتميز بالأشجار هنا وهناك مع حديقة متسعة،

تتناثر بها التماثيل الرائعة، وفي أحد الأركان "برجولا" ومقاعد خشبية يجلس من يجلس ربما واضعًا أمامه لوحةً وبيده تستند فرشاة يكسوها لون يتقاطر؛ فينفضها برِقَّة على لوح خشبي افترشت صبغات ألوان تحيل الأبيض إلى دنيا مشرقة بروح الرسام..

يا الله! كم تمنيت أن أخطو بالأقدام هذا الصرح منذ أكثر من ثلاثين عامًا!

يوم اغتيال الحلم وتلاشيه هباءً منثورًا مع هبات رياح الأيام!

وعاد خيال وشاح الألوان الحريري، يداعب النفس المشتاقة للحلم القديم

بدأت ومضات السعادة تظهر في بريق العين، ورنة الفرح تُشعِل نبرة الصوت

بدأ فصُلٌ جديدٌ من الحياة ربما تأخَّر الوقت، ولكن لا ينتهي الأمل حتى يضع القدر كلمة النهاية..

إنها أنا أعود لالتقاط الأنفاس من جديدٍ، أحيا الحياة بعد مُضي زهرة العمر، ولم يبقَ منه سوى بضع وريقات..

توكلت على الله، وبدأت أصعد الدرج، ويعلم الله كم أعاني مشقة في الصعود إلى الدور الثالث! لكن كله يهون في سبيل البراح الذي أحياه أخيراً في هذا المكان!

وها أنا ذَا أصل إلى بوابة الجمال مفتوحة على مصراعيها!

أراه وقد اتخذ مكانه المعتاد بجوار النافذة الزجاجية، وقد ألقت الشمس بأشعتها على هذا الوجه الطيب، وتلك الملامح الأنيقة في شموخ..

وسيم المُحَيّا، واضح القسمات مليحها، شعر فضي كأنه انعكاسٌ لضوء القمر على بحر منسابة أمواجه بهدوء، عيناه عميقتان لن تصل لأغوارهما أبدًا، بحران من العسل الداكن بلا مرفأ!

كم تحاشيت النظر إليهما خشية التيه دون عودة!

كان أحد الزملاء في القسم الحُر في كلية الفنون الجميلة في أواخر عقده الخامس مهندسًا معماريًا مهتمًا بالفن التشكيلي، سرقت منه الأعباء الحياتية هوايته، إلى أن حان الوقت لتُهديه الأيام الفرصة الأخيرة لبعض السعادة

أليست تلك هي حالة الكثيرين هنا؟!

لم يكن رسم ملامح الوجه من اهتماماتي يومًا، ولن يكون أبدًا؛ فلست من هواة رسم البورتريه كبعض الزملاء، ولكنه عمل فيه، إبداع تجسيد فني لصنعة القدير.

إلى أن وقع الاختيار عليه، لتكون قسماته هي التحدي أمام البقية، أيهم سيضع تلك الملامح ويصوّرها على الورق؟!

أنا روح تهوى رسم الطبيعة على اختلاف أحوالها، قد تكون الصحراء رمالاً قاحلة وشمسًا حارقة، ببعض رتوش فرشاتي، تتحول إلى واحة جميلة يتغنى بها الشعراء.

وهكذا.. أي مشهد تتحول فيه الجمادات إلى حقيقة رائعة تفيض حياة، وتشرق بالجمال.

كيان وحيد هو أجدني أقف أمامه عاجزة عن التعبير، وتتحول أناملي إلى حجر عاجز عن الإتيان بحركة، أنفاسي تشق الصدر بصعوبة حين يبتسم في وجهي، أتلعثم حين أنظر إليه لرد التحية! وكأنما أدرك حالي وما أخفيه، اقترب بهدوء الواثق حتى جاورني، التفتُّ إليه بنظرة متسائلة، وملامح ابتسامة حائرة.

بادرني قائلاً:

- أعتذر إذا بدرَ مني تصرف ضايقك دون قصد.

رددت:

- أبدًا لم يحدث شيء، ما الذي أوحى إليك بهذا الظن؟

- أشعر أنك تتحاشِين مجرد النظر تجاهي ولا أعلم سببًا.

- يا الله! «فأر ووقع في مصيدة متلبس بقضم قطعة جبن أكبر من فمه»

ابتسمت ابتسامة بلهاء مؤكدة:

- لا أبدًا أنت مخطئ تمامًا.

امتدت يده بقطعة من «الشوكلاته» وعلى وجهه ابتسامة ساحرة قائلاً:

- إذًا هي البداية، وقطعة «الشوكلاته» هي عربون صداقة.

مددتُ يدي، وأنا أتمتم بكلمات لا أتبين فحواها من ارتباكي.. أدار ظهره وعاد إلى مقعده بجوار النافذة

انسكب دفء غريب بداخل الشرايين، غادرتني الروح هائمة، تطوف حوله، ثم عادت فسكنت الجسد، وها هو قوس قُزح ينساب على الأيام؛ فيضيئها من جديد..

- تُري أي دقات تلك التي تهُز الكيان المتعب؟ ماتلك الإشارات التي تتلقاها الروح بعد أن جفت ينابيعُها؟ وهل لي من أمنية أخيرة؟!

- أتكون أنت لؤلؤة السوار.. مَن يدري؟!

وها أنا ذا ما زلت أبحث هنا وهناك عن بقيةحبَّات سواري

وأعلم يقينًا أنني سوف أضعه كاملاً في يومٍ من الأيام

النهاية

المحظوظون

بقلم: الكاتب الأردني: رامي دولة

كان قد استهل نزهته اليومية بعد قيلولته المعتادة، وكانت تراوده مشاعر فياضة من السعادة بشكل لم يستطع تفسيره، حتى إنه لاحظ مشيته وكأنه على وشك أن يقفز في كل خطوة. وصل عند بداية السوق ثم توقف قليلًا، ونظر حوله ولم يدرِ لمَ تملَّكه شعورٌ غريب، ولكن سرعان ما تجاهله وأخذ يكمل مشواره عندما استوقفه صاحب محل الخضار الذي ناداه باسمه، ودعاه ليشرب معه الشاي.

لقد أصبحت هذه النزهة عادة يومية بالنسبة له ولا يقطعها إلا سوء الاحوال الجوية، أو الارتباطات الاجتماعية التي لا يمكن التنصل منها، ولكنها المرة الأولى التي يستوقفه فيها أي من أصحاب المحال ولم يخطر له أنَّ أحدًا منهم يعلم من هو، أو حتى انتبه له خلال تلك السنين، فكل صاحب محل مشغول بزبائنه ولا يتذكر إلا أولئك الذين يترددون دائمًا عليه، وهو بالرغم من كونه من سكان تلك المنطقة، ولكنه نادرًا ما كان يتسوق بنفسه وإن فعل، فإنه يذهب إلى الأسواق القريبة من منطقة عمله.

بعد كلام المجاملات والأسئلة التي لا تنتظر عادة أيَّ إجابات عن الحال والأحوال أحضر غلام صينية عليها إبريق شاي وفناجين وبعد أن ارتشفا بعض شايهما، بدأ صاحب محل الخضار بالكلام واستسمحه أن يسأله بعض الأسئلة، ولكن بشرط أن يجيب عن الأسئلة في سره فقط، فوافق:

- هل كان هناك شخص ذو تأثير عليك في طفولتك؟ وكان على وشك الإجابة جهرًا عندما نظر إليه صاحب محل الخضار، وذكَّره ألا يفعل. فأجاب في سره:

- نعم.

- هل تذكره بعينه أم تذكر فقط وجوده؟

فأجاب في سره:

- أذكره بعينه و...

فرفع صاحب المحل كفه، وكأنه مقاطعً لإجابته وقال:

- لا تكمل، ثم تابع قائلًا:

- أنت من المحظوظين، أكمل شايك، وأنا سوف أذهب لأتابع الزبائن.

ارتشف آخر رشفة، ونهض، والتفت يفتش بناظريه عن صاحب المحل؛ فلم يجده؛ فخرج وأخذ يكمل نزهته التي قاطعها صاحب محلٍّ آخر بعد خطوات من محل الخضار، الذي هو أيضًا ناداه باسمه، وأكمل جميع التفاصيل التي مرَّ بها عند صاحب محل الخضار حتى انتهى باستسماحه أن يسأله بضعة أسئلة بشرط أن يجيب عنها بسره:

- هل أحببت يومًا بكل ما أوتيت من حب؟

- نعم، وأنا محظوظ؛ لأني...

فقاطعه صاحب المحل وطلب منه ألا يكمل وقال له:

- أنت فعلًا من المحظوظين.

وتمامًا كما حصل له عند محل الخضار، حصل له عند المحل الثاني، وخرج ليكمل نزهته، ولكنه بدأ يشعر أنه لم يعد يريد أن يكمل مشواره، وأنه يريد أن يعود أدراجه. وهو بين أن يكمل، أو أن يعود، سمع اسمه من بعيدٍ وإذ بصاحب أحد المحلات يدعوه فذهب لسببٍ واحدٍ فقط، وهو أن يعرف ما هو السؤال الذي سوف يسأله الآن: "هل ظلمت أحدًا؟" بدأت صور الأشخاص تتوالى في عقله، ثم أجاب في سره: "لا أذكر أحدًا بعينه، ولكني متأكدٌ أني ظلمت أكثر من شخصٍ واحدٍ، وربما... وأيضًا قاطعه صاحب المحل، وأنهى بنفس العبارة:

- أنت فعلًا من المحظوظين.

وعندما همَّ بالخروج قال له صاحب المحل:

- الآن عليك الذهاب إلى المحل المقابل؛ فصاحبه بانتظارك هناك.

خرج من المحل وقطع الشارع الذي كان فارغًا من السيارات، ودخل إلى المحل. كان المكان فارغًا تمامًا، ولم يكمل التجوال بناظريه حتى أتاه صوتٌ، وطلب منه الجلوس، ففعل. ثم أكمل الصوت قائلًا:

- السؤال هو: هل تعتبر نفسك سعيدًا؟

فأجاب في سره: "أظن ذلك".

- هل ما زال هناك شيءٌ تريد تحقيقه في حياتك؟

- ليس حقًا.

- ماذا لو جاءك الموت الآن يطالب بحقه في روحك؟

- هذا ما كنت أتمناه منذ طفولتي؛ فأنا...

فقاطعه الصوت، وطلب منه أن يتوقف، ثم أكمل الأسئلة:

- هل رجعت من عملك اليوم في الوقت المحدد؟

- نعم.

- هل أخذت قيلولتك المعتادة؟

- نعم.

- ماذا فعلت بعد أن صحوت؟

تردد قليلًا، ثم أجاب:

- لا أذكر. استغرب من إجابته، فكيف به لا يتذكَّر ماذا فعل بعد قيلولته!

- كل يوم بعد القيلولة، أعمل على رعاية ورودي وأزهاري أمام المنزل، ثم أنطلق في نزهتي، أما اليوم فلا أذكر أني فعلت أيًّا من ذلك!

- هل تريد أن تتذكر؟

- لا، لا أريد.

ثم تابع في سره:

- أنا في الحقيقة سعيدٌ هنا أكثر من أي مكانٍ آخر، وأكثر من أي وقتٍ آخر.

- إذا أنت تعلم أين أنت؟

- نعم.

- وتريد البقاء؟

- نعم.

- أنت الوحيد الذي لا أعلم ماذا أقول له؟ فعادة المحظوظين أقول لهم إنه ما زال لديهم في الحياة بقية، ثم يرجعون فرحين، وتستقيم كثير من أفعالهم، ويصبحون أكثر فرحًا بما لديهم! هل علمت من أنا؟!

- أنت من كنتُ دائمًا بانتظاره، وأسعى دائمًا إلى يوم لقائه، حاولت العيش في الأولى، وأنا كنت دائمًا بانتظار الثانية. نعم أعلم مَن أنت! أنت من سيخلصني من سأمي، أنت من سينقلني من حياة بلا معنى إلى حيث لا تنتهي المعاني. أنت الموت!

- نعم أنا الموت آتي لحفنة من المحظوظين، وأهز أركان طمأنينتهم، وحتى يعلموا أنَّ لكل بداية نهاية.

- ولكني أتوق إلى النهاية.

- جئت كي أنبئك أنك من المحظوظين؛ فإذا بك قد علمت أني حقًا أقول لك إنك لا تزال من المشؤومين حتى يأتي ذلك الحين، ولن يأتي لك أنت بالذات، حتى تتمنى الحياة وتتشبث بها كي تحقق أمنياتك، ويكبر طموحك ثم آتيك بغتةً، وأنت في عز سعادتك في دنياك!

- لكنى قط لم أحب الحياة، وإلى الموت أتوق..

فقاطعه الموت وسأله:

- أهروبًا من حياتك تتوق إلى الموت؟!

- كنت تواقًا للموت قبل أن تكون لي حياةٌ.

وتابع في سره:

- عرفت ممشى الحياة ممن سبقوني، وقالوا إنهم يربونني ويعلّمونني. قالوا لي قوانين وسنن حياة، وفيها لم أجد أيَّ حافز، وكنت دائمًا أصاب بالملل والناس من حولي يركضون يطلبون الأمل، أما أنا فأملي كان بأن ألقى موتي سريعًا حتى أعيش الحياة التي بنظري أستحق.

- خبأت جوابك من الأولى في الثانية، ولكنك تعلم أن مني لن تستطيع

تورية حديثك؛ فأنت كما قلت تواق للثانية، ولكن هذا لا ينفي هروبك ومقتك من الأولى. كنت قد جئتُكَ، كما قلت لك، لأنك من المحظوظين. أما الآن فاسمع ما عليك وأنت قرِّر إن كنت من المحظوظين أم من المشؤومين. ثم أكمل حديثه:

- فستبقى فيها حتى تعلم كيف تحبها، وتحبها بقدرٍ لا ينسيك حبك للثانية؛ لَإن أحببتها ونسيت الثانية جئتك على عجلٍ، وعلى غفلة منك ورميتك عند المنسيين.

- ومن هم المنسيون؟

- هم أدنى وأسفل منزلة من المشؤومين، هم مَن لا تقع عليهم عينٌ، ولا يحزن عليهم أحدٌ. ثم تابع:

- وإن بقيت على حبك للثانية ومقتك للأولى، تركتك فيها حتى آخذ آخر روحٍ، ولا يبقى بعدك إلا من لعن ليوم الدين؛ فجد بين ذلك سبيلاً تجدني جئتك على هون، وبلقائك نكون من الفرحين.

- وكيف لي...

فقاطعه صوت الموت وقال:

- افتح عينيك، وعش حياتك ولا تنسَ نزهتك ولا صاحب محل الخضار، وإن أردتني واشتقت إليَّ؛ فأغمض عينيك وأوقف أفكارك، تجدني بصوتي معك ودائمًا ناصح لك!

سر الحياة

بقلم : دانة الخياط

كان صباحًا جميلًا مميزًا، عندما فتحت عينيها وتنفست بعمقٍ، ابتسمت وتثاءبت بدلالٍ متغنية بعذوبة النوم والراحة، فلم يعد في عروقها أيُّ أثر للمرض!

- حمدت الله حمدًا كثيرًا، فحقًا الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المَرْضَى..

كم عانتْ مع المرض! وهي الآن متعافية يملؤها شعور غامر بالسعادة والإقبال على الحياة.

تناولت إفطارًا خفيفًا، وتوجهت إلى الجريدة حيث تعمل، كم تفتقد زميلاتها! وكم هي فخورة بهن وبوقفتهن إلى جانبها وقفة الأخوات في الأزمات! بعد أن حيَّت زميلاتها وهنأتها بالسلامة، دخلت إلى مكتبها، طلبت من نرجس أن تعد لها فنجانَ القهوة التركي الذي تحبه وتفتقده.

تأملت نرجس:

- ما أروعها! إنها تحمل في قلبها مصباحًا صغيرًا منيرًا هو حبها لطفلتها الصغيرة، تقوم بعملها كل يوم بنشاط وحماس، نفس العمل ونفس الروتين

والجمود، ومع ذلك تقوم به بنفس النشاط والحماس كل يوم، فهدفها واضح وهو رعاية طفلتها، وتعهدها بالحب والحنان المتواصل، وهي تشعر أن كفاحها جميلٌ ومميَّزٌ، وهذا أقصى ما تستطيع أن تفعله..

طلبت من نرجس أن تُعِدَّ لها فنجانًا آخر من القهوة التركي، وسألتها عن أحوالها وعن فتاتها الصغيرة. ثم أمسكت قلمها وبدأت تكتب أولى مقالاتها بعد رحلة المرض، فكتبت الآتي:

"بعض الناس يعاملون الحياة ببرودٍ وعدم مبالاة، كأنهم يؤدون واجبًا ثقيلًا، لا يحبونه ولكنهم لا يستطيعون الهروب منه، وبعض الناس يجاملون الحياة، كما يجامل موظف صغير رئيسًا قاسيًا، وبعض الناس يائسون لا يشعرون بقيمة الحياة، أو أي معنى جميل فيها، ولا يستمتعون بها، إنما يستسلمون للكآبة والملل، أما بعض الناس فتمتلئ قلوبهم بالعواطف والرضا، يحبون الحياة ويقبلون عليها، فالحياة في نظرهم رائعة، كل ما فيها جميل وعذب لأنه "حي"، الناس كائنات جميلة، وكلُّ إنسان قريب من النفس والقلب، وكل الحالات في الحياة مقبولة، مَن لا يكفون عن الضحك والمرح، يعيشون أيامهم بشجاعة ودون خوفٍ، يُقدِّرون كل معنى إنساني كبير من حب، صداقة، إخلاص، وفاء، شهامة، كرامة، كرم، مروءة، تعاطف، ضمير حي، يمنحون عواطفهم لكل شيءٍ في هذه الحياة، وقلوبهم مفتوحة للجميع، يمقتون الغرور، والأنانية، وقسوة القلب، تتسع قلوبهم لتشمل جميع البشر، يفتحون أذرعهم بلا تردد، ويندفعون إلى الذين يقيدهم الحزن، ويجهدون أنفسهم؛ ليعيدوا لهم إحساسهم بالحياة وحماسهم لها، تتسع قلوبهم للأطفال، للنساء، للكبار، للبسمة والدمعة، للفاشلين والظافرين، تحيَّاتهم حارة، يحترمون الحياة، يحترمون الناس ووجهات نظرهم، يحترمون إنسانية الإنسان، ويطلبون منه أن ينفعل مع الحياة بنفس

حرارتهم وحماسهم، ليس هذا فحسب، بل إن إحساسهم الشامل بالحياة يمتد ليشمل الأرض، والأزهار والأعشاب، والطيور، والجمال؛ فهم يرون الحياة في كل شيء، ويشمون رائحتها العطرة في كل شيء، إنَّ أجمل ما يمكن أن نتعلمه من هؤلاء المقبلين على الحياة، هو أن نتقبَّل الحياة ونعيشها بشجاعة، فنبحث عن المعنى الإيجابي في التجارب التي نعيشها.

فالفشل الذي يواجهنا أحيانًا، والصدمات التي تتعرض لها نفوسنا الرقيقة، والظروف الصعبة التي تحيط بنا أحيانًا، يجب ألا تجعلنا نستسلم لسحر الفشل وإغرائه، يجب ألا تجعلنا نفتقد القدرة على مواصلة الحياة والرغبة في الاستمرار، إن تقبُّل الحياة يحتاج إلى نفسيات متفتحة حية، ترى في الفشل خطوة إلى النجاح، وفي الألم طريقًا إلى السعادة، ولا تسمح للحقد والمرارة أن يتسربا إلى نفوسهم، أو أن يجلبا لهم الضيق، من ثَمَّ يفقدون القدرة على التعاطف مع أي شيءٍ جميلٍ في هذه الحياة، إن سر الحياة يكمن في التسامح واتساع الذهن والعاطفة، في الحب الشامل، واحترام الحياة حتى لو كان في أبسط مظاهرها وأقلها أهمية، في النظر إلى الإنسان بعاطفة تغفر كل شيء ولا تعرف اللؤم، في التفاؤل، في الابتسامة الدائمة في وجه الأفراح والأتراح التي تقدمها الحياة..“

انتهى المقال، سلَّمتُه إلى مكتب التحرير، عادت إلى بيتها يملؤها شعور غامر بالرضا، السعادة، والحيوية، ابتسمت وقالت لنفسها:

- حقًا.. الحياة لا تعطي سرَّها وسعادتها بسهولة، والذكي من يُدرِك أن سِرَّ الحياة هو الحب الشامل، أَحَبّوا الحياة.. احتضنوا الحياة..!

لأجلك ريحانة!

بقلم : دانة الخياط

الساعة هي الثالثة فجرًا، أوان السحر، يجافيني النوم، أتقلَّب في فراشي، ويشتعل الحنين، تداعب أنفي رائحة خبز أمي المخبوز على حطب شجر الصنوبر، وتعود بي الذكرى إلى وطني وبلدتي التي وُلِدتُ فيها، هناك عشت طفولة جميلة، مع عائلة رقيقة الحال، عميقة الإحساس، وأم حنون. ابتعدت عن أمي مرتين، إحداها وأنا في العاصمة على مقاعد الدراسة في كلية الطب، والأخرى الآن في لندن لأتخصص في الطب النفسي، كم أتمنى أن تنتهي سنوات البعد! فلا قوة لي على الغربة، لا أطيق الوحدة، وأحن دومًا إلى أحضان العائلة ودفئها.

لاح أوَّلُ وميض من الصباح فتوجهت إلى منزل ريحانة، التي حيرتني حالتها، صدمتها بفراق والدتها كانت وما زالت قاسية عليها، لكن التزامها الصمت، ورفض الاستجابة للعلاج النفسي، يثيران قلقًا كبيرًا عليها.

كعادتها، كانت تجلس بهدوءٍ قُربَ النافذة، ملتفة بوشاح صوفي أبيض نقي، هزَّت رأسها عندما حييتها وأكملت الحياكة، ران الصمت المعتاد.. حتى عندما أبديتُ إعجابًا بمشغولاتها الصوفية ذات الألوان الرقيقة الهادئة، وصندوقها

الخشبي العتيق، لم تكلِّف نفسها عناء النظر، أو حتى الرد عليَّ. قلت لها مستفزًا:

- سأسافر خلال الفترة القادمة لزيارة أمي، اشتقت لها!

في تلك اللحظة، توقفَتْ عن الحياكة ورفعت رأسها، ورأيت في عينيها الكثيرَ من الرقة والصدق، رأيت حزنًا عميقًا.. ألمًا ومعاناةً يحركان الحجر، لاحت دمعة في أعماق عينيها وقالت:

- وأنا أيضًا اشتقت لأمي!

نظرتُ إليها مشفقًا وقلت لها بحنوٍّ بالغٍ وتعاطُفٍ صادقٍ:

- لِمَ لا تسردين عليَّ ما حدثَ؛ علَّني أسهم بتخفيف وطأة الحزن وتسكين الألم، الجميع يرثي لحال من يمر بفترة حداد، لكنهم لا يدرون ما يقولون أو يفعلون ليمدوهم بيد المساعدة، ساعديني لأساعدك على اجتياز هذه المرحلة التي هي بالتأكيد أسوأ ما مَرَّ عليكِ في هذه الحياة، ورويدًا رويدًا ستعودين لطبيعتك المعهودة وتمضين قدمًا في حياتك.. هزَّت رأسها موافقة وابتسمت بركن فمها وقالت بوعي ناضج:

- إنها بكل الأحوال تتأذى، فالفراق سيظَلُّ مؤلمًا يحطِّم الروح ويفطر القلب، لكن قد يكون في الفضفضة متنفسٌ علاجيٌّ لمشاعر مكبوتة! عندها تنفستُ الصعداء، وحدَّدنا مواعيد الجلسات القادمة، وعندما هممت بالمغادرة قالت لي بانكسارٍ واضحٍ:

- أرجوك لا تتركني!

اتخذت الجلسات العلاجية التالية شكلًا أكثرَ فاعلية، فقد خرجت ريحانة عن صمتها، وبدأت تعبِّر عن كل ما بداخلها، فتارة تكون بركانًا هائجًا خمد لمدة طويلة ثم ثار فجأةً، وتارة تنهال دموعها على وجنتيها حارة كمعدن منصهر،

وتارة تشرد وتظهر في عينيها نظرة الشتات والألم العميق، وتارة تطلق تنهيدات حارة وآهات متوجعة، وتارة تضحك ساخرة تهذي متسائلة:

- أيعقل أن تكون أمي قد رحلت؟! هل حقًا أحب الناس إلى قد ماتت، وأصبحت من الأمس؟! قالت ريحانة:

- إنها كانت تعيش ووالدتها حياة هادئة كبحيرة رائقة مياهها راكدة، وسقط حجر في تلك البحيرة الساكنة بغتة مشكلًا دوائر كثيرة في البقعة التي سقط فيها، عكر صفو هدوئها، كحياتها تمامًا فقد داهمتها الأحزان وبعنفٍ؛ فاهتزت معها كل أركان الحياة!

- في تلك الليلة كانت أمي تجلس بهدوءٍ قُربَ النافذة، ملتفة بوشاح صوفي أبيض نَقيٍّ، تحيك الصوف وتشكل منه بطانيات للأطفال المتضررين جراء الحروب وويلاتها ضمن مشروع خيري، كان وجهها شاحبًا ذابلًا على غير العادة، وكانت توصيني بنفسي.. تملكني شعور مخيفٌ وقتها، وارتطم جسد أمي بالأرض، ومضى كل شيء سريعًا، سيارة الإسعاف، المستشفى، أصوات الأطباء والأجهزة، ثم ساد صمتٌ مرعبٌ ثقيلٌ وفراغٌ خاذلٌ، حجرة باردة وأمي مضطجعة شاحبة بلا حراك. نظر إلى الطبيب بدفءٍ وقال: "البقاء لله!"

وغاص قلبي في صدري، أمي في الثلاجة! منصة التغسيل، الكفن، التراب، الوداع، هيبة العزاء، ألمُ الفقد.. وانفض الجميع، وبقيتُ وحدي دون أمي، شعرت ببردٍ شديدٍ، ناديتُها فلم تُجِبْ! ودفنت رأسها بين راحتيها باكية، ذاب قلبي بل تحطم حزنًا عليها.

في الجلسة الأخيرة، عادَ وجه ريحانة إلى الإشراق، وكانت تخيط الصوف بجد بغية أن تنهي ما بدأته والدتها، وأدخلتني في حيرة شديدة.. فكيف أخبرها أنني على وشك السفر لزيارة أمي! وأخبرتها في النهاية فصمتت!

وفي اليوم المحدد للاحتفال بانتهاء مشروع البطانيات، عُدتُ، فنظرتْ إلى بفرحٍ غامرٍ، وسألتني:

- لم عُدت؟

فأجبت:

- لأجلكِ ريحانة!

فقالت بدلالٍ:

- عُلِّمنا منذ القدم أنك إذا أردت شيئًا وبشدة فأطلِق سراحه، فإن عاد إليك فهو مِلكٌ لك، وإن لم يعد فهو لم يكن لك منذ البداية!

عين الأفعى!

بقلم : فيكتوريا حبيب

قُبلاتٌ صغيرة انهمرت على وجهه كقطرات الندى!

في مثل هذا الوقت من كل عامٍ تزوره في أحلامه، تمسك بيده ويمشيان معًا بين شجرات البرتقال. يركضان ويضحكان كالأطفال:

- سلمى، كم أحبك يا أميرتي الصغيرة!

فرك عينيه المتعبتين ليجد كلبته سلطانة أمامه، ترمقه بحب غير مشروط.. تنهد وابتسم قائلًا:

- صباح الخير يا حلوتي. لا تقلقي، أنا بخير. كنت أحلم بها مجددًا. هيَّا بنا نزور جراءك ونعمل بالأرض، إنه موسم البرتقال الحزين.

العم صالح كان في صحة جيدة بالنسبة لرجل شارف على السبعين من عمره، أحيانًا كان يزوره ألمٌ مألوفٌ كصديقٍ حميمٍ، يصافحه ويسأل عن أخباره، ثم يرحل مرةً أخرى. كانت تلك إصابة قديمة في ساقه المزروعة بشظايا يوم أسود. في ذلك الوقت، كان في الثلاثين من عمره وقد ترقَّى لتوه ليصبح ضابطًا

في قسم مكافحة المخدرات بعد خدمته الممتازة في قسم البحث الجنائي في السنوات الخمس الأخيرة. "ملاك الموت"، هكذا لقَّبَه زملاؤه في العمل؛ لأنه كان محققًا محترفًا يصيد المجرمين كما يصيد الذباب!

اقترن صالح بفتاة أحلامه، سلمى ابنة الجيران الشقية التي كانت تسرق منه ألعابه وقطع الحلوى. كبرت سلمى وأصبحت طبيبة في المستشفى الحكومي في المدينة.

دمعت عيناه وهو جاثٍ على الأرض يقتلع العشب الضار، وتمنَّى لو استطاع اقتلاع الذكريات المؤلمة من مخيلته مثل هذه الأعشاب المؤذية. مازال ذاك اليوم حيًا يرزق في ذاكرته التي لا تهرم.

كان يومًا ماطرًا من أيام كانون الأول، استيقظ على رائحة القهوة التي تسللت كلص ظريف إلى غرفة النوم، وصوت سلمى وهي تدندن مع فيروز على المذياع: "أنا لحبيبي وحبيبي إلِي، يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي."

كان بيتهما أنيقًا كحبهما، يحتضن أحلامهما معًا، كُتب سلمى ولوحاتها، مكتب صالح الصغير الذي يعمل فيه على قضاياه في المساء، وأحواض النباتات التي يعتني بها في الشرفة.. رنَّ الهاتف، وبعد لحظات سمع سلمى، وهي تصرخ هلعًا:

- مَنْ؟ مَنْ أنت؟ وماذا تريد منّا؟

ركض صالح باتجاه غرفة الجلوس، وانتزع السماعة من يدها.

- أنا الضابط صالح شاهين، مَن معي؟

تقيأ الهاتف صوت قهقهة مجلجلة تقشعر لها الأبدان.

- الضابط صالح، كيف حالك يا ملاك الموت؟ مبروك الترقية. ربما لن تتذكرني، ولكني أذكرك جيدًا، وأتابع أخبارك أولًا بأول، لدي أصدقاء كثر في السجن وخارج السجن، وأستطيع أن أصل إليك و... إلى عائلتك أيضاً ها، هل تذكرتني؟!

صمت صالح لعدة ثوانٍ بدت دهرًا، وأخذت تتوالى على ذاكرته صور المجرمين الذين قبض عليهم في الخمس سنين السابقة، كأنه يشاهد فيلمًا بوليسيًا، وأخيراً استوقفته صورة رجل نحيل بعينين خضراوين آثمتين وأنف معقوف إنه.. ماجد السيد، أو "الغول"، رئيس عصابة متخصصة في تجارة الأسلحة وغسيل الأموال. قبض صالح عليه بعد مطاردة دامت سنة ونصف، تظاهر فيها أنه لص مثله وانضم إلى عصابته.

- ماذا تريد منِّي؟

- لدي شحنة أسلحة أريد أن أهرِّبها عبر الحدود إلى سوريا، وأنت سوف تساعدني في إدخالها، إذا رفضت سأضطر لإيذاء عصفورتك الجميلة.. الشحنة ستخرج يوم الجمعة. أمامك أسبوع؛ لتفكر بالأمر. سلامٌ يا.. صالح!

حدَّق صالح طويلًا في السماعة التي في يده بذهولٍ، لا بُدَّ أنه يحلم!

هل حقًا حدثَ ما حدثَ؟ صرخت سلمى وهي تبكي:

- صالح، ما الذي يحدث؟ مَن هذا الشخص؟ وماذا يريد منك؟ أخبرها صالح بكل شيء، وهي تبكي دون انقطاع..

- ماذا ستفعل؟

- لن أساعده بالطبع، أريدك أن تذهبي إلى مزرعة جدي في القرية لبضعة أيام. حياتك في خطر هنا، رجاله يراقبوننا، ولا أريد أن يحصل لك مكروه.

- لا يا صالح، لن أتركك. أجننت؟! ماذا عن عملي في المستشفى؟

- سلمى، أنصتي لي جيدًا. ماجد السيد رئيس عصابة خطيرة جدًا، ولا يزال يدير عملياته من السجن. حياتك في خطر! آسف يا حبيبتي! دعيني أحل المشكلة. أنا السبب في هذه المصيبة، وسوف أتخلص منها.

نبحت سلطانة وأعادته إلى الأرض التي احتضنته في طفولته، وها هي ذات الأرض ترافقه في كهولته. أخذت الكلبة تجره من بنطاله، ثم ركضت باتجاه كومة من الصخور، انزلقت من خلفها أفعى مرقطة بعيون خضراء وهاجة، واختفت كومضة برق. نهض ببطءٍ واستند على معوله، وأشار لسلطانة أن تسكت، هاتان العينان الخضراوان اللتان تطاردانه في كل مكان تأبيَا أن تدعاه وشأنه. أربعون عامًا مضت على ذلك الحدث الذي غيَّر مجرى حياته بأسرها، لكنه يتذكره كأنه حصل بالأمس.

بعد أن أرسل سلمى إلى مزرعة جده في القرية بطريقة سرية، قرَّر أن يطلب مساعدة صديقه إياد صادق الذي يعمل في أمن الدولة. قام إياد بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية المعنية، والاتفاق مع صالح أن يوهم الغول أنه سيساعده في تهريب شحنة الأسلحة عبر الحدود، وفي يوم الجمعة المشؤوم تم القبض على أعضاء العصابة وزُجُّوا في السجن مع رئيسهم، وصادرت الشرطة شحنة الأسلحة التي كانت ستذهب إلى مجموعات إرهابية عبر الحدود.

ذهب صالح لإعادة زوجته من المزرعة.. ويا ليته لم يذهب.. في طريق العودة إلى المدينة طاردتهما سيارة سوداء، حاول صالح أن يسبقها، لكن سيارته القديمة خذلته ولحقت به السيارة، ثم بدأ رجل ملثم بإطلاق النار منها على سيارتهم، حتى فقد صالح السيطرة عليها، وتدحرجت بهم إلى أسفل وادٍ سحيق، وانفجرت في لحظة ارتطامها بشجرة بلوط عملاقة، وحين استفاق صالح من غيبوبته المؤقتة، وجد نفسه مرميًا فوق نباتات الصبار. ركض باتجاه السيارة التي ابتلعتها ألسنة اللهيب.

- سلمى، سلمى.. كلا.. لا تتركيني.

في اليوم الذي ماتت فيه سلمى، مات هو أيضًا. لم يعد ذات الإنسان، كان كَمَن فقدَ ذراعه، أو ساقه في معركة ضارية، ولا يزال يشعر بذلك الطرف المبتور. طيف سلمى لم يفارقه أبدًا، فهي أقربُ إليه من حبل الوريد. ترك صالح عمله في قسم مكافحة المخدرات، واعتزل عائلته وأصدقاءه وعاد إلى القرية، فكَّر كثيرًا أن يثأر لزوجته، ويقتل ماجد السيد، لكن حزنه العظيم ابتلع غضبه كالحوت، ولعن نفسه ألف مرةٍ لاستقامته واحترامه القانون.

وحين جاءه نبأ مقتل الغول في شجار في السجن بسبب تسلطه وقسوته، لم يشفِ ذلك الخبر غليله، ولم يُعِد إليه حبيبته وصديقته وحياته: سلمى. ذهبت وذهب كل شيء جميل معها.

صوت أنين سلطانة اخترق قلبه كالخنجر، حاولت كلبته المخلصة أن تدافع عنه، لكن الأفعى انقضت عليها، ولدغتها في يدها. صرخ صالح صرخة مدوية: "لاااااا".. وأخذ يضرب الأفعى بالمعول على رأسها مرارًا حتى سال الدم منها، وتوقفت عن الحركة.

بعد ساعات، وجد نفسه في المنزل يجلس على كرسيه الأخضر المفضل. أشعل سيجارة أخيرة وأضرم النار في سائل الوقود الذي أغرق ملابسه؛ فانتفض اللهيب من حوله كخاتم من نار. طيف سلمى الملائكي حمله من كوخه المحترق وأنزله بحب تحت شجرة البرتقال، أيقظته رائحة الدخان الخانق. حين فتح عينيه أبصر سلطانة، بفرائها المتشح بالسواد، تلعق وجهه وتعوي كالذئاب!

نابليون وسط البلد!

بقلم : فيكتوريا حبيب

زحف المساء بطيئًا على سماء أيلول اللازوردية؛ ناشرًا فوق عمان بساطًا مرصعًا بالنجوم المتلألئة. وازدحمت شوارع وسط البلد بروادها، من المحليين والسياح، الذين يطاردون المحادثات والتذكارات والأحلام السعيدة.

على الرصيف الممتلئ تمامًا بالعابرين والباعة المتجولين، وقف بائع أعمى يرتدي زِيًا مغربيًا، ويروج لبضاعته بنداءات موسيقية. لم يفهم الناس كلماته بالضبط، لكنهم انجذبوا إلى صوته العذب وملابسه الغريبة، بدا شخصية خارجة من كتب التاريخ، أو زائرًا غامضًا قادمًا من بلاد ألف ليلة وليلة.

روائح القهوة العربية، والشاي بالنعناع، والنارجيلة بنكهة الفاكهة الزكية امتزجت في الهواء المشبّع بالموسيقى، وهوَّمت فوق الأرصفة القديمة والشوارع المزدحمة. بعض الناس في المقاهي التي تحفُّ بالطريق دخنوا النارجيلة، مفتونين بالدخان الغامض، والبعض الآخر كانوا يدردشون ويخوضون في أحاديث مسطحة، فقط لتزجية الوقت وملء الفراغ. وهناك مَن يلتقطون الصور

لأنفسهم لنشرها على صفحات التواصل الاجتماعي الحافلة بالمتناقضات؛ ليغذوا حاجتهم للاهتمام، أو السعادة، وربما الحب. فضلًا عمن انهمكوا في مراقبة غيرهم، ولو أن الفضول والملل خليطٌ قاتلٌ، يخترعون القصص والسيناريوهات، حيث الاحتمالات اللامتناهية!

"خزانة الجاحظ"؛ المكتبة الصغيرة على زاوية الشارع، ليست مكتبة اعتيادية؛ لأن أحد زبائنها وقرائها النهمين هو نابليون، بالطبع ليس نابليون الحقيقي.. هذا الرجل، الذي يلقبونه نابليون وسط البلد، بسبب ملابسه الشبيهة بالإمبراطور الفرنسي المعروف، كان يذرع شوارع عمان لساعاتٍ طويلةٍ، بيده صولجانه، وربما يظن في دخيلته أنه يحكم مدينة التلال السبعة.

لا يعرف أحدٌ اسمه الحقيقي.

كان يرتدي قبعة برتقالية مبهرجة، ومعطفًا عسكريًا أحمر طويلًا تزينه أوسمة ملونة، وحزامًا أصفر وحذاءً أسود لامعًا. كان رجلًا ملبوسًا بجنونٍ أرستقراطي، وعبقرية رجل عسكري. أحيانًا، كان يجامل معجبيه ويبادلهم أطراف الحديث. وأحيانًا، كان يمشي كإمبراطور لا يبالي بالناس ولا يكترث للعالم من حوله. كان يختفي لأيام، ثم يظهر فجأة وكأنما من اللامكان!

جلس على مقعد خشبي قبالة كشك الكتب، يقرأ كتابًا عن الإسكندر الأكبر ويدخن غليونه فتتصاعد غيمة دخانية لترسو فوق رأسه كالتاج. انشغل نابليون بالكتاب ولم يلحظ جموع السياح الذين حاولوا أن يتحدثوا معه، أو يلتقطوا صورةً له. سمعوه يتمتم:

"لا يوجد مستحيل أمام مَن يحاول". ظلَّ يردد هذه الحكمة مثل التميمة.

اقترب سائح إنجليزي من صاحب الكشك النحيل الجالس على كرسيٍّ خشَبِيٍّ، يشرب شايًا بالنعناع، ويرتب مجموعة من الكتب.

أبو عمر يبيع الكتب المستعملة والجديدة منذ ثلاثين عامًا لزبائنه الذين يثقون بذائقته الأدبية، ويقدرون شغفه باقتناء الكتب الممنوعة.

"مرحبًا".. قال الإنجليزي بينما تعلو وجهه ابتسامة مهذبة.

- أهلًا وسهلًا. كيف يمكنني مساعدتك يا سيدي؟ أجاب أبوعمر.

- من هذا الشخص المثير للاهتمام؟ يبدو كأنه شخصية من قصة خيالية.

- آه، أنت تعني نابليون!

- نابليون؟

تمتم الرجل الإنجليزي.

- أجل، هكذا يناديه الجميع:

- الإمبراطور العظيم نابليون!

أشار أبو عمر للسائح الإنجليزي بالجلوس على كرسيٍّ خشبيٍّ قريبٍ، وصبَّ له شايًا في كأسٍ زجاجية شفافة، وزينها بوريقات النعناع الخضراء. جلس بيتر السائح الإنجليزي على مقعده، وأخذ رشفة من كأس الشاي، وهو ينصت باهتمامٍ شديدٍ إلى حديث أبوعمر، قال أبو عمر:

- يأتي نابليون كل يوم الساعة 12 ظهرًا، ويبقى لساعات يقرأ كتبَ التاريخ والفلسفة، يمشي في شوارع المدينة طوال اليوم، وينام تحت النجوم في المساء، لا أحد يعلم اسمه الحقيقي. بعض الناس يقولون إن اسمه رمضان حرب، طالب جامعي أتى من غزة في السبعينيات. وبعضهم يقول إنه كان ناشطًا سياسيًا

يدعى نبيل حمدان الذي عذبه رجال المخابرات حتى فقد عقله، أصبح يظن أنه نابليون، ويقول إنه يريد أن يحكم إنجلترا!

ضحك السائح الإنجليزي بطريقة هستيرية، لكن نابليون رمقه بنظرة العارف بالغيب، وابتسم!

الأجنحة القرمزية

بقلم : فيكتوريا حبيب

أذكر أول مرة حلَّقتُ فيها.. كانت تجربة مرعبة وساحرة في ذات الوقت. كنت أجلس في العش مع إخوتي نراقب أمي بانتباهٍ وهي تعلمنا كيف نطير لطالما انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر، وها قد أتت.

واحدًا تلو الآخر، بدأ إخوتي يحركون أجنحتهم الصغيرة وحلَّقوا لبضعة أمتار، ثم حطوا على شجرة زيتون معمَّرة بجوار أمي الفخورة، فيما بقيت أنا وحدي في العش، أرتعد في مكاني. نظرت إلى أمي وأصدرت صفيراً حادًا، بلعتُ ريقي ثم تقدمتُ ببطءٍ إلى حافة العش. كل ما عليَّ فعله هو أن أحرِّك جناحيَّ، هذا كل ما في الأمر.

شعرت أني أراقب جسدي الصغير وجناحيَّ الهزيلين اللذين أخذا يرفرفان بجنون. حلقتُ فوق شجرة الزيتون، وقطيع الخراف والراعي وكلبه الأمين، وإذا بأمي تحلق بجواري، وتشجعني بصفيرها المستمر.

أيقظني نباح كلب من حُلمي الأثير، وتذكرت أن كل ما عليَّ فعله هو

أن أحرِّك جناحي وأنطلق نحو السماء، نحو الحرية، لكني وجدتُ جناحي مصطبغين بلون قرمزي، ووجهي ملتصقًا بصخرة!

فتح الكلب فكيه كاشفًا عن أنيابه، ثم حملني بين أسنانه إلى رجل ضخم يحمل بندقية صيد، وفي الطريق إليه كانت قطرات دمي ترسم درب الآلام. سمعته يقول له:

- أحسنت يا قيصر!

اختفى الرجل وكلبه وغرقت في السواد، لكنني سرعان ما سمعت تغريدة أمي الحنونة. بزغ الفجر وأنار العتمة، وشعرت بروحي تستيقظ من جديد!

انطلقت مغردًا نحوها، وطرنا معًا فوق أشجار الزيتون.

رسالة من البعد الرابع

بقلم : إسلام سعيد جلال

بدايةً دعوني أعرفكم بنفسي:

أدعى "جرافيتون3" وأنا كائن واعٍ من البعد الرابع، لا يوجد الكثير منِّي في هذا العالم المتعدد الأبعاد، كثيراً ما أنظر إليكم أيتها المخلوقات البدائية التي تعيش في البعد الثالث بعين الشفقة تارة، والغيرة تارة أخرى؛ فأنا أحيانًا أتدخل لتغيير مسار بعض الأحداث التي أعلمها مسبقًا - بأمرِ الله- بحكم أن الزمان والمكان أستطيع التلاعب بهما بيدي بكل بساطة هكذا.

ونحن معشر الجرافيتيون لنا فضلٌ عَظيمٌ لا ينكر على البشرية جمعاء، فقد كنا نحنُ مَن ساعدَ القدماء المصريين على بناء الأهرامات الخالدة، وقوم الأزتك والأنكا وغيرهم من الحضارات القديمة، ونحن كنا من تحدث إلى العالم العبقري "نيكولا تسلا" عبر مستقبلات أجهزته وساعدناه في أبحاثه، ونحن من همسنا في أذن قادتكم بأنهم ليسوا وحدهم بالكون، وأن هناك أبعادًا أخرى غير بعدكم الثالث هذا، وهي أبعادُ الطول والارتفاع والزمن وسبعة أبعاد أخرى افتراضية مثبتة رياضيًا لتكوين هندسة موحَّدة للكون، ولكن لم تُسمَ بعد في

لغتكم البدائية.

وسأشرح لكم من نحن بتبسيطٍ شديدٍ يناسب قدراتكم العقلية - لا إهانة في الأمر- :

أتعلمون الكمان أو الربابة في تراثكم القديم؟! إنها تتكون من أوتارٍ يقوم بتحريكها العازف؛ لكي يصل للحن المنشود، الكون أيضًا يتكون من أوتار متناهية الصغر بدءًا من الإلكترونات والذرات والكائنات الحية، حتى نصل للكواكب والنجوم ويصدر الكون مقطوعة موسيقية تتكون من إرخاء وشد هذه الأوتار في تناغم شديد.

والدليل على وجود هذه السبع أكوان موجود في القرآن في قوله تعالى:

"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا".

وفي الحديث القدسي: "لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفَّةٍ ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله".

أنا دائمًا ما أراقب هذه الأكوان السبعة المتعددة وأنظر إليها وأضحك عليكم أيها البشر، فأنتم أكثر الكائنات الحية غرابة وطرافة.

فإذا قمت بمتابعة شخصٍ فقيرٍ في كونٍ ما يعاني من الاضطهاد والظلم أجده على النقيض في كون آخر؛ حيث يكون ظالمًا وبلا رحمة أو شفقة على أقرانه من البشر.

فاليساري الفكر في بُعدٍ ما أجده رأسماليًا متوحشًا في كون وبُعد آخر من الأكوان الستة الأخرى.

فأنت في كون ما تعمل بوظيفة كانت من ضمن الاحتمالات لديك في الكون

الأساسي، وأيضًا أنت متزوِّجٌ من فتاة في نفس الكون كنتُ قد اتخذت قرارَ عدم الارتباط بها، أو لم تلتقِ بها من الأساس في كونك الأساسي وهكذا.

والعبرة من حكمة هذا الكون أنه لا يوجد شيءٌ ثابت، أو مقدَّسٌ في النفس البشرية بإمكانك أن تصبح أي شيء تريده؛ فالأمر كله نابع من اختياراتك ومن الاحتمالات الموجودة، وما هو مقدَّرٌ لك في هذا الكون.

وظيفتي هنا أن أراقب وأشاهد وأتدخل حين اللزوم فقط؛ فأنا لست بملاك ولا شيطان، أنا مجرد مخلوق من مخلوقات الله أنفِّذ إراداته كي تستمر الحياة في السبعة أكوان.

لقد خلقت لمحاولة إرجاع التوازن للكون وحمايته من الانهيار حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

قد أجد منكم من يحسدني على ما أنا فيه، ولكن أؤكد لكم أني أريد أن أستريح؛ فأنا محكوم على برؤية جميع المخلوقات تموت وأنا مازلتُ هُنا أقف، أراقب، أشاهد وأتمنى الراحة ولا أجدها.

تمنَّ لي الخلاص أيها المخلوق الفاني..! تمن لي..!

خواطرُ ميِّتٍ

بقلم : إسلام سعيد جلال

كنت مستلقيًا على السرير في ليلةٍ قَمريةٍ من ليالي الصيف الهادئة؛ حيث الهواءُ القادم من البحر يصطدم بالشباك في انتظامٍ، مما كان له أثر السحر في استدعاء النوم بعد ساعات من الأرق، وكثرة التفكير في الماضي؛ فأغمضت عيني مستسلمًا بعد أن خارت قواي من تأثير العقاقير المنومة.

مرَّ وقتٌ طويلٌ عليَّ وأنا نائم، وأحسست بثقل في جسمي من قلة الحركة؛ فأردت تحريك جسمي والتقلب يمينًا أو يسارًا، ولكنني لم أستطع!

كأن جسمي أصبح أثقل من قالب خرساني يزن أطنانًا!

انفعلت وشعرت بالخوف، ولكن لِمَ القلق؟ هذه ليست أوَّلَ تجربةٍ لي!

إنه وبلا شكٍّ الجاثوم الذي يطاردني بين الحين والآخر حينما أنام وأنا أفكر في الماضي الأليم، أو ربما متلازمة البينور التي تأتي لي عندما أصاب بالأرق، وآخذ عقارًا منومًا!

سأركِّز كل طاقتي ومجهودي؛ كي أستيقظ من هذه الحالة الشللية.

حاولت أن أخرج صوتًا منِّي؛ كي يستيقظ أحد من الغرف المجاورة لي؛ لكي يوقظني بدوره ولكن لم أستطع كأن أحبالي الصوتية تقطعت، حاولت تحريك جسمي كي أحفزه على الاستيقاظ ولكن لم أشعر إلا بتحريك بسيط في يدي، وفجأة! سمعت صراخًا من حولي، صراخًا كالعويل!

- يا ترى هل هذا هو الراديو؟ وما أسمعه هو مسلسل إذاعي قديم تداخل مع حلمي المزعج هذا؟

وكان الحوار كالتالي:

- إمتى حصل ده؟

- النهارده الصبح، ده كان لسه متعشي معانا إمبارح بالليل، يا حبيبي يا ابني "صوت بكاء".

- أنا هكلم دكتور كويس عشان يفحصه؛ لأن قلبه بيدق لسه، وعدم صحيانه رغم محاولاتنا ده محتاج تفسير.

- أنا أعرف هذا الصوت، إنه صوت أمي تتحدث إلى ابن عمي!

- هل أنا مستيقظ الآن وعقلي يصور لي إنه حلم وفقدت القدرة على الإحساس بالزمان والمكان مثل ما يحدث معي بسبب متلازمة البينور، أم أنه مجرد كابوس مبتكر من تأليف عقلي الحزين؟ ولكني لم أستيقظ حتى الآن، لقد استمر هذا الحلم طويلًا.

إذًا سأحاول أن أتعايش مع هذا الوضع حتى ينتهي وأستيقظ منه، إذا كنت في عالم الخيال؛ فسأحوله من كابوس إلى وسيلة لاستعادة ذكرياتي السعيدة.

سأركز وأكتم كل الأصوات التي حولي، وسأحاول أن أحلم بخطيبتي السابقة، وأتذكر إحدى ذكريات لقاءاتنا الدافئة معًا.. أعدت تصور أحد لقاءاتنا في قهوة الفيشاوي منذ سنوات، كنت في غاية السعادة كأني أراها حقيقية أمامي. وفجأة

سمعت صوتًا عاليًا يقول: "إلحقوا ده بيضحك!"

بدأ الأمر يزداد غرابة ورعبًا

إنهم يعتقدون أنني في غيبوبة، ولكن كيف ذلك وأنا بكامل أفكاري ورغباتي؟

لا مفرَّ يجب أن أركز طاقتي كلها للاستيقاظ، سأحاول أن أفتح عيني. وفتحت عيني لأجد جميع أقاربائي يلتفون حولي لقد استيقظت، ولكني لا أستطيع أن أتحدث، أو أحرك جسمي؛ حينها أدركت أنني لست في حلم ولست بميت، أخذت أمي تضمني إلى صدرها وهي تبكي، وجاء الطبيب الذي قام بتفسير ما يحدث معي أنها متلازمة المنحبس وهي حالة مرضية يكون فيها المريض في حالة استيقاظ ووعي، ولكنه غير قادر على التواصل الشفهي مع الآخرين؛ بسبب كونه في حالة شلل كامل لكل عضلاته الإرادية عدا عضلات العينين، فعيناه المفتوحتان تجعلانه يرى كل شيء، ولكنه لا يستطيع التفاعل، وربما جرعة دواء زائدة كانت السبب فيما أنا فيه.

كنت أريد أن أتكلم للمرة الأخيرة؛ لكي اطُمئِن أمي أنني سعيد الآن؛ فعالم الأحلام المليء بالسعادة أفضل من عالم الواقع المليء بالخذلان وخيبات الأمل..

القادم أجمل

بقلم : : ناديا ياسين

توقفت ندى في منتصف الصالة، وأحمد ينتظرها عند باب الشقة في طريقهما لمغادرتها نهائيًا منتقلين إلى مدينة أخرى.

- ما بكِ عزيزتي؟ هيًا بنا.

- يعز عليَّ فراق هذا المنزل، أحمد، فيه شهدنا بداية جديدة لحياتنا معا أما زلت تذكر؟! وتشاركنا العديد من اللحظات السعيدة مثل: عيد زواجنا الخامس العشرين، والحزينة كفقدنا لوالدتك الغالية "رحمها الله"!

أطرق أحمد برأسه الى الأرض، قائلًا لنفسه: "نعم أذكر؛ لكن لا أحب أن أتذكر"، وأردف لندى:

- طالما نحن معًا فحيثما ذهبنا، ومهما حدث؛ فإن لنا سويًا دومًا بدايات متجددة.

- هل يجب أن أقلق على سعادتنا بمجرد إغلاق هذا الباب، أحمد؟

- لا حبيبتي، نحن هنا طوينا صفحات لن يتكرر بؤسها بأي حالٍ من الأحوال، وقد اختلفت حياتنا أصلًا من اللحظة التي سامحتني فيها متغلبة على جرحي

لك من أجل استمرارية زواجنا، واستقرار أسرتنا، والأهم حرصك على صورتي أمام ولدينا. نظرت ندى لأحمد متسائلة بينها وبين نفسها:

- هل تغلبتْ حقًا أم أنها طوَتْ تلك الجراح في غمد الذاكرة؛ كي تستمر حياتهما معًا؟

في الطائرة، أغمضت عينيها محاولة أن تغفو أو علّها تبدو كذلك؛ كي تسكن قليلًا إلى روحها، فلا يتحدث معها أحمد المتحمس للعمل والمدينة الجديدين. وعادت أكثر من أربع سنوات إلى الوراء، لخيانته الأولى بنظرها، فأحمد يومها قال ضاحكًا متبجحًا أمام ضيوفهما عن المضيفة الأفغانية التي جلب لها حقيبة لاب توب وهاتفًا نقالًا: "أنا كنت أتصدق عليها!!" ياللرجال كيف يحللون أخطاءهم؟! ياالله كم كانت ساذجة! "هبلة" كما يقولون بالعامية، وهي بالتأكيد لم تكن كذلك، هي فقط منحته ثقتها بأخلاقياته، وبحبه الكبير لها.

وحين تعاقد مع شركة بالمغرب، حذرتها ابنة عمه مما تسمع عن المغربيات، شعوذتهن وسحرهن أجابتها ندى بحزم وتأكيد:

- والله يا إلهام إن استجاب أحمد لإحداهن فسأقول "على الدنيا السلام!؟"..

وهكذا كان، على الدنيا السلام..

أيضًا إشارات لم تعها ندى بعد سفره، خروجه للكافيهات معظم الليالي - مع رفيق سوءٍ كما تبين فيما بعد- في حين معظم مشاويرهما طوال فترة زواجهما لقضاء اجتماعيات مملة، أيضًا عدم إجابته على اتصالاتها، رفضه قدومها والأولاد لزيارته، إنكار الفندق في طنجة وجود حجز باسمه مع أنه أكد إقامته بإحدى غرفه أثناء تواجده بالمدينة، عدم ارتدائه خاتم الزواج، ارتدائه للسراويل القصيرة وهو في حضرتها شيخ الإسلام! عدم لمسه واقترابه منها عندما التقيا بالإجازة رغم طول فترة الابتعاد! أخذت منها الشكوك كلَّ مأخذٍ إلا أنها لم ترد

أن تصدق، كانت بحالة إنكار، إلى أن تكشفت صدفة وبالتدريج أمور خيانته - التي لا تعلم حتى اليوم لأي مدى وصلت للأسف- صور على هاتفه، معاتبَاتٌ، ومداخلات غريبة على الفيسبوك بصفحة لم تعلم أسرته بوجودها أصلاً!

أنكر أحمد يومها بالبداية لكن عندما واجهته بكل التفاصيل، تغيرت ملامحه وبعنجهية متغطرسة نطق:

- ماذا في ذلك؟ هكذا هي الحياة. وأكمل باستخفاف:

- أين الخيانة فيما تعددين؟!

أطرقت لحظتها ندى قليلًا تستجمع ما تبقى من أنفاسها:

- بما أنك استنتجت كيف هي الحياة، هذا يعني أنك تتقبل قيامي بالفعل ذاته، أم أن الحياة هكذا حكر على الرجال فقط؟! الخيانة سيد أحمد، لا تتجزأ، الخيانة تكون بالفكر وبالفعل البسيط مثلما فعلت واستطردت:

- وعندما خنت فإنك لم تحترم نفسك ولم تحترمني، لا كحبيبة، ولا حتى كزوجة وأم، الحب أن تقدِّر وتحافظ على وجودي في حياتك، وتواجُدي بأعماقك حتى وأنا غائبة عنك. هل تعتقد أن الحياة التي ذكرت ليست متاحة لسيدة مثلي تعيش لوحدها؟ الفكرة هل أتيح لفلان وغيره مجرد تبادل حديث غير لائق؟ طبعًا لا، ربما كان عليَّ أن أفعل علَّك تحس بما يعتريني الآن! صمتت لبرهة، ثم انتفضت: "أحمد أصدقني هل خنتني؟! هل نمت معها؟!"

نفى أحمد فِعلَ الخيانة جسديًا، وأكَّد أن كل شيء انتهى بمجرد عودته، لكنها لم تصدِّقه وجعلتها تلك الأيام العصيبة تلجأ لمستشارة زواج؛ مفصحة عبر جلسات طويلة عن تعاستها في زواج تم بتعارف عائلي، وإن جمعهما حب كبير خلال الخطوبة، إلا أن الزواج خلا من اهتماماتٍ مشتركةٍ، وكشف عن اختلافات فكرية عميقة.

- ما الذي تفكرين به ندى؟ هل تريدين الطلاق؟ بِذَا واجهتها لينا بإحدى الجلسات المتقدمة؛ فوجدت أنها أضعف من تبعات هذه الخطوة خاصة فيما يتعلق بولديهما فهما كل حياتها.

استفاقت ندى من ألم الذكريات على شخير أحمد ونظرت للساعة، الوقت يمضي ببطء، وما زالت الرحلة بمنتصفها.

- من جلساتي مع أحمد، مقارنة مع معظم الرجال الذين قابلتهم خلال استشاراتي يا ندى، أنا لم أرَ رجلًا يكن كل هذا العشق لزوجته، وهو يرى فيك كل شيء جميل بحياته ولا يثق بأحدٍ غيرك، وممتن لفضلك الكبير على كيان أسرتكما وتربية أولادكما ومتابعتهما، وعلاقتكما الطيبة بالمحيطين..

هل خانك جسديًا؟! السؤال المؤرق بالنسبة لك، هو أنكر وأنا لا أستطيع أن ألغي إحساسك؛ لكن دعيني أقول لك ما خمنته من حديثي معه: إنه كاد أن يفعل، منعه حبه لك، التزامه الديني وما يهمنا عزيزتي أنه لم يفعل، خاصة وأنه لا نية ولا رغبة لك بالانفصال؛ لذا يجب أن تسامحيه، أدرك صعوبة ذلك لكن من أجلك أنت حاولي..

هكذا كانت آخر نصائح لينا، لزمها وقت طويل لتسترجع ذاتها، غيَّرت من ألوان ملابسها القاتمة، سافرت تستجم لوحدها، بدأت تحيك حياة تخصها بعدما انغمست بمسئوليات العائلة لسنين طوال، نفضت الغبار عن كتبها، والتزمت من جديد بنشاطاتها الرياضية، لكن ذلك لم يفد، ما انكسر بندى لم تكفه محاولات أحمد الطفيفة، وكأنَّ تكتُّمَها الأمر، وعدم طلبها الطلاق جعل صفحها مسلمًا به؛ فنمت بينهما فجوة عميقة واستحالت حياتهما إلى لا مبالاة وجفاء، عدا الشك الذي ما انفك يساورها ولبثت تتنبه لكل التفاصيل.

عاد أحمد لا يترك هاتفه أبدًا، يشغله بأوقات معينة، ويحاول جاهدًا

مداراة ما فيه، ما جعلها ترتاب وتحتار إلى ذات ليلة كان قد نسيه على الشاحن وهو بصلاة الفجر، ولمحته يضيءُ مهتزًا بإصرار؛ فداخلها الفضول المقرون بالشك القاتل فأمسكت به ويا ليتها لم تفعل ولم تقرأ! وجدت محادثة بينهما قبل الفجر بمشاعر هيام ووله غابت عنها من زمنٍ بعيدٍ، فتشت في محادثات الأيام السابقة؛ فصادفت أنه ليلة طارحها الغرام بحميمية استغربتها، كانا قد تبادلا كلامًا ما بدا أنه تاق إليها، فالتفت لزوجته بديلاً!!

يا للصدمة! استمر بكاؤها المرير حتى الصباح مبتهلة بدعاء سيدنا يونس: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

وعندما استيقظ أحمد شعر أنها مختلفة، سألها مرارًا: "ما بكِ؟".. لم ترد، اكتفت بالنظر إليه وآلاف الأفكار والتساؤلات تموج بدماغها، أضخمها وأهمها: ماذا يجب أن تفعل؟ فالحكاية تكررت، ويبدو أن تغاضيها جعله يظن أنها بدون أهل، أنها بلا مشاعر، وأنه لا كرامة لها.

"هالمرة ما رح مرق القصة على خير". متوعدة بينها وبين نفسها..

بعد بحثٍ مُطوَّلٍ على الشبكة العنكبوتية تمكنت من حذف وحظر "الخانم" بشكلٍ لا يمكن لكليهما التواصل مع بعضهما، وتركت الأمور أيامًا قليلة لتهدأ وتخرج من عباءة الانفعالات غير المتزنة وغير المدروسة. حينذاكٍ، بدا أحمد خاصة بعد الحظر الهاتفي على يقينٍ بعيون قلقة أن شيئًا ما يدور في رحى الزوجة المغفلة! فأصبح وأمسى أكثر تحببًا، وهي بعد تدبُّرٍ عميقٍ، ونصيحة صديق بمثابة الأخ الأكبر قررت للمرة الثانية أن تستوعب الحدث، وألا تفضحه وتتصرف بحزمٍ وحكمةٍ.

مطبات هوائية أيقظت أحمد، ألقى بنظره على ندى؛ فوجدها مغمضة

العينين فأحكم الغطاء الخفيف عليها، شعرت هي بدفء حركته وتبسمت من الداخل عائدة لصباح تلك الجمعة.

صحا يومها ليجدها أعدت الفطائر المنزلية بالزعتر والجبنة، أخبرته وهي تعد القهوة أنها تريده بموضوع مهم، لن تنسى أبدًا تعابير وجهه، وهو يرتشف القهوة، متسائلًا بحفاوة:

- خيراً، ماذا هنالك؟!

- أرجوك أحمد ألا تقاطعني واسمعني للآخر، منذ سنتين عندما خنتني، وأنا للآن لا أعلم حقيقة ما حدثَ، قبلت أن أسامحك؛ حفاظًا على ما بنيناه سويًّا موجدة لك كل الأعذار: نشأتك المغلقة، وعدم مراهقتك، عدم تعاملك مع الجنس الآخر بالجامعة، غربتك وبعدك عني؛ رغم أن كل ذلك لا يبرر خيانة رجل كيفما كانت، وتقبلت عدم بذلك أي مجهود؛ لتسترجع ثقتي بك، وحبي لك لكن أبدًا أبدًا ما توقعت أن تعاود التواصل معها، وأمام عيني وأنا بجوارك!! هل هي نفسها؟!

- لا، لا! وعيناه مشدوهتان وفاغرًا فاه من الاستغراب!

- أنا فقط أريد سؤالكَ، وأريد أجوبةً صريحةً صادقةً وخذ وقتك كي لا تكذب، ماذا ينقصك؟ ما العيب فيَّ كي تبحث عن أخرى؟ أتعلم؟ سألت نفسي هذه الأسئلة، والله إني جميلة.

اقترب منها قائلًا:

- طبعًا طبعًا.

فأبعدت نفسها، وأكملت:

- والله أنا ست بيت رائعة، وأم مثالية، والله أنا بارة بأهلك، متحملة

لإعراضك عنِّي وعن أنوثتي، وتقصيرك تجاهي بجميع النواحي.. لماذا؟! لماذا يا أحمد؟! وقل لي أنتَ كيف يكون تصرفي هذه المرة؟ هل أذهب إلى الحاجَّة والدتك وأخبرها بأن من تراه مثاليًا، وأفضل أبنائها يخون زوجته التي هي تراه محظوظًا بها؟! أم أتصل بوالدي وأخبره عن صهره الذي أيضًا من خلالي يظنه "مافي منه"؟ أم أتوجه لكبير عائلتكم؛ ليجد حلًا سيكون غالبًا الطلاق؟ أم أنادي ابنتك وابنك وأخبرهما وقد كبرا وسيستوعبان؟ أم أفعل كل ذلك؟؟ أنا يا أحمد استثمرت نصف عمري معك، وتنازلت عن أبسط حقوقي ليكون هذا نصيبي منك! عندما قرأت كل ماكتبتماه لبعضكما لم أفهم، ماذا تعطيك، أنا لم أعطك إيَّاه؟ ماذا تجد لديها غير موجود عندي؟ أخبرني، المشكلة أنها تصدك وأنت تفيض عليها بالمشاعر! المشاعر التي أفتقدها وأنتظرها منك كل الأوقات..!

- والله يا ندى لا أعلم كيف عثرت عليَّ؟ ولا أعلم لم أنا أتصرف هكذا؟ فأنا أحبك أنتِ ولمْ ولن أحبَ غيرك!!

- يجب أن تعلم؛ فأنا أريد أجوبة واضحة لو سمحتْ كي أقررَ ما أنا فاعلة.

بعدها تركت المنزل لساعاتٍ طوال، فوجدته حينما رجعت منهارًا ظانًا أنها لن تعود.

في غضون أيام طلب منها الصفح باكيًا بحرقة، لكنها قست وأخبرته أنها لا تستطيع العيش معه تحت سقف واحد، مؤمنة أنهما بحاجة للابتعاد عن بعض علَّ القلوب تتآلف من جديد.

لحسن الحظ، وترتيب المولى كان قد عُرِضَ عليه عقد عمل بإحدى الدول الخليجية فقبِلَ به.

"بحاجة أن أرتبَ أفكاري، وأفكر ماذا أريد، لا أعدك أنني سآتي، اتركها للزمن، اجعلني راغبة في الالتحاق بك". آخر كلماتها وهي تودعه.

هناك بعد أشهر عديدة، في تلك المدينة التي رحل إليها أحمد، كاد أن يطير مهللًا مستقبلًا إياها بالمطار، أطال عناقه، وعبَّر بعشرات الكلمات، وآلاف النظرات العميقة؛ كم يعنيه قدومها! وفعل كل ما يمكن خلال الإجازة الصيفية لتشعر ندى مدى تمسكه بها! وكم يهواها!

في ذاك المنزل الذي غادراه سويًا يدًا بيدٍ منذ قليل سألها أحمد حينها:

- هل غفرتِ لي حقًا ندى؟

أجابت:

- ما أتيتك إلا مسامحةً، لكنني خائفة يا أحمد، وغير قادرة على تجديد الثقة؛ فقد فعلتها مرة وغدرتني!

انسالت دموعه:

- أنتِ لا تدركين قَدْرَكِ عندي، والله لا أعوض إصبع رجلك الصغير بأيٍّ من نساء العالمين، وأنا أرجوك أن تمديني بثقتك، وتساعديني كي نبدأ من جديد.

وهكذا كان، لذا غص القلب عند مفارقة بيت ضمَّ بين حناياه عودة متينة لعلاقتهما، هي سعت لاستيعابه، وتقبُّله وهو حاول جاهدًا مشاركتها ما تحب ولو عن بُعدٍ، عدا حرصه الدؤوب على رضاها وزرع البسمات على وجنتيها، فنسجا معًا ذكريات جميلة كان منها رحلتهما لشرق آسيا في عيدهما الخامس والعشرين.

"حضرات السادة المسافرين تعلن الخطوط الجوية عن بدء عملية الهبوط لمطار.. الرجاء التوجه لمقاعدكم، وربط الأحزمة استعدادًا للهبوط".. صحا أحمد على نداء المضيفة هذا ليجد ندى تتأمله مبتسمة؛ فوضع يده على يدها واتجه

بنظره إلى الشباك مطلًا على البيوت تكبر تدريجيًا كلما اقتربوا من اليابسة، وهي جالت بعينيها إلى الأفق البعيد تتخايل فيه لخطة تقف على أعتابها وهي إنسانة معافاة، متصالحة مع ما جعلها أصلب وأنضج، محطة فيها استمرارية لرحلة عمر مع الإنسان الذي اختارت أن يكون القادم معه دومًا أجمل!

انصهار

بقلم : سوسن رضوان "وصيفة الرضوان"

سائرة في طريقها استوقفها شيءٌ على رصيف محطة المترو، اقتربت أكثر بَدا لها شيء بني بلون حرقة الشمس التي تحرق رأسها، مدَّت يدها لتلتقطه وجدته عدسة نظارة شمسية، شردت قليلًا في صاحبتها وكيف هي الآن أو بمعنى أدق كيف عينيها في هذه الشمس التي نصطلي تحت كامل إشراقها ولهيبها؟! وفيما هي مستغرقة استمعت صوتًا، بحثت عن الصوت تلفتت يمينًا ويسارًا؛ فإذا بنظرةٍ إلى ما في يديها، وإذا بالعدسة تحكي قصة صاحبتها:

- "إنها فتاة، أتعرفين أنها نزلت من بيتها وتشغلها أشياء كثيرة وبعد أن وقفت على المحطة قليلًا تذكرت هاتفها؛ لأنها كانت ستجري به بعض المحادثات المهمة اليوم، فمعظم مكالماتها تكون في هذا الوقت الذي تنتظر فيه المترو، أو تكون راكبة فيه..

لم تجد الهاتف في حقيبتها، تذكرت أنه ما زال قابعًا على المائدة يطقطق هذه رسالة على الماسينجر، وأخرى على الواتس، وهناك من أعجبه شيئًا نشرته على الفيس بوك، ومَن شارك شيئًا أعجبه على صفحتها، وربما اقتبس من كلماتها

شيئًا دون أن يشير إلى ذلك ولو حتى بتعليق، أو إعجاب على كلماتها.

كل هذا وأنا أستمع إلى عدسة النظارة فقالت:

- سارعَتْ من كنت صاحبتها، وصعدت مسرعة سلم المترو؛ لأن بيتها على الجانب الآخر ذهبت مسرعة صعدت إلى الطابق الخامس دخلت مهرولة، وجدته مستكين الجانب في انتظار أن تعود لتأخذه، مدت يدها بسرعة وتناولته وعادت مرة أخرى إلى رصيف المترو.. يا الله! يتصبب العرق من كل مسامها! وجدتُ من تنادي:

- أين أنتِ؟

أفقت من شرودي على العدسة وهي تقول لي:

- أين ذهبتِ؟! قلت لها:

- ما زلتُ هنا، ولكن أفكر في صاحبتك وفيكِ كيف انسلختِ عنها في هذا الحر؟!

قالت:

- ما حدث أن المترو أتى وركبت صاحبتي، وظلَّ المترو واقفًا قليلًا، وبابه مفتوح فما كان منها إلا أن ارتأت أن تمسح عدسات النظارة المشبرة بالعرق، خلعتها وأخرجت المنديل وأخذت تمسح فيها وفجأة سمعت صوت "طق"، وبينما تستوعب مصدر الصوت، كنت طائرة مستقرة على رصيف المترو وجدتها تنظر إليَّ وإلى باب المترو المكيَّف، تتنازعها رغبات أن تمد يدها فتأخذني، أو يدرك أحد ما حدث فيلتقطني ليعطيها إياي، وما بين أن تتركني لمصيري، أو تلتقطني، وأعتقد جال بخاطرها أيضًا أن تلقي ببقية النظارة ربما يأخذها أحد ويستفيد بها، ولكن المترو أشفق عليها أن تتركه في هذا الحر، وهي على عجلة من أمرها

فأغلق أبوابه وحال بينها وبيني وهي تشيعيني بنظراتها مع بعض نظرات الرثاء من راكبات المترو، وظللت ملقاة على رصيف المترو حتى وجدتني أنتِ...!

لم أدرِ ماذا أفعل بها؟ وضعتها جانب الطريق ربما تعود صاحبتها إليها، وأتى المترو المكيف؛ فركبت فرحة مستغرقة في صاحبة النظارة، وماذا تفعل بدونها..؟!

أحيانًا نقترب من أشياء، ونبتعد عن أشياء سواءٌ بإرادتنا، أو رغمًا عنا، وفي كلتا الحالتين لا ندري أسباب ذلك، أو الحكمة وإلا لما كنا تساءلنا لِمَ؟!

التَّرِكة

بقلم : سمية سعد دويدار

يَقْطُر العرق بغزارة على جبينها المتقد فيختلط بدموعها المنهمرة كطقس استوائي حارٍ غارقٍ في أمطاره ووحلِه، تهذي بأنين يعلو ويخبو بقصصٍ كثيرةٍ غير واضحة المعالم والأركان، لا يُفهَم منها غير كلمة:

- ولدي.. ولدي.. ولدي التي يستطيع الجمع حولها تمييزها بين الحين والآخر؛ كشريط تم تسجيله، وإعادة تشغيله بدون توقف، أو راحة.

يتعالى صراخُها ويستكين على فترات أثناء انتظار سيارة الإسعاف لِتُقل العجوز رثة الملابس عطنة الرائحة للمشفى، وفور وصول المسعفين حُقنت بالمهدئ للتحكم في تشنجاتها، ومن ثم نقلها وإلقائها في عنبر ضخم يضم الكثير ممن هم على شاكِلتها يشاطرونها همومها، ويشعرون بآلامِها..

وبمرور الوقت يستجيب جسدها المنهك للمهدئ؛ فيستسلم للسكون رويدًا رويدًا.

تقترب منها سيدة صغيرة يتملك الحزن من قسماتها، ويسكن ملامحها، تتعافى من جراحة استئصال لرحِمها كمضاعفات خطيرة لعملية بسيطة كانت تجريها، ولكن إهمال الأطباء، وعدم وجود الإمكانيات والتقنيات الحديثة بغرفة العمليات، وأدَتْ حُلمَها بالأمومة حتى قبل أن تنال شرفَ تجربته، لفتت انتباهها كلمة "ولدي.. ولدي" التي تتردد بلا كلل أو ملل ..

- مالك يا أمي؟

فتنهال كلمات العجوز مع العبرات؛ كأنها كانت تنتظر لحظة الاعتراف، وإزاحة ما أثقل قلبها وأحنى ظهرها، وهي تضرب صدرها وتلطم صدغها.

- سلمتهم ولدي بيدي، حتة مني ومن بنيتي، بِعت لحمي ودمي للي يدفع أكتر، ومارحمتش حتى إنه خلاص مات من الغلب والمرض وجلة الحيلة، ماعرفتش أحافظ عليه، وهو عايش طب أرحمه، وأحافظ عليه وهو ميت!

- إزاي بس يا أمي احكي لي..

- أحكيلك إيه بس ودي حاجة تتحكي؟ بنيتي، بنيتي هرجع البلد أجولها إيه بس؟ ابنك اللي رحت بيه أم الدنيا عشان أعالجه رجعتهولك شوية ورج يتصرفوا على علاج إخواته في يومين، ولا أجولّك تعالي نبيعهم المرة دي صاحيين قبل ما يموتوا، ونبيعهم جتت تاني للدكاترة يتعلموا على جتتهم الدكترة، ويجطّعوا فيهم تجطيع، ما هو إيه العمل يا بنيتي بس جوليلي؟ أتصرف كيف؟ ولا في أكل، ولا علاج، ولا بُج ميه نضيف، ولا حتى سجف يسترنا من المطرة، وسمس الصيف ولا راجل نتسند عليه ويشتغل ويدير باله على مرَتُه وعياله؛ هج وساب لي شيلته ومشي لما تجلت عليه الدنيا بتعب صبيانه التلاتة؛ ماقدرش على الشيلة وهرب وماحدش عارف له طريج عاد، ومن وجتها عايشين على حتة اللجمة الناشفة زيينا زي الطير إلا لو حد حن علينا وافتكرنا في يوم وعشرة لأ، الناس

يفتكرونا في رمضان شوية، ويعاودوا ينسونا، كأننا بنموت باجي السنة..

تعاودها التشنجات ويتعالى نشيجها مرة أخرى:

- ولدي.. ولدي..

- تبيعيني يا أمي الصغير؟ تبيعيهولي؟ تبيعيهولي وأنا أشتريه بالقيراط اللي حيلتي، وسايياه للزمن، أشتريه بعمري كله وحتتين الصيغة اللي معايا. تُقرن كلامها بخلع قرطها الذهبي وخاتم زواجها.

- خديهم أهو. إمسكي كويس، واطمني هخليه يعرفكم ويودكم والله. والله مش هحرمكم منه أبدًا أبدًا، قُلتِي إيه هاااا قُلتي إيه؟ كلمي بنتك تيجي تشوفك، وسيبي الباقي عليَّ، هآخد الصغير أراعيه، وأحن عليه وبتمنه تعالجي التاني، وأهو أمه يبقى معاها واحد، وأنا واحد، شيعي هاتيها أبوس يدك، بدل ما يروح منها الوسطاني كمان، وماتعرفش تعالجه.

تتناول الشابة هاتفها المهشم وهي تطلب من العجوز رقمًا تستطيع من خلاله الوصول لأم الأطفال، بينما يتلاشى أثر العقار المهدئ بفعل الذكريات؛ فتشتعل العجوز مرة أخرى وهي تمزق ملابسها بأنينٍ يمزق نياط القلوب، تنظر عاليًا للسماء، تستغيث بدون صوتٍ؛ فحبات الفؤاد تباع، وأجساد الأحبة تُقسَّم أحياءً وأمواتًا، والفراق ينال نصيبه وافرًا بدون عناءٍ ليل نهار على رؤوس الأشهاد.

أهالي القاهرة الكرام

بقلم : إنجي طارق

القاهرة، المدينة التي شهد الجميع أنها ساحرة، فما رأيكم أن نقضي ليلة في القاهرة؟!

ليلة باردة من ليالي القاهرة كعادة فصل الشتاء.. على غير العادة، الشوارع خالية من الناس، السيارات، الأضواء، وبالطبع الحياة. فجأة مع غروب الشمس تمامًا وظهور القمر، نجد الناس ينظرون من الشبابيك للقمر بخوفٍ وذعر، بجيدون التخفي ولكن مِن ماذا يخافون؟!

إنه القمر الدامي، الظاهرة الجميلة، أو التي قد تكون جميلة في أي مدينة سوى القاهرة، فجأة أصوات الذئاب بدأت بالظهور وخيالات الأشباح تظهر في الشوارع.

عمارة "المهدي" وهي من أشهر عمارات القاهرة، ومِن أطولها، تبدأ الخفافيش بالظهور حول هذه العمارة، في نفس الوقت، فتاة جميلة تمر بهذا

الشارع وفجأة الصراخ دوَّى في الشارع، بعد ساعات، ظهرت فتاة ملقاة على الأرض وغارقة في دمائها..

فجأة الناس بدأوا بالخروج من العمارات والدماء تغطيهم، وتلطخ ملابسهم، والجميع يمسك بسكينٍ أو آلةٍ حادة، الكل عطشى لشراب الدماء، وجوعى لطعام لحوم البشر!

على الجهة الأخرى من الأحداث، يجلس آخر اثنين لم يؤثر فيهما القمر الدامي حكيم ومها ينظران للقمر الدامي، ويفكران.. هل سيأتي اليوم الذي سيصبحان فيه مثل هؤلاء الناس؟! فجأة بدأ الناس يقتربون منهما فنظر حكيم لمها وقال في ذعر:

- لازم نجري حالًا!

ركض حكيم ومها في اتجاهين عكسيين، وقف حكيم داخل مبنى تحت الإنشاء، وهو يأخذ أنفاسه ويخرجها من فمه بسرعة، فجأة وهو يلتفت حوله وجدَ رجلًا مسنًا على الأرض، طُعن بالسكين، اقترب حكيم منه فسمعه يقول:

- الظاهرة دي لازم تختفي، الأب الروحي لازم يموت!

بعدما قال هذه الكلمات لفظ آخر أنفاسه ومات.

أما مها فكانت تختبئ بجانب مبنى طويل وشاهق، وهو عمارة "المهدي"، وفجأة وجدت شخصًا يقوم بحملها ويدخلها العمارة واختفت مها!

أمسك حكيم بالهاتف يحاول البحث عن الأب الروحي الذي قتله سينهي هذه الظاهرة، لسوء الحظ لم يجد حكيم شبكة فقرر الذهاب للمكتبة، وفي طريقه للمكتبة كان خائفًا يتلفت حوله ويراقب الجميع، الرجل يقتل ابنته، والابنة تقتل أمها، والأم تقتل ابنها، والصديق يقتل صديقه، والزوج يقتل زوجته..

اقترب حكيم من المكتبة فوجد رجلًا على سطح المكتبة، يجلس على كرسيٍّ كبيرٍ فخمٍ، وينظر لأهل القاهرة الكرام، وهم يقومون بقتل بعضهم ويضحك! نظر هذا الرجل ل حكيم فقال حكيم بصوت عالٍ:

- ممكن نتكلم.

قال الرجل والشر في عينيه:

- يمكن أن نتحدث، ولكن بشرط وهو قتلك بعد الحديث.

دهش حكيم من لغة الرجل الغريبة، وتأكد الآن أنه الأب الروحي لظاهرة القتل مع القمر الدامي، حرك رأسه إيجابًا وبدأ بالصعود للمكتبة. صعد حكيم للمكتبة، وعندما وصل للرجل، وجده ينظر له بتمعن شديد ثم قال:

- لماذا تريد التحدث معي؟

قال حكيم بحذرٍ:

- عايز أعرف سبب ظاهرة القتل مع ظهور القمر الدامي.

قال الرجل ببساطة:

- أنا! قال حكيم بدهشة:

- ليه؟! ليه؟! وإزاي بتعمل كده في الناس؟! إزاي تخلي الناس تقتل في بعضها؟!

قال الرجل وكأنه يتذكر شيئًا:

- لماذا؟! لأني لم أكن كذلك في يوم من الأيام من ثلاثين عامًا، كنت أعيش مع زوجتي حياةً هنيئةً في الإسكندرية، تزوجنا من عامين ولم ننجب بعد؛ فأخذنا قرارًا بالسفر للقاهرة المدينة الساحرة -كما يقال عليها- للمتابعة مع طبيب هناك وفعلًا قمنا بنقل حياتنا كُلِّها إلى القاهرة كي لا أظلم حق القاهرة، فعلًا الطبيب كان

ماهرًا، وتمَّ تعرُّف أسباب تأخر الحمل، وفي يومٍ، عندما عُدت من عملي وجدت زوجتي تقوم بطهي الطعام وهي سعيدة وتغني، وعندما اقتربت منها قالت لي في سعادة بالغة: "أنا حامل". صدى الكلمة ما زال في أذني كما قالتها، نظرت لها وحملتها بحب وسعادة ووعدتها أن نخرج؛ لنحتفل غدًا بعد العمل، وجاء الغد وأصبح اليوم، وعدت من العمل وأنا أجهز نفسي وفجأة وجدتها ملقاة على الأرض تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولن تصدق مَن قتلها! إنهم أهل القاهرة في ليلة ظهور القمر الدامي، وأقسمت من وقتها أن أجعلهم يندمون وأذيقهم من نفس الكأس، ولن يستقيموا وتعود لهم حياتهم سوى بأمرين: إما أن أموت، أو أن المحلول ينتهي من دمهم، ولكن حتى هذا الوقت دعني أستمتع!

قال حكيم ببطءٍ:

- بس ده واحد أو اتنين قتلوها، الباقي ذنبه إيه؟!

قال الرجل بقوة:

- الذنب الوحيد أنه يعيش في هذه المدينة النجسة التي تُشبِع بطونها بالدماء ولحوم البشر، وأنا أنفذ لها ما تريد وأشبعها بما تحب، ولكن ما زال شيء واحد سأفعله الآن بحضورك؛ حيث أقسمت إنه مع كل ظهور للقمر الدامي سيظهر اثنان يحبان بعضهما، لم يتأثرا بالمحلول، أو لم يذيقا طعمه، ولكي آخذ بالثأر سأقتل المرأة، أما الرجل فيعيش لكي يرى العذاب وجهنم بعينيه، والآن اسمح لي أن أقدم لك ضحيتنا لليوم...

ظهر ثلاثة رجال يمسكون بامرأة، ويخفون عينيها ويغطون فمها، ويربطون يدها باليد الأخرى، ثم ألقوها على الأرض فصرخت صرخة قصيرة..

اقترب حكيم من هذه الفتاة، ثم أمسكها فوجد أنه يعرف هذه الملامح جيدًا، إنها ملامح فتاة عاش معها طوال الخمس سنوات التي مضت؛ إنها ملامح

مها زوجته وحبيبته، صرخ حكيم قائلًا:

- لا، مها مش هتموت مش هينفع مها حامل، وكمان احنا عندنا طفل، لا..

أمسكه الرجال، ثم قال الأب الروحي:

- ولِمَ لا؟! لقد كنت أحب زوجتي، كما تحب زوجتك، وكانت تحمل في أحشائها طفلًا كزوجتك.. فلمَ لا؟

ظهر ثلاثة رجال آخرين وأمسكوا بمها وهي تصرخ، وتستنجد بحكيم الذي لأول مرة يشعر بضعفه، ثم قال الأب الروحي:

- اجمعوا فلنرَ ذبيحة القمر الدامي اليوم.

اجتمع الجميع تحت المكتبة، وفجأة بدأوا يزيلون ما وضعوه على عينيها، ويديها وفمها؛ فنظرت مها لحكيم وقالت:

- أحبك يا حكيم.

ثم بدأ الرجال بضرب مها بأيديهم وأرجلهم حتى بدأت الدماء تسيل من تحت ثوبها حتى غرق الثوب كله، ووقعت مها على أرض السطح؛ فصرخ الناس وعادوا يقتلون بعضهم، وكأن شيئًا لم يكن...

صرخ حكيم وأفلت من الرجال الذين يقومون بمسكه، وانطلق نحو الأب الروحي وهو يصرخ بقوة، وأخرج السكين من جيبه، وطعنه طعنة وقع على إثرها، ولفظ أنفاسه الأخيرة ومات.

نظر حكيم له ثم للناس على السطح؛ فوجد الناس قد بدأوا يدركون، ويعود لهم الوعي، ونظر للشوارع فوجد الناس في الشوارع أيضًا بدأت تدرك ما حدث.. أمسك بمها وحملها، وبدأ بالبكاء، ثم وقف على سطح المكتبة، وقال وهو يصرخ:

- كل واحد فينا قدامه طريق، والراجل ده اختار الطريق السهل، وهو الانتقام، بس أنا هختار الطريق الصعب، وهو التحمل والصبر وهفضل مخلص، وأدعي لمها طول عمري وعمري ما هنساها، وهتفضل القاهرة مدينة ساحرة، وليلة ظهور القمر الدامي هتبقى زي أي مدينة في أي بلد تانية، بس هتبقى أحلى ليلة في القاهرة..

شكرًا، أهالى القاهرة الكرام..

أقل الخسائر

بقلم : مُنى لبيب

كان يحيى شابًا طموحًا يعمل بإحدى شركات حمدي بك الأسواني. بدأ حياته بقسم المبيعات كموظف صغير، وبمهام ضئيله تناسب راتبه المحدود وقتئذ، وكان يسعى إلى الترقي بتدعيم قدراته بشتى الطرق؛ بأن تعلَّم أكثر من لغة بالإضافة إلى تعلمه لمهارات الحاسب الآلي؛ لكي يكون له الفرصة في الارتقاء في المناصب وبالفعل لم تمر إلا بضع سنوات، وأصبح مدير قسم المبيعات، وبضع سنوات أخرى إلى أن أصبح المدير التنفيذي الإقليمي للمبيعات بالشركة.

وذات يومٍ ذهب يحيى إلى احتفال الشركة بتوقيع أحد التوكيلات الأجنبية في قصر حمدي بك الفخم بأحد منتجعات القاهرة الجديدة الشهيرة وكانت هي هناك؛ واسعة العينين بشعر ذهبي، جميلة، رقيقة، ضحكتها تختصر أحزان السنين وتمحوها في لحظات.

لم ينتبه لنفسه وهو يتجه نحوها، وهو الذي تخلَّى طوال عمره عن صوت قلبه الذي لم يكن له أيٌّ هيمنة على صوت عقله، وإلا ما كان ليصل لما وصل إليه في هذه السن الصغيرة.

ذهب ليتعرف عليها، وتعجَّب حينَ رآها تعانق وتبارك لحمدي بك الأسواني، وعلى الفور ذهب ليسلم عليه، وجلس ينظر إليها ويده في يد حمدي بك، وكأنه يشير إليه:

- مَن تكون تلك الساحرة؟

فأشار إليها وقال لها:

- قومي بتعريف نفسك للمدير التنفيذي الإقليمي للمبيعات بالشركة.

فمدَّ يحيى يده مقاطعًا كلامه قائلًا:

- اسمي يحيى النمر، وعمري 35 عامًا.

فنظرت له باندهاش قائلة:

- اسمي سلمى الأسواني، وعمري.. أظن أنه لا يفيدك في شيءٍ ذِكر عمري، وأعتقد أنه يبدو عليك أنك رجل أنيق، ولن تصر على أن تسأل سيدة عن عمرها.

سألها في ذهول:

- أخت حمدي بك!

قالت له:

- نعم أخته.

وهنا صمت كلاهما للحظات، وكانت نظرات العيون تتحدث عن كل ما يشعران به؛ فإذا بمقاطعة من حمدي بك:

- هيَّا بنا؛ لنبدأ الحفل.

وبدأ الحفل بموسيقى هادئة تدعو جميع المدعوين للاستمتاع بالرقص الهادئ؛ فإذا به يهرع إلى سلمى آخذًا يدها دون استئذان؛ لتشاركه تلك الرقصة،

وأومأت برأسها بالإيجاب، واستسلمت لطلبه الصامت، وبدأت الحديث لتقطع كلام عينيه:

- ماذا تريد منِّي؟ نظراتك تحمل الكثير من الكلمات، حتى يدك كانت تتحدث عند المصافحة، ماذا تريد؟

- أريد أن أتزوجك فأنا...

قاطعته سلمى:

- أنا زوجة ولدي طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة، وعندي من الهموم عكس ما تراه على مظهري، وأعيش مع أخي في هذا القصر بناء على رغبته؛ كي لا يبقى وحيدًا في هذا الفراغ العملاق.. أحترم مشاعرك ووضوحك وأعتذر خاصة وأني لا أستطيع حتى أن أكمل رقصتي معك؛ لأن زوجي جاء لتوه إلى الحفل، ويغار بشدة ولا أريده أن يوجه لي اللوم لتواجدي معك وخاصة ونحن لا نعرف من أنت..

استقبل كلماتها بصمتٍ وإحباطٍ تامين بينما استدارت عنه، وذهبت لمدخل الحفل؛ لتستقبل شخصًا لا يناسبها قَطّ.. قصير ولون بشرته أسمر داكن، ويجتاح اللون الأبيض شعره المجعد لدرجة أنه حين تراهما لن تتردد لحظة بأن تستنتج أنه أبوها وليس زوجها!

مدت يدها نحوه؛ لتستقبله وتسلم عليه، وإذا به وقد نظر إليها نظرة جاحدة، ولم يرد عليها السلام، ولا حتى بالعينين؛ فأطرقت برأسها إلى الأسفل لتحاول أن تمحو آثار الانكسار من اللامبالاة التي رأتها من زوجها أمام الحاضرين. جلست بمفردها شاردة وهي تتساءل: "كيف وصل بي الحال إلى هنا؟ من فتاة فاتنة ومرغوبة يتمناها كل من يعرفها إلى سيدة مهمشة مهملة من زوجها، تعاني من أقدارها مع ابنها من ذوي الاحتياجات الخاصه والذي

تضطر أن تختفي به عن أعين الناس؛ حتى لا ترى الشفقة ولا نظرة الخوف التي تراها في أعينهم حينما ينظرون لابنها؛ خوفًا من أن يتسبب في ضررٍ لهم أو لأبنائهم.. ومن زوج سيء الخلق متقلب المزاج.

وتتساءل كيف حينما قررت الزواج وافقت عليه، وهو الذي لا يمت بأى صلة لمواصفات فتى أحلامها التي طالما كانت تحلم بها؟

ولكنها سرعان ما تذكرت ما فعلته بنفسها؛ حيث إنها كانت لا تملك القرار حينئذٍ بعد أن سلمت نفسها لشابٍ غادرٍ ظنت يومًا أنه يحبها بصدق، وأنه سيكون زوج المستقبل؛ ولكنه بعد أن ظلَّ معها في الخفاء لمدة ثلاث سنوات، وبعد محاولتين لإجهاض نفسها وهروبه منها بعد أن جعلها تنساق في طريق الإدمان اللعين، توفى في حادث أليم، وتركها لتواجه مصيرها الذي لم تستطع تقبله وهي في العشرين من عمرها، ودخلت على إثره لمستشفى الأمراض النفسية والعصبية بإحدى المدن الجديدة، وظلت بها لمدة عامين وخرجت منها بعد أن تعافت من الإدمان، وعادت تحاول أن تلملم ما فات من العمر بأن تعود للجامعة لتكمل دراستها.

وبعد انتهاء الدراسة بدأت في التدريب بشركة أخيها حمدي، وهناك قابلت فؤاد صديق أخيها منذ الصغر، والذي كان قد عاد لتوه من هجرته، وقرر أن يكمل باقي عمره بالاستقرار في مصر والذي أبدى الإعجاب بسلمى فور رؤيتها بالشركة، رغم أنه يكبرها بعشرين عامًا إلا أنه الوحيد الذي يمكن أن يقبل الزواج بواحدة في مثل ظروفها.

حاولت التلميح بالرفض؛ فإذا بالعائلة تلومها، بل وتهددها بأنها إذا رفضت سوف تطرد من البيت؛ لأنها الفرصه الوحيدة لإنقاذ سمعة العائلة.

فكيف ترفض وهي لم يكن لديها من الفرص ما يجعلها تختار الأفضل؟ فهي

ليست بكرًا، ولم يسبق لها إعلان الزواج من أحد، وهي من أدمنت وأجهضت، ودخلت إحدى المصحات.

تركت الحفل وصعدت إلى غرفتها مسرعة، وأطلت من شرفتها على الحفل وبينما هي غارقة بأفكارها وندمها على ما مضى من العمر، انقلبت فجأة نظرة الانكسار إلى نظرة تمرد على وضعها الحالي، وأقنعت نفسها أنها لديها الكثير الذي يجعلها قادرة ومتمردة على وضعها الحالي الذي لا يرضيها.

ذهبت إلى دولابها الخاص؛ لتخرج بعض الفساتين المهملة بحكم عدم مراعاتها لظروفها بالإضافة لغيرة زوجها والتي تمنعها من ارتداء كل ما هو ملفت.

اختارت من بينها أكثر الفساتين جرأة وإظهارًا لأنوثتها وكأنها نوت أن تعطي لزوجها كل الخيوط التي تجعله يغزل قرار الطلاق؛ لترتدي من صنع يديه ذلك اللقب الذي سيجعلها تُولَد من جديدٍ.

جلس يحيى منفردًا بنفسه في إحدى جنبات الحفل متذكرًا ما حدثَ منذ دقائقَ، وإحباطه التام لعلمه بأن من دقَّ لها قلبه متزوجة، جلس على إحدى الطاولات وقال لنفسه: "لماذا لا أرى أنني سعيد رغم كل ما لدي من مقومات تجعلني سعيدًا؟ لماذا أجد النجاح في العمل فقط وباقي الجوانب مظلمة؟"..

وبينما تقتحم خلوتَهُ بنفسه التساؤلاتُ القاتلةُ، ربتت على كتفه بيديها وقالت له:

- أشعر أنه لا يروق لك ذلك الصخب؟

نظر إليها مندهشًا وهو لا يصدق ما يراه؛ فرائحة عطرها النفاذ، ووجهها المليء بمساحيق التجميل الصاخبة، ولون الفستان الذي يكشف أكثر مما يستر، وكيف اختلفت تمامًا وهي لم تختفِ عن الأنظار سوى ساعة واحدة؟!

ظل يحيى معلقًا عينيه بعينيها؛ ليعلم منها حقيقة التغيير المفاجئ، ولكن دون جدوى إلى أن قاطعت نظراته بجرأة غير معهودة بسؤالها له:

- ألا تريد أن تكمل رقصتنا سويًا؟ لم ينطق يحيى بأي كلمة واستجاب لها دون اعتراض وبمنتهى الاستسلام أخذ يديها وظلا يرقصان، ويتحادثان، ويضحكان حتى غزت سعادتهما الحفل، وبدا رقصهما ملفتًا للجميع، وليس لفؤاد زوجها فقط الذي قطع اجتماعه المهم بإحدى جنبات الحفل؛ لينهي هذه المهزلة بأن أخذ يدها عنوةً، وأخذ يجري بها لداخل الفيلا وهو يصرخ بوجهها: أنت مستهترة، أضعت هيبتي وسط الجميع.

"أرجوك طلقني."

- هكذا قالت سلمى في ثباتٍ عميقٍ ودموع منهمرة وبنظرة رجاء من الخلاص الذي تريده؛ لتحيا كما تريد وليس كما يريد الآخرون. أنهى هذه اللحظة تواجُد ابنهما علي، وقاطع كلامها قائلًا:

- سلمى ماتعيطيش!

انصرف فؤاد ليخفف من توتر علي؛ لأنه لا يقوى على أي مشاهد حزنٍ وصراخٍ؛ فهو طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة، بينما أخذته سلمى بين أحضانها؛ لتطمئنه وتخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام. وبقي بعد خلوده للنوم سؤالها لنفسها:

- إلى متى سأحيا للآخرين؟

لم تنم ليلتها وجلست تتذكر يحيى ونظراته، وكلماته التي بعثت في روحها الثقة كأنثى ما زالت مرغوبة، وقررت الوصول إليه لتحادثه، وكأنها وجدت السبيل لمسكّن يدخل حياتها يبعدها عن الواقع المرير الذي تعيشه؛ لتحيا معه

حياة موازية تفصلها عما تعانيه.

وبالفعل قامت بالاتصال على أرقام الشركة في صباح اليوم التالي لتسأل عنه باسمٍ مستعارٍ حتى لا يربط أحد اسمها بصوتها، ويعرف من هي.

كان يحيى في قمة سعادته واندهاشه حين عرَّفته بنفسها، وطلبت رقمه الخاص للتواصل، وبدأت علاقة في ظاهرها الصداقة وفي باطنها حب وإعجاب لا ينقطعان.

بدأت مكالماتهما مرةً باليوم إلى أن وصلا إلى المحادثات طوال اليوم دون انقطاع، ولاحظ الجميع تغيُّر كلامها، وشكلها، وابتسامتها التي لا تنقطع منذ ذلك اليوم الذي بدأت فيه التحدث مع من أنارَ القلب، وأشعل شموعًا تنير ظلام حياتها المزرية.

وجاء اليوم المنتظر الذي طلب فيه يحيى لقاء سلمى ليطفئ نار الاشتياق قليلًا برؤيتها، وافقت بعد إلحاح، ورتبت كل السبل لتبقى بكامل أناقتها في ذلك اليوم؛ لأنه يهمها كثيرًا أن تكون أمامه في أجمل صورها.

التقيا وجلسا بضع ساعات دون الالتفات للوقت، وتحدثا في كلِّ ما يجول بخاطرهما وكل ما مرّا به في زحام تلك الحياة الظالمة. وافترقا وداخل كل منهما يقين تام بأنه لن تعود الحياة كما كانت قبل هذا اللقاء.

وبدأ شكل العلاقة بينهما يأخذ مجرى آخر؛ فكل ما كان يقال على استحياء أصبح التحدث عنه بكل وضوح وجرأة هو ما يريح القلب، وأصبح ضميرهما في خبر كان بعد أن كان ينذرهما كلَّ يومٍ أنه لا يجوز ما يفعلانه في كل الأعراف والأديان، باتت لا تلومهما وكأنها مستمتعة بما يجري بينهما، إلى أن جاء يوم وعلا صوت الشيطان كل أصوات الضمائر والتقيا بمسكن حمدي الخاص، وتكرر

ذلك أكثر من مرة إلى أن قررت بينها وبين نفسها أنه لا بُدَّ وأن تطلب الطلاق؛ حتى لا تدنس نفسها بالخطيئة أكثر من ذلك.

والغريب أنها طلبت الانفصال من فؤاد كثيراً، ولم يستجب إلا تلك المرة قال لها باستسلام بعد دموعها ورجائها أن يتركها:

- سلمى.. أنتِ طالق. لا تقلقي يا أم علي سينتهي كل شيء قريبًا، وسأتفق مع أخيك حمدي على كل التفاصيل، وإتمام الإجراءات؛ فلأول مرة أشعر برغبتك الحقيقية في التخلص من حياتك معي؛ لذا استجبت دون نقاش.

وقف الزمن للحظات عند سلمى وكأنها لم تستوعب أن أمنياتها ستتحقق جميعها بكل سهولة وبدون حروب مع الجميع، وأول ما فكرت به هو أن تمسك هاتفها، وترسل رسالة ليحيى:

- أنا انفصلت.. أصبحت حرة.. سأكون ملكك باقي العمر بعد ثلاثة أشهر.. أحبك.

لم يرد على رسالتها، وعلى اتصالاتها لمدة يومين إلى أن جن جنونها، وذهبت إليه عند الشركة لتراه، وتعلم ما سبب هذا الاختفاء.

فوجىء يحيى بمديرة مكتبه تخبره أن مدام سلمى بالخارج وتريد مقابلته، وهو مذهول تمامًا.. ما هذا الذي تفعله؟ وقاطع شروده دخولها مكتبه قبل أن يرد بالإيجاب على المقابلة.

- ما الذي حدث؟

قالت سلمى بتوسل، وضعف شديدين هذا السؤال، والخوف يملأ قلبها من الإجابة التي تخشاها.

- سلمى، اختصارًا: أنت امرأة ساقطة تحبين أن تنحرفي دائمًا عن الطريق المألوف.

حينما كنتِ عذراء فرطت في أعز ما تملكين، وأدمنت، وأجهضت، وبعد أن تزوجت مَن يسترك من الفضيحة، في أول فرصة سنحت لك خنتِه وطعنتِه بكل خناجر الغدر، ثم طلبت الانفصال ظنًا منك أنك ستأتين برجلٍ آخر يستر استهتارك؛ لتجدي لنفسك دائمًا من يمحو أخطاءك عن أعين الناس؛ ليبارك الجميع أفعالك الدنيئة.

أعتذر لن أوافق أن ألعب ذلك الدور في حياتك، ابحثي عن غيري.

لم ترد سلمى بكلمة واحدة، وخرجت من مكتبه، وهي تشعر بدموعها المنهمرة وكأنها خناجر تقطع وجهها... ذهبت للبيت لتجد فؤاد قد أخذ أغراضه، وترك لها رسالة على إحدى الطاولات:

"أعلم كل شيء، سأبتعد تمامًا ولن تعلمي عني شيئًا، سأتركك مع خطاياك، استمتعي بذنوبك؛ فأنا لن أعود مجددًا. أحبك ولكني الآن لا أريدك؛ سأسافر للخارج ومعي علي؛ لأقوم بتربيته في بيئة غير ملوثة بخطايا أمه؛ فأنت يا سلمى غير مؤتمنة لتكوني مربية وأم.

صعدت سلمى مسرعة كالمجنونة لغرفة علي، ولم تجده، ولم تجد أغراضه. وبدون تفكير بعد كل الخيبات التي مرت بها، ألقت بنفسها من شرفة غرفته لتلقى حتفها على الفور.

ذهب فؤاد لأخيها حمدي؛ ليروي له كل شيء، ويخبره أنه مسافر اليوم، وأنه أنهى كل إجراءات الطلاق..

لم يرد حمدي عليه، وذهب مسرعًا إلى البيت والشيطان يتملكه بأن يقتلها لينهي كل أفعالها المستهترة، وما إن دخل القصر حتى وجد أخته غارقة في

دمائها في حديقة القصر وحولها الخدم في انهيارٍ، وعربة الإسعاف قد وصلت لتوها قائلًا لنفسه بكل جمود وبدون أن يتأثر للحظة واحدة: فعلتِ ما كنتُ سأفعله، ولكن بأقل الخسائر!

علم يحيى بانتحار سلمى بعد أن دخل فؤاد مكتبه ليقول له:

- كان بإمكاني قتلك ولكني اخترت الانسحاب حتى أنهي تلك العلاقة بأقل الخسائر.

وهنا أرسل استقالته عبر البريد الإلكتروني لحمدي بك خشية انتقامه منه والفضيحة التي من الممكن حدوثها، خاصة أن سلمى كانت بمكتبه منذ سويعات قليلة، ووجد أن قراره هذا هو "أقل الخسائر".

اختار الجميع أقل الخسائر إلا سلمى، استسلمت لشيطانها، وكانت دائمًا تختار الخسارة الكبرى إلى أن أنهت حياتها عاصية وزانية، كافرة بفرصة ربها التي أعطاها للمذنبين؛ التوبة والعودة إليه، إلى القادر الغفار، ومن يغفر الذنوب إلا هو..

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}. سورة الزمر آية 53

أبي أشواق مستعرة

بقلم: سعيد فاروق النحاس

انحدرت دمعتان ساخنتان من عيني وأنا داخل قبر أبي الحبيب بعد عشر سنوات على رحيله إلى الحياة الأخرى.. القبر؛ ذلك المكان الموحش الذي لا ينبعث منه سوى رائحة الموت وكأنك تتنفس في أنبوب لا يكاد الهواء يصل إلى رئتيك فهو يسير إليهما حثيثًا زحف حبوًا كما لو كان خائفًا هو الآخر، ظلام دامس لا يكاد المرء أن يرى إلا بياض الأكفان المنبسطة على الرمال المنعكس عليها وميض تلفوني البسيط ذلك القبر العجيب الذي يشبه المقابر الفرعونية فهو عبارة عن حفرة عمقها متران ونصف، ثم باب صغير عرضه وطوله أكثر من نصف المتر بقليل، تمر منه بصعوبة إلى غرفة صغيرة منحوتة في الجبل كأنك داخل قطعة جرانيت مصقولة بحرفية شديدة هنا تنقطع تمامًا عن عالم الأحياء في الخارج حتى لو كنتَ لا زلت منهم فأنت مجبرٌ على تذكُّر الحياة الأخرى لأن هنا سيكون ملاذنا جميعًا في يومٍ من الأيام طال أو قصر ولن ينجدك من أهواله إلا عملك الصالح فقط؛ لذلك شعرت بالاضطراب والقلق والخوف وأشياء أخرى وكأني أقول رب ارجعون وأنا أعلم هذه المرة أن الله سيمهلني ليومٍ آخر معلوم أخذت أتحسس كفن أبي من أخمص القدمين حتى أعلى الرأس

ولكن لم تتطاوعني نفسي على فتح الكفن ورؤية ما آل إليه وجهه، وأخيرا جلست بجواره أبكي؛ فنظر إلى التُّربي ساعتها وقال لي الآن علمت لم أصررت على النزول إلى هنا؟ إنه الشوق إلى أبيك بعد كل هذه السنوات والحياة وضروبها لم تستطع أن تخبو نار شوقك إليه. تبسَّم الرجل وقال: لا تحزن فقد كان من الصالحين. فتذكرت أبي ونضاله من أجل أن يفعل أي شيء قد يجلب السعادة إلى أيٍّ من أبنائه الثمانية دونما كللٍ أو تبرم نعم؛ فقد كانت حياته جهادًا فينا، تنهار كل قلاعه وحصونه إن رأى أينا قد أصابه المرض فلا تكاد قدماه تحملانه فيكاد يهوى لولا بقايا من قوة من أجلنا نحن حتى نشعر بعطفه الشديد ولكنه أبدًا لن ينكسر من أجلنا، نحن فقط كنا نأكل ونمتلئ فيشبع هو، سعادتنا منتهى أمله وشقاؤنا جحيمه الأبدي، أي إنسان أنت أم أن الله وهبنا أبًا من الملائكة فقد كان كريمًا جوادًا كالسيل الجارف عفوًا غفورًا، حبه كالنبع المتدفق دومًا بلا انقطاع حتى عند موته بين يدي وكلانا يعلم أنها النهاية فالنزيف الداخلي يكاد يغرقه وكلانا يكذب على الآخر، ولكن تفضحنا عيوننا كلما التقيتا تنهار ستائر وسدود الكذب ولا تبقى سوى الحقيقة المرة.. ما أروع أن تعيش في كنف من تحب وما أقسى أن تراه يزبل أمام عينيك وتنطفئ شمسه إلى الأبد وأنت لا تستطيع فعل شيء سوى الدعاء من الله سرًّا بنجدته ونجدتنا، إلا أنه سرعان ما يمسك بيدي ويضغط عليها بقوة ويقول لمَ أنت خائف حزين مهترئ هكذا؟ تماسَك فأنا بخير، واعلم ان بعد العسر يسر وبين العسرين يسر، ولكن لم يأتِ الطبيب في مستشفى طوارئ السيد جلال بمصر القديمة إلا بعد أن قال أبي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة مبتسمًا: يبدو أنه لن يأتي أحد لنجدتنا لله الأمر من قبل ومن بعد ثم نطق الشهادتين وذهب هو إلى جنات الخلد، وذهبت نفسي وإخوتي وأمي إلى جحيم مستعر شوقه لن يخبو أبدًا في داخلنا حتى هذه اللحظات وأنا أجلس إلى جواره أتحسسه، أقترب من ذلك الجسد المسجى على

الرمال لعلِّي أجد فيه ريح أبي الذي لطالما كان أمني وأماني؛ فلا أجد سوى رائحة الموت بأعماق القبور فأستفيق على بقايا صوتٍ يأتي من أعلى، وحِّدوه، الأمانة في طريقها إليكم فيرد مَن إلى جواري جاهزون توكلوا على الله فينزل عمي برفق فيواري الثرى إلى جوار أخيه وأبيه ونوجهه تجاه القِبلة وأخيراً نحل عليه كفنه، ثم نخرج مسرعين فأحاول أن أملأ رئتي بهواء جديد بعد أن أخرج هواء القبور من أعماقي ثم نهيل عليهم جميعًا التراب فنلقن عمي حجته قبل السؤال فيخطب فينا أحدنا فيحدثنا عن الموت وسكراته وما ينتظرنا بعده؛ فتنهمر الدموع من أعيننا سيلاً ونعاهد الله جميعًا ألا نعصى الله ثانيًا أبدًا وأن نكون من أهل العفو والكرم والإحسان، ثم نذهب وننام في هذا اليوم قريري العين قبل النفس فنحن في معية الله، ولكن نصحو على نفس الدنيا ونفس الخطايا فهي هي نفس النفس لن تغير قناعاتها لحظات عشناها في أعماق القبور وهو هو نفس الرب الغفور فنعم الرب ربي ونعم الإله إلهي، وصدقَ َمن قال أمة ظالمة ورب عفو غفور كريم.

العلمين الجديدة

بقلم : سعيد فاروق النحاس

ساقتني الأقدار إلى أن اكون من سكان أرقى المنتجعات الصيفية في الساحل الشمالي في قرية "جولف بورتو مارينا" بمدينة العلمين، وأن أجاور علية القوم وأصحاب المال والأعمال في هذا الوطن بعد أن كنت قد فقدت أي أمل في أن أصيف هذا العام نتيجة الضغوط الاقتصادية التي يمر بها هذا والوطن والتي كنت من أصحاب الأضرار الجسيمة نتيجةً لتعويم الجنيه ومن بعدة رفع الدعم عن المحروقات والتي أصابت عملي بمقتل؛ لأنه يعتمد على الطاقة بكل أشكالها بشكل أساسي وهي إعادة تدوير الألومنيوم والتي ارتفعت أسعارها بشكل جنوني وغير مسبوق أدَّى إلى وجود كساد رهيب وبتٌّ متأكدًا بعد وصولي إلى هنا أن من يشعرون بضائقة الوطن الاقتصادية هم الطبقات التي دون أصدقائنا سكان هذه المنتجعان فهم الذين تدعكهم رحى تصحيح مسار هذا الوطن، إنهم المفرومون أو المنصهرون الذين بدمائهم يقتات عليها أسيادنا أصحاب القامات الكبيرة والسيارات الفارهة.

وصلت إلى هذا المكان المدهش في خصوصيته وجماله عن طريق دعوة أحد

أصدقائي القدامى من أيام الثانوي الذي صار عن طريق الخليج بعد تعويم الجنية من أصحاب القامات الفارهة فأشفق على حالي في محافظات الجنوب والتي هي شديدة الانصهار من أجل هذا الوطن.

وجدت أناسًا كالذين أراهم في الأفلام الأجنبية شديدي النظافة والجمال، وخاصة أن ملابسهم إما شفافة جدًّا أو لا تكاد تغطي إلا أقل القليل من أجسادهم وهذه الأشياء لا نراها -نحن أبناء الصعيد- إلا في الأفلام كما ذكرت آنفًا.. آه لو رأت أمي الحنون هؤلاء النسوة في حال أن جاءت معنا، كانت لتكرهني في ساعتها ولحظتها اعتقادًا منها أنني أصبحت من الفاسقين أو قد يحدث ما هو أصعب؛ أن تصر على تأديببي بال "شبشب" أمام هؤلاء المنحلّين -من وجهة نظرها-.. وأخيرًا تصر إصرارًا على أن أعيدها لبيتها في الصعيد في نفس اليوم فيكون هذا عقابي الحقيقي.. نعم نحن نعيش ونجري في هذا الوطن ولكن ليس في هذا التراك فبعض أهالينا وأحبابنا لم يكتب عليهم أن يروا زرقة البحر قط من يوم أن أنجبتهم أمهاتهم وإلى أن يوضعوا في ظلمات القبور.

هي نفس السماء، ولكن هنا تتخللها سحابات رقيقة تحجب جزءًا كبيرًا من أشعة الشمس التي وكأن حرارتها تهبط حَبْوًا أو زحفًا حتى لا توقظ الحالمين في دنيا جميلة ما أروع الحياة فيها، فوقهم تلك السماء الحنونة، وأمامهم بحر مياهه زُرقتها عجيبة مدهشة الجمال تأخذ بلُبِّ الناظرين، بِكرًا لا زالت لم تهتكها أقدام العامة والبسطاء وقضاء حاجات صغارهم.

مر اليوم الأول على وصولنا إلى هنا واستمتعنا بكل شيء هنا بدايةً من المناظر الطبيعية الفاتنة التي رسمتها المساحات الخضراء الممتدة ومرورًا بحمامات السباحة المرسومة في أعماق الخُضرة، ونهاية بمدينة الألعاب المائية الشيقة. كل هذا يرسم أمام العين لوحة فاتنة من صنع الإنسان التي أجبرتني

أنا الذي أملك منذ صغرى فوبيا النزول إلى الماء أن أنزل إلى الماء وأستمتع به كثيراً دونما أي خوفٍ أو ترددٍ.

قررنا الذهاب إلى مدينة العلمين لشراء بعض اللوازم والمياه المعدنية فقد حذَّرونا من شُرب الماء الواصل إلى الشقق التي نسكن فيها بدعوى أنها قد تؤثر بالسَّلب على الصحة فنزلنا واشترينا احتياجاتنا ثم حدث ما لم أتوقعه أبدًا وكأن رأسي ارتطم بالأرض ارتطامًا.

فقد قررت سيارتي ألا تدور أبدًا وحتى بعد محاولات عديدة بتوصيل "كابل" من سيارات أخرى فاسودت الدنيا في عينيَّ، وبعد أن تمالكت نفسي ولملمت ما تبقَّى منها ذهبت إلى كهربائي سيارات فعطف عليَّ وأتى معي. وبعد كشف دقيق على السيارة نظر في عيني وقال: "هذه المشكلة تحتاج ميكانيكي يا أستاذ" وأرشدني إلى أحدهم فذهبت إليه مهرولاً لعلّي أجد الترياق لسيارتي الحبيبة التي يبدو عليها أنها أوشكت على الموت ووجدته سريعًا والحمد لله وأتى معي مسرعًا عندما أخبرته أن معي أولادي على قارعة الطريق.. ما أجمل أن تجد مصريين حقيقيين في وقت الأزمات يشدون من عضدك ويساندونك ويعرضون عليك المساعدة بعثت على تلك المشاعر الفياضة من الناس السعادة فقد كنت أعتقد أنَّ الإنسانيات قد طردت من وطني تحت وطأة الفقر والبحث عن المال مهما كان السبيل إليه، حتى لو كان على حساب المتاجرة بزلّات الاخرين وابتلائهم.

حاول الميكانيكي والكهربائي كلاهما جاهدين في إنعاش سيارتي طريحة الطريق دون جدوى، وكان حكمهما النهائي أن أرسل أولادي إلى مسكني في سيارة ميكروباص أتاني بها الكهربائي ثم نقوم بسحب السيارة إلى الميكانيكي الذي سيقوم بدوره بحل المارش ثم إرساله إلى الكهربائي الذي سيجري للمارش

عملية قلب مفتوح، في محاولة أخيرة بائسة لعودته إلى الحياة، وذلك سيكون في صباح اليوم التالي فذهبت إلى مسكني الجميل ولكن أجرجر أذيال الخيبة واليأس بعد أن أعيتني الحِيَل في استفاقة سيارتي الحبيبة.

عند ظُهر اليوم التالي رن هاتفي المحمول فوجدته الميكانيكي الذي أخبرني بأن مارش سيارتي قد مات بشكل طبيعي أو عمر افتراضي وأنها بحاجة إلى قلبٍ جديدٍ أو مارش جديد سوف يتحصلون عليه من الإسكندرية في مساء هذا اليوم وأنه سيتكلف ثلاثة آلاف جنيه، غير أجرة الميكانيكي نفسه؛ فوافقت على الفور وأخبرته أني أفوض أمري إلى الله، كانت المشكلة أنني لا أملك هذا المال لأنني لا أحتفظ بمالٍ معي عند السفر ولكني أحتفظ بفيزا بنك مصر الماستر كارد إلا إني فوجئت أنه لا يوجد فروع لبنك مصر أو أي بنك آخر في مدينة العلمين، تخيل في العام 2018 لا يوجد بمدينة العلمين أي فروع للبنوك المصرية الشهيرة أو غيرها إطلاقًا اللهم إلا من بعض ماكينات الصرّاف الآلي للبنك الأهلي والتي فوجئتُ بعدم قبولها للتعامل مع الفيزا خاصتي فقررت أن أجعل أحد إخوتي يرسل لي حوالة بريدية بمبلغ خمسة آلاف جنيه اعتقادًا مني أن مكاتب البريد في هذه المدينة النائمة في أحضان البحر المتوسط ستكون متوفرة ولا يتردد عليها الكثير من الناس، ولكن كانت الطامة أنه لا يوجد سوى مكتب بريد واحد أو بالأحرى كشك بريد واحد وقد وصلت إلى هناك وأنا محبط تمامًا لأنني كنت قد مررت على كل ماكينات الصراف الآلي بالمدينة فهاتفت أخي سريعًا أن يقوم بإرسال الحوالة وجدت مشهدًا غريبًا؛ أناس كثر وهرج ومرج ورجال الشرطة وكأن هناك مشكلة كبيرة في داخل مكتب البريد؛ فسألت أحدهم ماذا يحدث فأخبرني أن موظفين مكتب البريد قد اتصلوا بالشرطة للزحام الشديد وخروج بعض الناس عن السيطرة لأنهم يحاولون الحصول على الخدمة باستعمال العنف أو ممارسة البلطجة؛ فنظرت أدقق في وجوه الناس الموجودة فإذا هم عمال

العقارات الذين يعملون بالمدينة الذين يحاولون إرسال رواتبهم إلى ذويهم في مدنهم البعيدة قبل العيد ولا توجد وسيلة أخرى سوى كشك البريد هذا؛ فعرفت الآن أنني وصلت إلى الطرف الآخر من العالم فمن يعيشون في المارينا أو الجلف هم سكان العالم الغربي المتحضر أما هولاء البائسون فهم سكان العالم الثالث الذين يعيشون تحت وطأة الفقر والقهر والحرمان، إنهم المعذبون في الأرض؛ البنَّاءون والنجّارون والنقاشون وبواقي طائفة المعمار المئات منهم يقفون من الثامنة والنصف صباحًا حتى وصولي في الثانية ظهرًا، وقد أضاعوا يومًا كاملاً من رواتبهم أملًا في الحصول على تلك الخدمة، ولأن قدرات البشر على احتمال الظلم نسبية فقد انهار البعض فحاولوا الحصول على الخدمة عنوة فطلب موظفو مكتب البريد الشرطة لهم والتي أجبرتهم على تسجيل أسمائهم تباعًا بشكل رقمي ثم النداء على كل اسم حسب رقمه فهدأ الناس نسبيًّا وخاصة أنهم أخبروهم بأنه توجد فترة مسائية ممتدة حتى السادسة ولن يذهب أحدٌ دون الحصول على الخدمة المرادة.

نظرت حولي بحسرة وأنا أذكر دولاً لم تكن موجودة منذ مئة عام أصبح الحصول على كل الخدمات الحكومية المتعددة بها عبر الهاتف المحمول ونحن نضيّع ساعات عمل لأكثر من أربعمائة عامل في هذه الخدمة البسيطة جدًّا. كظمت غيظي ولملمت ما تبقى منّي وذهبت أدوِّن رقمي الذي كان أربعمائة وخمسة عشر ثم ذهبت إلى أمين الشرطة المسئول عن الأرقام لأسأله لأي رقم وصلتم فأخبرني أنهم وصلوا إلى رقم مائة وثمانية وثلاثين؛ فكاد أن يغشى عليَّ.. ماذا أفعل وساعتها لعنت المصيف والعلمين والساحل الشمالي وقلت فعلاً صدقَ المثل القائل من خرج من داره قلَّ مقداره.

آهٍ لَكَم أحبكم أيها المصريون البسطاء، وخاصةً في وقت الأزمات؛ فالجميع يحاول أن يساعد بقدر استطاعته فرغم آلام هولاء البسطاء ومعانتهم الشديدة إلا أن معادن الكثير منهم رغم الفقر والعوز نفيسة بقدر الذهب فقد أشفقوا على فقد ظهر، على الإنهاك الشديد لأنني ممن ابتلاهم الله بداء السكري الملعون وقد أنهكني تمامًا وكدت أن أصاب بغيبوبة فأخبرتهم أني وأولادي في كربٍ شديدٍ فوافقوا على دخولي وتقديم رقمي لأكثر من مئتين رقم.. نعم لقد حدثت المعجزة ووجدت نفسي بعد ساعة فقط أمام الصراف الذي وهبني المال الأغلى الذي سوف أدفعه ثمنًا للجراحة التي أجرتها سيارتي بنجاح والحمد لله.

أمسكت المال بيدي ونظرت إليه نظرة طويلة وشعرت أن الله أرسل لي رسالة حيث يقول لي أنت الآن من سكان الجولف، ولكن الحقيقة أنك لست منهم ولا مثلهم ولكن أنت من هولاء البسطاء مهما فعلت وحتى لو ملكت المال فسيكون الوصول إليه في بعض الأحيان مستحيلاً وكأنها رسالة لألجم تلك النفس التي كادت أو أوشكت أن تخرج من عباءتها كذبًا فلملمتها وكدرتها وعنفتها وأعلمتها أننا من هولاء البسطاء الكادحين الذين لولاهم لرجعت إلى مدينتي للحصول على المال حَبْوًا.

ذهبت إلى خيري الميكانيكي لأجده جالسًا على كرسي مصنوع من جريد النخل أمام ورشته الميكانيكية، فحيّاني ودعاني للجلوس وأحضر لي شايًا وأخبرني أن المارش الجديد خرج من الإسكندرية وهو في طريقه إلى هنا خلال ساعة على الأكثر فقررت البقاء معه على العودة إلى الجولف وكنت قد لاحظت بالأمس أنه يعرج على إحدى قدميه فأخبرني أنها حادثة تعرّض لها هو وزوجته الحامل منذ عشر سنوات، وأنه لا يذكر منها أن زوجته وطفله الذي كان على وشك الوصول إلى عالمنا قد ذهبا معًا إلى العالم الآخر، وأنه قد أخذ سنوات عديدة

حتى يتخطى هذه المأساة ويستطيع تكملة الدرب ولكنه إلى الآن لم يستطع أن يدخل في علاقة زوجية جديدة ولم يخبرني هل السبب عشقة لزوجته أم بسبب الإعاقة التي لحقت به جراء الحادث الأليم.

علمتني الحياة أن أصحاب العقول البسيطة وقليلي الثقافة لا يستطيعون تخطي العتبات والمصائب التي قد تصيبهم في معترك الحياة ويعيشون داخل شرنقة أبدية من صنع خيالاتهم قد تجعل العديد من سنوات العمر الجميلة أشبه بالجحيم مع أن الحقيقة هي شرنقة هلامية ليس عليه إلا أن يطأها بقدمه ويكمل الدرب في تلك الحياة والتي هي نسخةٌ وحيدةٌ فريدةٌ؛ لذلك من الأفضل أن تعاش بسعادة.

إن أهل البلاء في هذا الوطن يقتادون إلى المصائب تباعًا؛ فلا يكادون يستفيقون من بلاء حتى يصطدمون بمطرقة جديدة تقضي على سنوات عديدة أخرى من أعمارٍ كتب الله عليهم فيها أن يعيشوا تحت وطأة القهر والظلم واليأس بفعل بشر آخرين نُزِعوا الرحمة فهم أشد قسوة من أبالسة الجحيم.

أخبرني هذا المسكين أنه خارجٌ من السجن منذ عدة شهور فقُلت له ما جريمتك قال لا أدري، ولكني أعتقد أن جريمتي أنني غلبان وبسيط وليس لي ظهر فقد أتى إليَّ أحد البهوات في يومٍ من الأيام وسيارته الفارهة محمولة على أعناقِ ونشٍ كبير وفي داخلها امرأة ترتدي البكيني ونهرنا حتى نسرع لإنزال سيارته والجميلة من أعلى الونش وكان أسلوبه فجًّا جدًّا ومتعجرفًا بطريقة مستفزة إلى أقصى حد لدرجة أنه يشعرك أننا لسنا آدميين من حوله بل درجة أخرى في درجات سلم التطور الطبيعي. المهم قمت بتهدئة رَوَع من معي من العمال وأخبرته بلطف "أوامرك يا باشا سوف أصعد إلى الونش أولاً لألقي نظرة فإن كان باستطاعتنا تصليحها هنا فخيراً إن شاء الله وإن لم نستطع فلا حاجة

لإنزالها لأنك ساعتها يجب أن تأخذها إلى الإسكندرية". فوافق على مضض فقمت على الفور باعتلاء الونش وعلمت منذ النظرة الأولى أنني استطيع إصلاحها مع بعض الوقت فأخبرته بذلك وأنه ما عليه إلا تركها معنا حتى نهاية اليوم ويكون كل شيء بها تم إصلاحه بإذن الله، وساعتها فقط قررت الجميلة أن تنزل من السيارة ثم من الونش إلى تلك الأرض البغيضة التي كانت تنظر إليها ونحن معها بتأففٍ شديدٍ. أشعرتنا الحسناء أننا أمراض متنقلة على الأرض يجب الابتعاد عنها فورًا نجاةً من الهلاك.

قضينا اليوم أنا وصبياني على العمل على تلك السيارة الفارهة وأهملنا باقي السيارات اعتقادًا منّا أن الباشا سوف يمنحنا عطية كبيرة إلى أن أنهيناها فرحين بما فعلنا فيها من إنجاز جعلنا نشعر أننا مهندسون درجة أولى فقمت على الفور بالاتصال بالباشا وكنت قد أخذت رقمه لذلك الأمر وأخبرته أن العمل على السيارة قد تم بنجاح والحمد لله.

وسرعان ما أتى إلى ورشتي ومعه نفس الفتاة الجميلة، ووجدته يتوجه إلى السيارة مباشرة دون أي مقدمات أو حتى مجرد السلام وركبها محاولا الانطلاق بها فوقف أحد صبياني معترضًا السيارة قائلاً الحساب يا باشا فقمت سريعًا معنفًا الفتى وقلت له إن الباشا يجرب السيارة فقط يا حمار ولكنني فوجئت بالباشا ينزل من سيارته سريعًا صافعًا الفتى على وجهة وهو يقول "حساب إيه يا ابن الكلب إنت مش عارف إنت بتكلم مين!" فقلت له "يا سيدي ما علاقة كونك بأجرتنا وقيمة قِطع الغيار التي أحضرناها لسيادتك من الإسكندرية" فنهرني بألفاظ نابية كنت أعتقد أن أولاد البشوات لا يعرفوها لأنها لا تتداول إلا في بيئتنا نحن فقط وحاول مرة ثانية أخذ السيارة والانطلاق بها فاعترضنا طريقه أنا والصبيان هذه المرة وأخبرته أن السيارة لن تنطلق قبل أن نأخذ كل

حقوقنا إضافةً إلى البقشيش فأخذت مفاتيح السيارة سريعًا وأمرت الصبيان سريعًا بفك أحد الإطارات حتى لا تتحرك السيارة مطلقًا فجن جنونه ونزل من السيارة سريعًا صافعًا إياي على وجهى وأنا أقف حائلاً بينه وبين العمال الذين كادوا أن يفتكوا به، تذكرت ساعتها أحد الضباط الكبار بالجيش الذين يعملون في حرس الحدود والذي قمت بإصلاح سيارته عدة مرات والذى أخبرني بالاتصال به إذا حدث لي أي مكروه، ومن حُسن حظي أنه رد وقال لي أنا بجوارك وسرعان ما كان موجودًا في ورشتي، وهنا تغير الوضع تمامًا؛ فقد أعلم رجلي الباشا بمنصبه وعمله فاعتدل سريعًا وقمت أنا بإخباره بكل شيء فأخذه جانبًا لدقائق فجاء الباشا ودفع كل شيء بدايةً من ثمن قطع الغيار ومرورًا بأجرتنا ونهاية بالبقشيش، وأخذ سيارته وفيها سيدته الجميلة وهو ينظر إليَّ نظرات عرفت منها أنه لن يتركني مطلقًا؛ فاستفسرت من رجلي المحترم عن هوية الشخص فقال لي إنه يعمل بالمخابرات العسكرية، ولا تقلق الموضوع انتهى على خير يا خيري؛ فشكرته كثيرًا وقلت له "يا سيدي ماذا لو لم تكن حضرتك موجودًا أو أنك لم تستطع الرد على اتصالي لأي ظروف ما الذي كان قد حلَّ بي ساعتها، لله الأمر من قبل ومن بعد.."

يا الله مِن بؤساء هذا الوطن مع من يملكون القوة والسلطة ولا يملكون الأخلاق.. أي بلاء هذا وكيف تعطيهم القدرة على التحمل ومواصلة الدرب مع كل هذا الظلم الذي صار مستعرًا، ولكن إلى أي مدى سوف يحتملون.

أكمل خيري: "مرت الأيام يا سيدي واعتقدت أن الأمر قد انتهى، شهران أو ما يزيد ثم وجدت قوة كبيرة من الشرطة والجيش حول ورشتي وكأنهم يبحثون عن أعتى تجار المخدرات أو عن إرهابي كبير، ولكن عندما سمعت اسمى أنا هو من يريده هذا الجيش الجرار لم أتمالك نفسي ولا أعصابي وانهرت مغشيًا عليَّ.

لا أدري كم مرَّ عليَّ من الزمن وأنا ملقى هكذا داخل تلك الزنزانة الصغيرة المظلمة شديدة الإظلام، فتحت عيني رويدًا رويدًا وأنا أحاول أن ألملم شتات نفسي وجسدي الذي يأبى أن ينتصب رعبًا وقهرًا وخوفًا مما سوف ينطوي عليه وقوفه؛ لذلك يفضل لو يظل مترنحًا مهترئًا حتى قيام الساعة على أن يواجه ساعاته القادمة ولكنني ظللت أجرجر هذا الجسد وأقوّي تلك النفس بأنه لا مفرَّ من المواجهة فاستقام والخزي من الضعف والخوف يملأه حتى نخاع العظم فأخذت أصرخ كجرو ذئب ضل طريقة عن أبويه في غابة كلها جوعى لعلَّ والديه يسمعانه قبل فوات الأوان، ولكن هل من مجيبٍ؟ لا مجيب إلا بعد سويعات لا أدريها من صمت وعمق الظلام.. وأخيراً صريرا الباب بات أملي بعد أن بح عني كل صوتي فكان صوت مزلاج الزنزانة أملاً لأعرف لم أنا هنا.. وأخيراً فتح لي فدخل رجلٌ وفي يده مصباح مبهر الضوء أعماني وزاد من إظلامي رغم النور؛ فأخذني من سترتي بقوة يجرجرني كخرقة بالية لا تملك إلا أن تترك نفسها للسحق تحق الأقدام دومًا، وفجأة انطفأ الضوء المبهر لأجد نفسي أمام الباشا الذي أتاني من ثلاثة شهور هو وسيارته فوق الونش وكانت تمتطيها الجميلة.

مهمومٌ أنا محزون لم يبقَ منِّي قطعة لحم، لم يبقَ منِّي غير العظم لم يبقَ منِّي حتى الدم لم يبقَ منِّي غير الهم.

عرفت ساعتها أنني قد ضعت وضاعت كل أحلامي فكل شيء قد تم تجهيزه، التهمة، التواجد في منطقة عسكرية حدودية بدون إذنٍ مسبقٍ، وأنه تم إلقاء القبض عليَّ عند محاولتي الفرار منهم في هذا المكان ثم عُرِضت على الحاكم العسكري الذي أيضًا لم يسمع صرخاتي ثم وجدتني سجينًا محكومًا عليه بعامين داخل السجن العسكري فقضيتهما وحمدت الله يا سيدي كثيراً أنه لم يحكم على بالإعدام.

لقد صدمتني مأساة هذا الرجل من أعلى الراس حتى أخمص القدمين حتى إنني لم أستطع أن أجلس أنتظر سيارتي حتى تنتهي واستأذنته وذهبت إلى أولادي وزوجتي والفكر يأكلني كيف أسعد بإجازتي بعد سماعي كل هذا الظلم ولكن الله قد خبّأ لي ما هو أكثر إظلامًا وإيلامًا في نفس اليوم والساعة وكأنه يعاقبني على أنني لم أحاول أن أرمم نفس الرجل ببضع كلمات بسيطة قد تساعده على تخطي تلك العقبة الكئود والسير فيه دروب الحياة ومحاولة نسيان هذا الماضي الأليم وطَيّ تلك الصفحة الكئود للأبد فوصلت إلى أسفل العمارة التي أسكن بها ويوجد هناك جراج لركن السيارات فوجدت خادمة أحد أصحاب القامات الفارهة تقوم بوضع شنطة أسيادها الكثيرة في شنطة السيارة وهي تبكي بكاءً مريرًا وتدعو الله على مستخدميها فذهبت إليها وقلت لها لم تدعي على أناس تأكلين من خيرهم فأخبرتني أنها تعيش معهم في قهر وحرمان وعنف وعمل دائم بلا انتها من الصباح الباكر بدايةً بغسل السيارات ومرورًا بكل الأعمال المنزلية وراتبها ألف ومأتان جنيه وهي تحمد الله عليهم كثيراً، ولكنها هنا من تسعة عشر يومًا ولديها خمسة أبناء وزوج يسكن القبور من عامين وولده الكبير صاحب الستة عشر ربيعًا مصابٌ بفشل كلوي يضطره إلى الغسيل الكلوي مرتين أسبوعيا وقد ساق الله لها أحد الجيران يصطحبه إلى المشفى وبقية أبنائها صغار وجوعى وهم يسكنون في مدينة المحلة الكبرى وقد أقسمت عليهم مرارًا أن يتركوها تذهب إلى أولادها للاطمئنان عليهم يومين ثم العودة، ولكن طلبها قوبِلَ برفضٍ فرمانيٍّ لا رجعةَ فيه ولا استثناء من الباشا الكبير؛ لذلك هي تشكو هونها وضعفها إلى الله وحده لعله ينجيها مما هم فيه؛ فساعتها تأكدت تمامًا أن إجازتي أنا قد انتهت تمامًا، وشعرت ساعتها أنه لن أعود إلى البهجة مرة أخرى فدخلت شقتي فقالت لي زوجتي "وجهك حزين مكبوت وكأنك قادم من القبور تودع شخصًا عزيزًا تحمل كل هموم الدنيا فوق

رأسك"؛ فأخبرتها أنني أريد أن أرتاح لساعتين؛ لأن عليَّ العودة لاستلام سيارتي؛ فدخلت غرفتي وألقيت إحدى الملاءات فوق وجهي وبكيت مثلما لم أبكِ مِن قَبلُ نحيب ودموع لعلَّ نفسي تستريح أو أنفض عنها بعضًا من هذا اليأس الذي اعتراها بالكلية فلم أستطع لأنني قد غرقت فيه تمامًا ولم تستطع حتى سيارتي التي تعافت تمامًا ولا حتى ضحكات أطفالي وسمرهم وقلوبهم الغضة النقية التي لا تزال لا تعرف أمراض النفس البشرية أن تعيد إلى قلبي سعادة؛ لأن الوجه قد عاد كذبًا ورياءً حتى لا أكدر عليهم صفو رحلة قد لا تعود، وأتمنى أن لا تعود فقد كرهت المكان، وأخيرًا عدنا إلى مدينتنا القابعة في أعماق الجنوب ثقافة وليس مسافة؛ فوجدت جنازة أم أحد أصدقائي في طريقها إلى الحياة الأخرى قبل حتى أن أبدِّل ملابسي فأسرعت ولحقت بهم وصعدنا الجبل فنظرت إلى القبور التي تملأ الرحب فسألت نفسي أين القبور من عهدٍ عادَ فعرفت ساعتها أن الدنيا أبدًا لن تغني عن النهاية المحتومة وأنها مجرد ذاد نتزود منه لحياة أبدية أخرى، ولكن البعض منا يتزود بالحنظل الذي سوف يأكله، والحطب الذي سوف يصبح نيرانًا مستعرةً أبدية الوجود، خالدة لا تموت يكتوي فيه كُلُّ ظالمٍ وجاحدٍ وحقود وتذكرت ساعتها البسطاء: خيري الميكانيكي المسكين والخادمة المقهورة الذين دعوت الله لهما بأن يلهمهما الصبر والاحتساب والعفو والتسامح أملا في خلد الآخرة.. جنات عرضها السموات والأرض تجري من تحتها الأنهار عوضا عن حياة الظلم والقهر.

إنني أحبك

بقلم : د / حسن زايد

بأشواقٍ ولهفةٍ وترقُّبٍ كنت أجلس؛ أعد أيام سفري وأحسب الساعات مع أن كل السفر

فقط أربعة أيام؛ ولكنها تمر ببطءٍ شديدٍ ومُمِلٍّ، فكرت كثيراً ماذا أفعل معها.. وقعت في حبها من أول نظرة!

وبما أن حكمة الزمن أنه لا يتوقف أبدًا، وأن كل لحظة في حياة الإنسان قد تأتي بالجديد، ومع إيماني بأنه لا وجود للزمان؛ إلا أنه في هذه الأيام الأربعة شعرت بكل ثانية، ومرَّ فيها الزمن ببطءٍ شديدٍ.

- وأخيراً عدت مرة أخري لبيتي؛ لأفعل كل ما أتمناه، وأتأكد من كل شكوكي، وحيرتي...

أول ما أردت أن أفعله هو أنني أردت أن أكلمها، طلبت رقم الهاتف وأنا متلهف لسماع صوتها، الذي لم أتعود عليه كثيراً إلا أنني أحببته.. ويرن الجرس لترتفع دقات قلبي، ستسمعها أن مس قلبي قلبها، وستشعر بها أن وصل حبي لها، وسألت نفسي كثيراً وكثيراً: هل تحبني؟ ردت عليَّ وكلمتها..

فما شعرت أنها سمعت دقات قلبي التي أرهقت قلبي من قوتها..! ما شعرت أنها تبادلني الشعور! ما شعرت أنها تبادلني إحساسي ولوعتي، ما شعرت إلا بكلام لا يحمل في داخله أيَّ معنى. أحاول أن يطول الكلام، وهي تحاول أن تهرب، أفتح حوارًا فلا تستجيب، ثم كان ولا بُدَّ من إنهاء الكلام، كان لا بُدَّ من لحظة فراق مؤلمة ودعتها.

ويا ليتني ما كلمتها أصلًا فما ازددت إلا تعبا وشكًا إلى تعبي وشكي، وما ازددت إلا حيرة على حيرتي، أسأل نفسي: ما هذا الغموض الذي يحيط بها؟ أهو غموض، أم هو إحساس لا تستطيع التعبير عنه؟

وكيف لا تستطيع التعبير عنه؟ وكل ما في هذا الكون يستطيع أن يعبِّر عن نفسه، يستطيع العصفور أن يعبِّر عن حبه لحبيبته؛ فيشدو بصوت جميل مغردًا بأفضل الألحان؛ فنسمع أجمل الأصوات بسبب حبه، حتى الأشجار والزهور تعبر عن نفسها؛ فعندما تهب الرياح بلطف ترقص الأشجار، وتشدو بصوت جميل معبرة عن وجودها ونفسها.

فكرت كثيراً وحدثت نفسي، ثم وجدت راحتي في أن أنام؛ ظننت أن النوم راحة. وما النوم لمن يهرب من واقعه إلا عذاب كبير! قد يحلم أوهامًا؛ فتزيد الأمر شكًا إلى شك، وقد يؤجل قرارًا، يندم عليه بعد ذلك.

وغلبني النوم، وها أنا قد حلمت في لحظة من تلك اللحظات، بأنني أسيرُ إلى مكان قديم كان لي فيه ذكريات وأنا صغير، ولكن تحول المكان إلى أرض فضاء فارغة؛ فحزنت كثيراً، وصادفت بعض أصدقائي؛ فأخبرتهم بجمال المكان قبل أن يهدم، وتلك البيوت التي كنت ألعب فيها. وقد هدمت وطمست معالمها الآن، ولم تعد كما كانت سابقًا بجمالها وروعتها.

عندما ينام الإنسان تختلط الحقيقة بالخيال؛ ليزداد الأمر شكًّا وحيرة، وفي

بعض الأحيان يزداد الأمر خداعًا إلى خداع، وكأن جمال المكان هو حبيبتي، ذلك المكان الذي أحببته من أول نظرة، ولكن بعد أن تغيرت معالمه حزنت عليه.

هكذا عندما كلمتها، لم أجد إلا ذلك المكان الذي تركه أهله وذهبوا، ذلك المكان الذي تجرد من كل المعاني، ولم يبقَ ولم يعد موجودًا فيه غير الذكريات التي يصاحبها ألم، ويصاحبها في نفس اللحظة ضحكات، نضحك بها على أنفسنا أننا في أحسن حال، ونحن في أسوأ حال، نظهر ابتسامة في داخلها الآلاف من الأهات.. ولأن الذكرى شيء يحفر في العقل والقلب؛ فتظل تتجول بين الحين والآخر، ما بين الحقيقة والخيال، ويظل الألم لا يستطيع أن يداويه أيُّ دواءٍ، أو أيُّ طبيبٍ، بكل بساطة يستطيع أن يقتل الإنسان نفسه ليس رميًا بالرصاص، ولكن ببعض من الذكريات المؤلمة، ويستمر الألم، ويستمر الحلم، وتستمر إشراقات الأمل الذي قد يحمل في داخله الخداع أو النجاح.

وفجأة في أثناء الحلم يظهر قصر جديد وكبير وله سلالم من فضة؛ فصعدت ذلك السلم لأجد غرفًا جميلة، كل غرفة أجمل من الأخرى. كانت هناك غرفة مميزة، بابها من ياقوت أحمر ومقبضها من الألماس، وعندما اقتربت من الباب انفتح؛ فإذا بي أجد حبيبتي، فنظرتُ إليها فلم أجد إلا عينيها المليئتين بالحياة التي جذبتني من أول نظرة لها، وعندما اقتربت منها ابتسمت؛ فلما ابتسمت، حركت وجداني، فما شعرت بنفسي إلا بأنني أتجه نحوها، مددت طرف يدي، فمدت إليَّ طرف يديها، تعالت دقات قلبي، إحساس طائر في سماء يطير بمفرده في الكون مع من يحب، لحظات من عدم الوجود، نادرة الوجود، طيران في السماء بأقدام على الأرض، ونطقت أنا بكلمة هي من أجمل كلمات المحبين في الدنيا.

- إنني أحبك. وتوقف الزمن.

"إذا أحببت فإن الزمن يتوقف، مع الحب لا يوجد زمان ولا مكان، أنت ومن تحب فقط.."

ويا ليت حلمي يكتمل، لم أسمع منها شيئًا..

هل تبادلني الشعور؟ لماذا هذا الصمت؟

دائمًا لسبب ما توقظنا الحقيقة! نادرًا ما يكتمل الحب حتى النهاية، فقط في مدينة الملائكة يستطيع الحب أن ينمو حتى النهاية، وحتى إن كنا ملائكة فإن الشياطين تحيط بنا في كل مكان.

وها هم قد أيقظوني من حلمي، وانفجرت غضبًا في وجه من أيقظوني!

- أفي هذه اللحظة توقظوني؟ اتركوني أحلم قليلًا.. لعلها تقول شيئًا..

"إن الحلم والخيال أجمل من الحقيقة؛ نستطيع أن نرسم بخيالنا ما نريد.."

أما في الحقيقة والواقع أنت لا ترسم شيئًا؛ الجميع يرسم معك، حتى الشياطين ترسم معك! فماذا تنتظر؟!

يرسمون معك.. ينافسون معك في حبك.. يحقدون عليك.. يدسون بعض السم المغلف بقطرات العسل.. يشوهون الحلم.. ويضحكون لك في وجهك.. وهم يضحكون عليك..

يعيش الإنسان صراعًا خارجيًا مغلفًا بقطرات العسل وهو لا يدري.. ويعيش صراعًا داخليًا وهو لا يدري أيضًا.. صراعًا بين العقل والقلب..

إن القلب والخيال يعيشان معًا..

وإن العقل والحقيقة يعيشان معًا.. يحاربان بعضهما طوال العمر.. وتكون النهاية..

مَن أنا؟ ومَن اختار فيهم؟

يموت الكثير ولا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال.. يعيش الإنسان صراعًا طويلًا بين فكي العقل والقلب، يفوز من يجمع بينهما.. ذاك يستحق أن يطلق عليه رجل.. وتلك تستحق أن يطلق عليها أنثى..

- لقد كنت أنتظر ردها في حلمي.. ولكنهم أيقظوني..

بعد أن اشتعل غضبي على من أيقظني..

ماذا تريد؟ كانت المفاجأة.. أنهم أخبروني بأنها تريد أن تكلمك على الهاتف..

أسرعت نحو الهاتف.. متناسيًا تلك اللحظات الأليمة التي مرت بي أثناء سفري وبعدها.. لحظات الحيرة والشك والغموض الذي يكتنفها.. وها هي دقات قلبي تعلو مرة أخرى.. ولا أستطيع السيطرة عليها.. بعد أن تعب عقلي من التفكير والذي فضَّل الهروب من الواقع بالنوم..

ما أجمل النوم الذي جعل عيني ترتوي من عين حبيبتي..!

ما أجمل تلك الابتسامة كأن بريقًا من الشمس بين خديها..!

كانت لحظة رسمها خيالي، وكنت أتمنى أن تحدث في الواقع، ولكن سألت نفسي سؤالًا: ما الذي جعلها تتصل بي الآن؟

- ألو.. نعم..

- كيف حالك؟

- الحمد لله

- في الحقيقة أعلم أنني عذبتُكَ كثيراً عندما حدثتك في الهاتف، وعذبتك حتى عندما كنت نائمًا فلم أرد عليك..

- عندما كنت نائمًا؟!

- عندما وجدتني في القصر.. الباب ذو المقبض الألماسي..

- نعم، كيف علمتِ؟

- كيف أكون أميرة القصر ولا أعلم؟

محدثًا نفسه وغير مصدق ما يحدث: يبدو أن صوتي كان مرتفعًا.. كيف عرفَتْ بحلمي؟ أهذا مسٌّ من الجنون أم ماذا؟!

قاطعت شروده:

- لا تندهش.. لقد توقعت أنك حلمت نفس حلمي.. عندما أخبروني بأنك كنت نائمًا..

إنني أريد أن أرد عليك..

فلتحافظ على كلمتي؛ لأنها غالية وثمن الحفاظ عليها أغلى وأغلى. قلما يستمر حبٌّ حتى النهاية؛ فالشياطين تحيط بنا في كل مكان!

- إنك تعتقدين ما أعتقده بالضبط.

قاطعَتْهُ..

- هل ستحافظ على كَلِمتي؟ اعذرني أعلَمُ عنكم أيها الرجال أنكم تحبون الكثير من النساء في ذات الوقت..

قاطعها غاضبًا:

- مَن قال ذلك؟ كذب. يحب الرجل مرة واحدة بصدق، وكل ما بعد ذلك يكون سرابًا. الرجل له قلب واحد، يعرف الكثيرات، ولكنه يحب واحدةً. له أن يتزوج أربع، ولكن تخطف قلبه واحدةٌ فقط!

يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم "مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ."

إن الرجل ذو الفطرة السليمة عندما يتوحد عقله وقلبه ويختار، فقد انتهى الأمر..

- اعذرني لم أقصد أن أغضبك.

- لا عليكِ، أعدُكِ بأنني سأحافظ علي كلمتك.

- أنا واثقة من أنك سوف تحافظ عليها، وسوف تحتفظ بقلبي حتى النهاية؛ إنك تستحق أن يُطلَق عليك رجلاً؛ فتملك كلمتي منِّي. لك وحدك أقول:

كلمة أعلم أنها سكن لك لتهدأ..

كلمة تجعل من الرجل فارسًا..

كلمة تحرِّك جبال الرجل الثابتة..

كلمة تزداد بها قوة الرجل أضعافَ قوته..

وتستطيع أن تجعل من العبد مَلِكًا..

ومن الضبع أسدًا..

أقولها بقلبي وعقلي خالصة لك وحدك:

- إنني أحبك.

- عاش الملك والملكة.

ومن هذه اللحظة بدأ صراع خفي على الحكم؛ لأن بعض الوزراء طمعوا في المنصب ذاته.

وطالما غيرت الملكة قانونًا، وما تزال ملكة حتى الآن، فنحن أيضًا يمكننا أن نغير القوانين، وأن نضع ملكًا منا نحن الوزراء، ونتنعم بالعسل والذرة لنا، ولأحفادنا مدى الحياة!

لقد خطرت الفكرة مباشرة في عقل نمرود الوزير الأكبر، الذي يلازم الملكة طوال الوقت، ويعلم جميع أسرار المملكة، ويرى النعيم الذي تعيش فيه الملكة، ويتضايق من كثرة أوامرها له؛ فأخذ قرارًا بالجلوس على نفس الكرسي الذي تجلس عليه الملكة، مع أنه لا يجوز في قوانين المملكة لقائد من الذكور قيادة المملكة! لقد فكر مبدئيًا أن ينفذ القانون، بأن ترحل الملكة وبعدها يستطيع أن ينفرد بالحكم بمفرده، وبدأ نمرود في السعي لاقتناص الفرصة التي أتت على ورق من توت أمامه.

نمرود ذو مكانة رهيبة ونفوذ وقوة وذكاء؛ يخاف منه كل الحراس وباقي الوزراء، وبدأ يضم معه من هم على شاكلته من المتمردين على الملكة، وأول من بدأ به، هو ممنون السياف الذي وجدَ في عينيه الشر مما فعلته الملكة.

لقد ظل ممنون منتظرًا لإشارة الملكة لبعض الوقت، وفي النهاية أمرته الملكة بإنزال سيفه؛ لقد حرمته الملكة من أفضل ما يستطيع أن يفعله!

إن ذلك يعد إهانة لأي محارب..

وذهب نمرود إلى ممنون السياف ليستفزه قليلًا، ويضمه في صفه ضد الملكة. نمرود مستهزئًا بممنون:

- أرى في عينيك الكثيرَ يا ممنون!

نمول ونمولة: جـ2

بقلم : د. حسن زايد

كانت جائزة نمُّول الكبرى هي الموت على يدِ ممنون السياف. أنقذَتْه الملكة نمولة في اللحظة الأخيرة. لم يكن نمول يعلم أن جائزته، بعد أن يحارب من أجل الفوز بقلب الملكة التي ظلَّ يحلم بها، هي الموت! لقد أمضى منعمًا يومًا واحدًا مع الملكة نمولة.. لقد ضحكا كثيرًا ولَعبا سويًا، وأمضى نمول أفضل أوقات حياته كلها..

وقعت الملكة في غرام نمول؛ لقد غيَّر معالم قلبها من خلال حديثه عن الحب، حينما أخبرها أن الحب هو الزهرة الجميلة المتفتحة في يوم مشرق وجميل، وهو تلك النسمة التي تجعل القلب أسيرًا تحت يد المحبوب!

لقد غير الحب قوانين موضوعة منذ آلاف السنين للحفاظ على المملكة ووجودها.

لقد أخذت الملكة قرارًا ببقاء نمول على قيد الحياة أمام الجميع، وهي تعلم تمامًا أن هذا القرار يعني أنها لا بد أن تتنحى عن حكمها لمملكتها.

وما أنقذ موقفها هو هتاف الحراس، وبعض الوزراء المخلصين:

- دَعني الآن يا كبير الوزراء.

- أعلم أن الملكة حرمتك من اللحظة التي تنتظرها كُلَّ عامٍ، لقد حرمتك من وظيفتك، واستهزأت بك من أجل الملك نمول. ممنون منفجرًا بالغضب:

- لا تَقُل عليه ملكًا. إنه مجرد حشرة بق متعفنة من عامة الشعب!

- اخفض صوتك حتى لا تسمعك الملكة فتأمر الحراس بأخذك إلى السجن.

- هذا حينما كانت ملكة، أما الآن فلا.. لا بد من تطبيق القانون الذي تسير عليه المملكة.

- لقد قلت ذلك. ولكنني كنت أعتقد أنني الوحيد، الذي سيتمرد على هذا الوضع.

- هيَّا بنا إلى قاضي القضاة كركور، لن نصمت على هذا الأمر أبدًا..

في مشهد آخر تمامًا بين نمول ونمولة في الصباح..

نمول: استيقظي يا نمولة.

نمولة: اتركني أحلم قليلًا.

نمول: لقد اقترب النهار من منتصفه! استيقظي. الوزراء والحراس والشعب..

نمولة: إنه حُلمٌ جميلٌ.. أنا وأنتَ ننامُ في قصرٍ كبيرٍ، وعليه حُرَّاس كثيرون، وأنتَ تخطب بين الناس، وكلهم يستمعون إليك.

نمول: خيرًا، بإذن الله.

- أعددتُ لكِ إفطارًا يليق بملكة! جناح نحلة مغطى بالعسل، ومن حولها حبيبات الذرة اللذيذة، والشراب بضع قطرات من الليمون المحلَّى بالسكر.

نمولة: الله عليك. أتعلم مَن كان يقدم لي الإفطار؟

نمول: لا أعلم. من هو؟

نمولة: ممنون السياف!

نمول: يا لطيف يا الله. في الصباح! أتصطبحين بهذا الوجه كل يوم؟ إنني أرى في عينيه الغدر!

نمولة: ماذا تقول؟ إنه من المخلصين لي. هو وجميع الوزراء.

نمول: إحساس. مجرد إحساس. أنتِ لا تعلمين شيئًا، أيتها الملكة الطيبة!

نمولة: لا أفهم كلامك. هل تشكُّ في إخلاص وزرائي؟

ثم بدأت أصوات صياح في الخارج وجلبة، ثم فتح ممنون السياف الباب بعنفٍ، وانتفضت نمولة من على سريرها، وكذلك نمول.

نمولة: كيف تجرؤ على الدخول بهذا الشكل لحجرتي الملكية؟!

ممنون: معي أوامر من القاضي بالقبض عليكِ، وعلى نمول! وهذا كبير الحراس سينفذ أوامر القاضي كركور.

وقعت الملكة نمولة على الأرض وتلقفها نمول؛ فلم تتمالك نفسها من الصدمة.

نمول: تماسكي يا ملكتي كل شيء سيكون بخير. صدقيني.

وتم أخذُ نمول ونمولة إلى سجن النمل، كل منهما في مكان منفصل عن الآخر..

الملكة نمولة لا تصدق ما يحدث! إنها تقضي ليلتها في سجن النمل! لقد ظلت تبكي، وتبكي حتى انهارت من البكاء.

ما الذي يَحدث؟ كل هذا بسبب أنني أحببتُ! هل كنت أتركه ليموت؟! لا؛ لقد أحببته.

هل جائزة الحب الموت؟! ما هذه القوانين الظالمة؟! لقد شعرت الآن بما

شعر به نمول، حينما كان على منصة الموت. لقد أحبَّني وكانت جائزته الموت. ثم فقدَتْ وعيها تمامًا.

وعلى الجانب الآخر، نمول يجلس حزينًا على الأرض، بعد أن ذاق طعم السرير الملكي، إنه يحدِّث نفسه:

- يا لها من أحداث! فزتُ بالملكة لمدة يومٍ واحدٍ، بعد تجهيز وترتيب استغرق سنوات من التعب، لأجد نفسي في اليوم الثاني تحت سيف ممنون، ثم تنقذني الملكة ثم اليوم الثالث في السجن! ما هذا النحس! لا.. لا تقل لنفسك ذلك. كثيراً ما كنت أفشل وأقوم ثانية.

علمني أبي أن الفشل يبدأ من داخل نفسي، ثم يظهر في الخارج..

لن أستسلم لهم. سنكون أنا ونمولة أعظم ملكين على وجه الأرض!

ستُروَى قصتنا عبر الزمن. هكذا علَّمني أبي، وهكذا يجب أن تحدِّث نفسك يا نمول..

"تذكَّر دائمًا، ما تقوله بقلبك، يحدث!"

في الصباح، تم أخذ نمول ونمولة إلى قاعة المحكمة.

يسود المكان صمتٌ تامٌ.. ثلاثة من القضاة يتوسطهم كركور، الذي رتَّبَ لكل شيء.

لقد تم الاتفاق على توزيع العسل وله نصيب كبير، وعلى اليمين تم وضع نمول ونمولة في قفص الاتهام بعد فك قيودهم.

تم دعوة جميع الوزراء وكبير الحراس، وممثلين من عامة الشعب.

ثم بدأت المحاكمة..

تحدث قاضي الاتهام:

- السادة القضاة. شعبنا العظيم..

إننا اليوم أمام قضية حياة، أو انهيار لهذه المملكة الكبيرة المستمرة عبر الزمن.

لقد وضع أباؤنا قانونًا أبديًا بموت من يصل لخط النهاية؛ حتى لا يحدث نزاع على الحكم بين ملك وملكة، وتتمزق المملكة بسبب هذا الصراع. إننا اليوم أمام ملكة أخطأت، ووضعتنا أمام خيارات قد تؤدي بنا للفناء؛ ولهذ أطالب بعزل المتهمة نمولة؛ لتعود إلى نملة عادية من أفراد الشعب، وكذلك عزل ونزع لقب الملك الشجاع من المدعو نمول، وتنفيذ الحكم الأصلي عليه، وهو الموت؛ حتى لا تحدث فتنة بين جموع الشعب.

حدثت همهمة بين الحضور، اعتراضًا من البعض على هذا الكلام، وعدم رضاهم.

لقد رتَّب كركور، لعدم وجود أي محامٍ للدفاع عن الملكة والملك.

فتوجَّه بسؤاله لنمول ونمولة:

- هل هناك أيُّ ردٍّ على الاتهام الموجَّه إليكما؟

الملكة نمولة في حالة يرثى لها، بجانبها نمول الذي يساندها ويجفف دموعها.

كان نمول متماسكًا وقويًا كعادته ولم ينهار. رفع نمول يده مستأذنًا، القاضي أن يتحدث:

- إنني أعترض على الطريقة التي عاملتم بها الملكة نمولة.

- هل هناك بندٌ في القانون يحاكم، ويضع الملكة في قفص الاتهام؟ أرجو إخباري بهذا القانون.

فتراجع القاضي قليلًا للخلف، وكأن صفعة نزلت على وجهه. وأكمل نمول قائلًا:

- إن القانون يتكلم عن تنحي الملكة، وليس حبسها واتهامها. ثم إن الملكة تنحت فعلًا، حينما خلعت التاج من على رأسها. وهي بذلك لم ترتكب أي خطأ يُعاقَب عليه القانون. ما حدث هو أن هتاف الحراس والوزراء للملكة، أصبح قانونًا؛ لأن الشعب هو الذي يصنع القانون. لقد هتف الجميع، "عاش الملك والملكة". وهنا أعاد الشعب الملكة لكرسي العرش مرة أخرى.

- إن ما يحدث الآن يعاقب عليه القانون، وهو حبسُ ملكٍ وملكة دون وجه حقٍّ.

ذُهلَ الجميع من كلام نمول، وضجت المحكمة ضجيجًا وتصفيقًا لنمول، وتراجع القضاة، واحمرت وجوههم وظهر عليهم القلق والتوتر. ثم قال القاضي:

- الحكم بعد المداولة.

قام بعضٌ من جموع الشعب؛ ليهنئ الملك نمول والملكة نمولة، وطمأنتهما بأنَّ الحُكمَ سيكون لصالحهما.

ووقفت الملكة نمولة، بعد أن بدأت تهدأ وتستعيد نفسها، وتجفف دموعها، وشكرت لنمول حسن حديثه.

لقد طال اجتماع القضاة، يبدو أنهم خائفون من نمول، ومن تنفيذ الحكم عليه، وبعد مدة خرجوا؛ لينطق القاضي كركور بالحكم..

- بعد الاطلاع على أقوال الاتهام، والدفاع حكمت المحكمة بالآتي:

أولاً: عزل الملكة عن الحكم، أمر واجب التنفيذ.

ثانيًا: يعد المدعو نمول فردًا عاديًا من أفراد الشعب، ليس له أيُّ مميزاتٍ أو ألقاب.

ثالثًا: تنصيبُ كبير الوزراء نمرود ملكًا لمملكة النمل، وتنصيب ممنون السياف كبيراً للوزراء. وهذا لأجلٍ غيرِ مسمى حتى يتم اختيار ملكة جديدة.

رُفِعَت الجلسة.

الأسير

بقلم : محمود محمد محمود

يدخل مطأطئ الرأس؛ ليتفادى تلك البوابة المنخفضة ناظرًا خلفه؛ ليرى من يدفعه بمثل هذه القوة، لم يجد أحدًا سوى الفراغ وتيار من الهواء القوي أكمل دفعه للداخل؛ يسقط على ظهره، أُغلِقَ الباب بقوة مخلفًا صدًى قويًا أصابه بصممٍ مؤقتٍ، ثم بدأت المصابيح تتوهج تدريجيًا حتى توقفت عند درجة من اللمعان لا تؤذي العين، وتوفر الإضاءة المناسبة لرؤية جيدة.

ينهض مترنحًا إثر السقطة مهندمًا ملابسه، ومزيلًا للتراب الذي أفسد هندامه، ثم يُخرج ورقة مطوية من جيب قميصه، يفضها وينظر للكلمات التي تحويها، بدأ يتذكر تلك الورقة عندما سقطت في شرفة مسكنه في يوم عاصف من أيام الربيع المتقلبة، يومها شعر بأن الورقة موجهة له، تُناديه باسمِه وصفاته، تُذكِّره بالماضي، وكلما أنكر الأسطر المكتوبة، ازداد إصرار الصوت القادم من الورقة ليُذكِّره أكثر وأكثر بما يجول في نفسه من خوف من المجهول.

جذب انتباهه ذلك الصوت النقي الذي بدأ يتحدث، لم يستطع أن يميز لمن هذا الصوت، الصوت رخيم لا هو لرجلٍ أو امرأةٍ، ولا لطفلٍ أو لكهلٍ، كل

ما يسمعه هو صوت نقي واضح يخترق أذنيه، وصدره، وقلبه مسبِّبًا له قلقًا وتوترًا مستمرين.

- لقد اخترت أن تلقي بنفسك في الأَسْرِ، أليس كذلك؟!

انتبه للصوت الذي تردَّدَ صداه في الغرفة، لم يتكلم، فتحدَّثَ الصوتُ مرةً أخرى:

- هل هناك من يختار أن يلقي بنفسه في الأسر، ويظل حبيسًا في زنزانة؟

- مَن أنت؟

صاح بها بكل ما أوتي من قوة، وهو يدور حول نفسه، وبدأت تدمع عيناه، فأردف قائلًا:

- مَن أنت؟ وماذا تُريد منِّي؟

- ألا تعرفني حقًّا؟ ولا تدري ماذا أريد منك؟

- مَن أنت؟

- أتتذكر تلك الورقة، التي جاءتك وأنت في الشرفة؟

- نعم، أتذكرها جيدًا.

تغيرت لهجة الصوت وهو يقول في حزمٍ:

- أنت لا تتذكر شيئًا، أنت تتذكر الكلام المكتوب فقط، لكنك لم تَعِه، سأكرر عليك السؤال مرة ثانية يا عزيزي: هل هناك من يختار أن يلقي بنفسه في الأَسْرِ، ويظل حبيسًا في زنزانة؟

قال مرتجفًا:

- لا أعتقد أن هناك من يفعل ذلك بمحض إرادته؟ بلهجة أكثر حزمًا أردفَ الصوت:

- هل تعتقد أم تظن؟ فهناك اختلاف كبير.

- وهل يوجد اختلاف بين الظن والاعتقاد؟

- بالطبع، يا صديقي يوجد اختلاف، سأوضحَهُ لك لتفهم مقصدي، عندما تقول إنك تظن كذا فإنَّ الأمر يقبل الشك فيه، به كل الاحتمالات الواردة، أن يحدث أو لا، أو أن يكون صادقًا أو كاذبًا، أما عندما تقول إنك تعتقد كذا؛ فإن الأمر لا يقبل الشك فيه أبدًا نهائيًا، مثل الحياة والموت لا شك فيهما نهائيًا، هل فهمت مرادي الآن؟

- كلا لم أفهم، كل ما أريده أن أعرف مَن أنت؟ وماذا تريد منِّي؟

- لماذا أنت عنيدٌ هكذا يا صديقي؟ ألم تفهم أم أنك تدعي عدم الفهم؟

- ليس من شأنك يا مَن تتحدث، لقد سئمتُ منك، أنت تتلاعب بي!

قال الصوتُ ضاحكًا:

- أتدري أين أنت الآن؟

- أنا في غرفتي!

- أواثقٌ من ذلك؟

أصابَهُ الشك وبدأ يجول ببصره في أنحاء الغرفة؛ ليراها طبق الأصل من غرفته لكن صورتها مهزوزة وقاتمة بعض الشيء، ثم انتبه فجأة كأنما لدغه عقربٌ سامٌ، ونظر خلفه نحو الباب الذي دخل منه، ثم حدَّث نفسه قائلًا:

- بابُ غرفتي لم يكن منخفضًا لهذا الحد الذي أخفض معه رأسي، وأنا أدلُفَ داخلها.

قاطعه الصوت بصرامةٍ:

- ما زلت عنيدًا كما أرى! صاحَ باكيًا وقسمات وجهه تستعد للبكاء:

- أين أنا؟ وماذا تريد؟

بصوتٍ رخيمٍ منمق قال الصوت الغامض:

- اطمئن، أنت لست في غرفتك، أنت الآن حبيس داخل نفسك.

صرخ وقال:

- وكيف أكون حبيس نفسي؟!

استمر الصوت بنفس الهدوء والأسلوب المنمق لكنه اتخذ لهجةً آمرة أم آسرة أم حازمة، فقال:

- يحدث عندما تختار أن تقتُلَ أحلامك بيديك بداعي الخوف من أن يقول عنك الناس ما لا يروق لك، عندما تفضِّل الصمت على الكلام مخافة الناس، أو مخافة ذي سُلطان، عندما لا تنطق بالحق وتزيفه إرضاء لأحد، عندما تنافق، عندما تثور لأسباب تافهة ولا تثور لأسباب تستحق، الأسباب كثيرة ولكنك اخترت مذهب الخيانة.

- خيانة! ماذا تقصد؟

- لا تتعجب هكذا، نعم.. الخيانة، سأوضح لك المقصد.

تجمعت الحواس في حاسة السمع، وكأن الجسد قد تحول إلى أذنٍ كبيرةٍ، تلفت حوله في قلقٍ؛ لعلَّه يصل لمصدر الصوت، أمعن النظر في الجدران التي تلونت باللون الأسود، ما عدا تلك النقطة البيضاء التي تلمع وتخبو كأنها نجم في السماء، اقترب منها في خطواتٍ بطيئة، لكن الصوت صدح من جديد قائلًا بهدوءٍ:

- لقد خنتَ نفسك وقتَ أن خنت أحلامك، حُلمكَ بأن تكون شخصًا ذا

قيمة وحصرت نفسك في دور المتفرج وليتك كنت متفرجًا صاخبًا، لكنك كنت وأصبحت وما زلت متفرجًا، لكنك أخرس، وأعمى، وأصم. صاح الشاب بقوة:

- مَن أنت؟!

- أنا ضميرك، أنا نفسك، أنا الذي أريدك أن تتحرر، أنا الذي أريدك أن تتحرك، لكنك لا تساعدني، ولا تُساعد نفسك البتة، لديك إرادة حديدية، أهملتها حتى كساها الصدأ، لكنها تظهر كلما أردت أنت ذلك، كل ما أريده منك أن تظهر إرادتك الحديدية تلك وباستمرارٍ، لا داعي للخمول واللا مبالاة والتسويف، اقتل سلبيتك دون تردد، قاوِم الخجل. هل ستفعل ذلك؟

تنفس الشاب بعمقٍ، وكأنه لم يتنفس من قَبْلُ، وأسبلَ عينيه، وفتحهما؛ ليجد تلك النقطة البيضاء تزداد اتساعًا، ليطغى لونها على لون الجدران السوداء..

الأصل إنسان

بقلم : محمود محمد محمود

يفصلهما أبراجٌ وخنادق وسدود وموانع، لكنهما في النهاية متشابهان بصورة ما، هما في الانتظار.. في انتظار اللحظة الحاسمة التي يقضي فيها أحدهما على الآخر!

طال الانتظار والصبر وبرفقتهما ازداد التوتر واستقر في نفسيهما الخوفُ من المجهول، لا يخاف أحدهما من الآخر، ولا يهابان الموت.. يهابان أن تضيع حياتهما، وحياة من خلفهما هباءً من أجل تحقيق طموح ورغبات أسيادهم... هما بشر طبيعيون ليس إلا، يحزنان، يفرحان، يمزحان، يحبان، يكرهان، يعشقان الحياة بكل ما فيها، خيرها وشرها، حلوها ومُرها؛ لأنهما بشر طبيعيون مثلنا...

أولهما شاب في أواخر العقد الثاني من عمره، هزيلُ البنية، عيناه مُحدقتان في الفراغ باستمرار كأن هناك ما يفزعه، تسببت نظرات عينيه المذعورة دائمًا في سخرية قادته وزملائه، بندقيته القديمة التي لا تفارق يديه تُصيبه بوهنٍ جسديٍّ يُزيد من وهنه النفسي منذ سنواتٍ، منذ أن بدأت الحرب، مهمته مراقبة معسكرات الأعداء من برج مرتفع، وقد تمكَّن من إفزاع أعدائه بعينيه

الجاحظتين على الدوام، ما عدا واحدًا يراه شخصًا طبيعيًا ويلتمس له العذر على حالته التي عليها، مُراقبه على الطرف الآخر من الجبهة، له نفس مُهمة الشاب الجاحظ، رجل في عقدِه الثالث بدأ الشيب يغزو بعض شعيرات رأسه وذقنه، يُمسك بندقية عتيقة هو الآخر، واهن مثله - مثل جندي الأعداء- يتحرك في برجه باستمرار محاولًا قتل الوقت الذي يمر رتيبًا عليه، ويتمم على جيب سترته العلوي لا إراديًا بين اللحظة والأخرى، كأنما يخشى فقدان شيءٍ مُهِمٍّ له.

كل هذا والشاب يراقبه في خوفٍ، لكن الرجل يرى عينيّ الشاب المذعورة تُحدِّق فيه، فيلوح له بيديه بالتحية، ويرد الشاب التحية بتوجسٍ، ثم يعود ويرتكز بظهره على حائط البرج ويسلم عينيه للفراغ ويمنح لقرنيتيه الأمر بالمزيد من الاتساع، ويُصفر بشفتيه لحنًا مُحببًا له جعله يكرره عدة مرات حتى توقف وقال هاتفًا:

- أُمـي!

- آه يا أمي.. اللعنة على الحرب التي أبعدتني عن حضنك الدافئ، أعتصر الألم فأتجرعه يوميًا كلما تذكرتك، وتذكرت أبي الذي غيَّبَتْه الحربُ عنّا، دمرت الحرب أسرتنا، جعلتني وأختي أيتامًا، جعلتكِ أرملة، جعلتنا جوعى، فرقت شملنا، أتذكرين يا أمي، اليوم الأول الذي ذهب فيه أبي مع إعلان الحرب؟ لعن الله من أشعل الحرب ومن أذكى نيرانها، أتذكرين ماذا قال؟ قال: "الآن جاء دوري لأرد للوطن فضله علينا، يا ليت لنا شاب يسمح له سنه باللحاق بي للقتال، وقتها قلتِ:

- يا ليت الحرب تنتهي سريعًا؛ فلا تتركنا وحدنا وتعود لتكمل شمل أسرتنا، لكن لم يعد، طحنَتْهُ الحرب بين رحاها، حتى إننا لم نره يومًا عائدًا، غاب وانقطع منه وعنه الخبر.

وها هي الحرب لم تضعُ أوزارها بعد، عشرون عامًا ولم تنته الحرب؛ بل ازدادت اشتعالًا، أصبحتُ شابًا يافعًا، وتركتك وحيدة أنتِ وأختي تواجهان الحياة وحدكما، حاولت الفرار من الحرب لكني لم أفلح، ويوم أن أمسكوا بي وأنا أحاول الفرار، أعادوني ووضعت في أحد الأقفاص الحديدية الباردة، وجيء بكِ مع أختي كي تودعاني، والذي أشعر به الآن أنه الوداع الأخير، ألقيت بنفسي في أحضانك وأحضان أختي، أحضانكما شعرت بها باكية مثلكما، قلتِ لي: "إياكَ أن تهرب من الحرب يا ولدي، اذهب وخُذ بثأر أبيك، وادعُ الله أن تنتهي الحرب وتعود لي سالمًا مُعافى". ابتسمت ولم أرد وألقيت نفسي مجددًا، وعانقتكم وألم الفراق يخنقني؛ فبُحَّ صوتي واختنقت كلماتي، وجذبني الحراس لأنَّ أوان الرحيل قد حان، لأن الحرب مُشتعلة، اللعنة على الحرب، واللعنة على مَن أشعلها، واللعنة على مَن أذكاها ويُذكيها!

- فيما تُفكر يا فتى؟

التفت الشاب إلى الصوت الذي يناديه، ليجده المراقب الآخر هو من يناديه، فأجاب بصوت باكٍ:

- تذكرت أمي وأبي وأختي، لقد مات أبي بسبب تلك الحرب اللعينة، وتركني مع أمي وأختي تائهين.

- وأنا مثلك يا فتى، فرَّقتني الحرب عن أحبائي.

صاح به الرجل بصوتٍ مبحوحٍ، وهو يُخرج من جيب سترته العلوي صورةً ملوَّنةً مُهترئة ويلوح بها للشاب، ثم يقول بأسى:

- أنا مثلك تمامًا؛ فلقد فرقتني الحرب عن زوجتي وابنتيَّ، وقتلت أبويَّ في إحدى ضرباتكم الملعونة.

انتقل الأسى للشاب وهو يقول:

- آسف يا سيدي إن ذكرتُكَ بمن فقدت، فأنا مهمومٌ مثلُك، وأنا...

بتر الشاب كلماته بعد أن انفلتت الدموع من عينيه الواسعتين، فقال الرجل وهو يُلوح بيديه:

- لا تعتذر، فكُلنا متشابهون، أنا وأنت، وهُمْ، والجميع متشابهون، سأحكي لك ما مررت به.

تلتفت الرجل حوله ليطمئن أن لا أحد يراقبه، واستدار ليبادل رفيقه العدو الحديث:

- من أين أبدأ؟ دعني أقتبس منك يا بُني قولك الذي سمعته منك وأنت تُحدثُ ذاتك: "اللعنة على الحرب، لعنَ الله مَن أشعل الحرب ومن أذكى نيرانها"، كُنتُ في بداية حياتي العملية حين اشتعلت الحرب وتم استدعائي للقتال، تزوجت مُبكرًا وأنجبت ابنتيَّ التوأم، فرحتي وسعادتي أنا وزوجتي كانت دربًا من الخيال، الحياة تسير بهدوء وروية في خط مستقيم نحو السعادة والاستقرار، لكنها الحرب الملعونة، انتشلتني من السعادة، تعرَّجَ الخط المستقيم، بل انقطع، أتذكرُ بُكاء ونحيب زوجتي، وبكاء الطفلتين اللتين ترياني بملابسي العسكرية وأنا أستعد للرحيل؛ قد يكون الرحِيلُ نهائيًا، وقد أتركهما يتيمتيّ الأب، اللعنة مرة أخرى على الحرب، ومن أشعلها ومن أذكاها، احتفظت بصورة تجمعنا في إحدى الحدائق عندما كان الخط مُستقيمًا، لا تفارقني، أحفظها بجانب قلبي لعلها تُثلجه، وتُهدئ من روعي، وتُطمئنَ قلبي، أعوام مضت وأنا في هذا المكان الكريه، أؤدي الواجب الوطني المُقدَّس، أيُّ واجبٍ وطنيٍّ مقدسٍ هذا الذي يسفك الدم، ويُخرب، ويُهلك الحياة، اللعنة آلاف المرات على الحرب، ومَن أشعلها، ومَن أذكاها، لماذا قامت الحرب؟ لأن زعيمكم أراد التوسع في مُلكه، وزعيمنا وقف له بالمرصاد، وازداد العناد، وأراد أن يتوسع هو الآخر في مُلكه،

اللعنة على كليهما، فهما من أشعلاها وأذكياها، متى تنتهي الحرب؟ يا إلهي! أريد العودة لبناتي، لزوجتي، لعملي، لطُلابي، الذين إن لم تنتهِ الحرب، سيقفون هنا بجواري، وبدلًا من أن أُعلمهم ما ينفعهم، أعُلمهم ما يسفكون به مزيدًا من الدم، اللعنة! لا بُدَّ أن تنتهي الحرب بأية صورة، نحن على وشك الانهيار، أنا وأنت وزملاؤك وزملائي وقادتك وقادتي، حتى الزعيمان أوشكا على الانهيار، بلدانا تمزقتا، ضَعُفتا، أفلستا، والسبب هو الحرب، الواجب المُقدس، الفداء، لستُ خائنًا يابُني، لا تظن بي هذا الظن، فأنا فداء للوطن عندما يكون لنا الحق، لقد زُيِّفت الحقائق في وطنينا، فأصبح كُلُّ بلد على حق، أيُ حق هذا الذي يتشدقون به، إنما هي مطامع لا أكثر، يدفعُها العندُ والكبرياءُ وحُب التسلط، أريد العودة لبناتي، ولزوجتي، وأنت يا صديقي تريد العودة لأمك وأختك، ما رأيك أن نهرب؟ الهروب يساوي الموت.. أعلم ذلك، لا تكرر الكلمة على مسامعي مجددًا، فما رأيك أن نُخالف الأوامر فنُسجن؟ السجن أهون بكثير من هذا السجن، كلا، كلاهما سجن، كلا، السجن هنا يساوي الموت أيضًا، ما الحل لتنتهي الحرب؟ أخبرني يا صديقي: ما هو الحل لتنتهي الحرب؟

توقف الرجل عن الكلام بعدما انفجر نبع الدموع من عينيه؛ فأصبحتا دمويتين، أزاح الرجل دموعه بيديه المُتسختين، ونظر للشاب الجاحظ؛ ليجده مثله، باكيًا، بدموع دموية وهو يُكرر كلماته:

- "اللعنة على الحرب، لعنَ الله مَن أشعل الحرب ومَن أذكى نيرانها". وبعد أن نطق بها الشاب انهالت على البرجين القذائف من الجانبين؛ فلقد اشتعلت النيران مُجددًا، وأحرقتهما وأحرقت ما بهما من مشاعـر، لقد انتهت الحرب كما تمنى الصديقان، لكنها انتهت لكليهما فقط!

****

أبراجٌ جديدة شُيدتْ، وأسوار شديدة ضُربتْ، وخنادق أكثر حُفرتْ وسدودٌ عديدة أُقيمتْ، وكل هذا للفصل بين المُتناحرين، أرواحٌ أُخرى جديدة جُندتْ لتُلبّي الواجب الوطني المُقدس.

صعدت روحان جديدتان لتعتليا الأبراج الجديدة المُحصنة، شابان هزيلان، خائفان، يحملان أسلحة حديثة، في حركات أجسادهما ونظرات أعينهما استهزاءٌ كبير وسخرية بالموقف الصعب، ربما يقتلان خوفهما في الاستهزاء والسخرية، وقفا متقابلين، وتجاذبا أطراف الحديث عن أحلامهما ومخاوفهما وحكاياتهما عن حياتهما، قبل الحرب وأثناء دوران رُحاها.

حدوتة

بقلم : محمود محمد محمود

يقفُ الطفل صاحب الأعوام العشرة أمام أحد محال الألعاب، المحل ذو واجهة زجاجية كبيرة تعرِضُ خلفها من صنوف الألعاب ما يُسيل لعابه، جذبت انتباهه كرة قدم متداخلة الألوان ما بين الأصفر والأزرق والأحمر، ووقفت بجانبه والدته تنظر إليه في شفقة.. هي مُتيقنة بأنه لن يكون في استطاعتها أن تدفع ثمنها البالغ عشرة جنيهات، الطفل يلح في طلبها بعد أن رسم صورة له في خياله وهو يلعب بها في المنزل، ومع أصدقائه في الشارع، جذبته من يده ليكملا طريق عودتهما إلى المنزل، أفلَتَ يدها ودلف داخل المحل؛ يتحسس الكرة في لهفة وينظر لوالدته مبتسمًا، بادلته بابتسامة ظاهرها الفرح وباطنها المرار، دخلت خلفه المحل وجذبته بقوة معتذرة لعامل المحل الذي أشفق عليها لرقة وضعف حالها الواضح من نظراتها، ومن ملابسها، وملابس طفلها، فهو مثلهما، ولا يستطيع فعلَ أي شيءٍ لهما، خرج كلاهما من المحل الطفل يبكي، والأم تبكي سرًا لبكاء طفلها، الضائقة المالية التي تمر بها مع زوجها تؤلم قلبها لعدم قدرتهم على الوفاء بمتطلبات أطفالهم حتى البسيطُ منها.

وصلا المنزل، ودخل الطفل حزينًا قاصدًا غرفته التي يشاركه أخوه الأكبر

سكناها، وأكمل بكاءه وهو جالس متكوم في ركن على سريره، دخلت الأم غرفة صغيرها، ثم جلست بجواره، واحتضنته، وأغرقته بقبلاتها الممزوجة بمرارة الدموع السائلة ثم قالت:

- أحكيلك حدوتة! نظر لها صغيرها وما زال أثر البكاء في عينيه، ابتسمت متحاشية نظرته الحزينة وبدأت تحكي:

- "كان في ولد نفسه يشتري جمل، وكان بيزن على باباه إنه يجيبه ويقول له: "يا بابا إحنا لازم نجيب الجمل ده رخيص أوي بجنيه"، يرد عليه باباه "غالي يا حبيبي"، يرد ابنه: "غالي إيه يا بابا ده بجنيه"، رد عليه باباه مرة تانية: "أيوه يا ابني غالي"، ومرت الأيام وكبر الولد ولسه بيحلم يجيب الجمل اللي نفسه فيه، راح لباباه، وقاله: "يا بابا، في جمل تمنه رخيص أوي بخمسة جنيه". قام رد عليه باباه وقال له: "ده رخيص قوي خد الخمسة جنيه اشتريه"، الولد استغرب قوي من باباه إزاي لما كان الجمل بجنيه غالي، ولما بقى بخمسة جنيه رخيص، باباه طبطب على راسه وباسه وقال له: "لما كان الجمل بجنيه كان غالي عشان مش معانا الجنيه، بس لما بقى بخمسة جنيه كان رخيص؛ عشان معانا الخمسة جنيه."

تململ الطفل في حضن والدته، ومسح عينيه وهو ينظر لوالدته بعينين أرهقهما البكاء، وهي تنظر إليه وبدأت الابتسامة تعود لوجهها ثم قال لها وما زال حرف الراء يسبب له مشكلة:

- حاضر يا ماما.

****

- بابا عاوز أجيب تاب زي أصحابي في المدرسة؟

- بكام يا حبيبي؟

- 2000 جنيه بس يا بابا.

- غالي يا حبيبي.

- غالي ازاي يا بابا بقول لك بألفين جنيه تقول لي غالي.

- أيوه... غالي.

- إزاي؟

- هقول لك..

- قول يا بابا:

- "كان في مرة ولد عاوز يجيب جمل.."

رسالة من مقبرة الزمن

بقلم : محمود محمد محمود

قدِّر لنا مُنذُ زمن بعيدٍ أن نرسم السعادة، ونمنح البهجة للناس، ولكنها في النهاية بهجة حتى لو كانت مُصطنعة... وجوه جامدة تحاول نشر البهجة، ننجح في ذلك في بعض الأوقات، ونفشل في أوقات أخرى.

يمرُ الناس علينا منذ اليوم الأول الذي بدأت فيه مهمتنا، ينظرون بسعادة واضحة وجلية في أعينهم، وعلى شفاههم، بل نكاد نشعر بها في قلوبهم.

وبمرور الزمن بسرعة تفوق قدرتنا على الحركة، ظلَلْنَا جامدين، صامدين، مبتسمين لا إراديًا للناس؛ لنؤدي مهمتنا التي خُلقنا لأجلها؛ جلب السعادة.

مرَّ الزمان وتبدلت الأحوال، ونحن كما نحن، لكن الناس قد تغيرت نظرتها لنا، وبدأوا تدريجيًا يفقدون حماسهم لنا مع انتشار شائعات تطولنا، بأننا مخلوقات تبث المرض نفسيًا وجسديًا في الناس وخصوصًا الأطفال.. الأطفال الذين طالما رقصنا مع رقصهم، وابتسمنا لأول مرة بصورة غير مُصطنعة مع ابتساماتهم، نحن لا نريد سوى السعادة والفرح للجميع.

دار الزمن بسرعة أكثر وأكثر وفعل فعلته المعتادة بإلقائنا في سلة مهملاته، لم تبقَ منا ذكرى، انقرضنا، مات ذكرنا ودُفِنتْ ذكرانا، كلما زاد الزمان في طغيانه ودورانه، ازددنا سقوطًا في سلة المهملات!

لكن عندما نرى ذلك الرجل الخمسيني الجالس بجوار مقبرتنا، يبكي وهو ينظر في صورة قديمة مهترئة، وهو واقف بجوارنا مبتسمًا من أعماق قلبه، ونحن نبتسم أيضًا لكنها ابتسامة بحق، نبكي معه ونشفق عليه، وتكاد قلوبنا أن تنفطر من فرط الذكرى الأليمة التي يعيشها، عندما كان يقف على باب غرفتنا قبل أن تُصبح مقبرة، شابًا سعيدًا ومنتشيًا يقدمنا للناس بوجه بشوش، ويستقبلوننا هم بوجوه أكثر بشاشة، وقلوب ناضرة، وعيون أطفالهم التي تصرخ بحبنا، لم نكن نخاف عندما يتقدَّم منا طفلٌ يتحسس ملمسنا، نشعر وقتها أنه يحضننا ونحضنه، ولا نريد الفراق.

آه من الزمن عندما يدور ويدور في تسارُع لم يُمكنَّا من المقاومة! فظهر جيلٌ جديدٌ مِنَّا ليؤدي نفس مهمتنا، لكن أين هم الآن؟، هم يؤدون مهمتهم بسعادة زائفة، يبتسمون برتابة، يؤدون عملهم في روتين عقيم وسقيم، يبعث على الكراهية لا الحب، لا فارق بيننا وبينهم، والأدهى أنهم يتحركون بطريقة سخيفة، يُغنون بسخافة أكثر، غناء روتيني يبعث على الشفقة، يحاولون أن يتجملوا لكنهم يكذبون على أنفسهم وعلى الناس.

ونكاد نُجزم أن الجيل القادم بعدهم لن يختلف عن شاكلتهم؛ لأن الناس أصبحوا من يطلبونهم، لأن مقياس السعادة قد تغيَّر، لم يعد هناك مكان للسعادة النابعة من القلب، والناتجة عن شعور بالرضا، تحول مقياس الناس

للسعادة من الحالة المعنوية إلى الحالة المادية التي تميز الزمن، الحالة المادية موجودة، لكنها اتخذت هذه الأيام شكلًا مُبالغًا فيه.

هذه رسالتنا من داخل مقبرتنا للجميع، نرجو أن تذكرونا كلما تيسَّر لكم ذلك، ونُحب أن نذكركم أن هدفنا الأكبر كان منح السعادة والبهجة.. ابحثوا عنها.. وحتمًا ستجدونها.. والسلام ختام.

مقام سيدنا الولي

بقلم : محمود محمد محمود

سيدنا الولي.. يا سيدنا الولي.. المدَد المدد يا سيدنا الولي..

حول مقام مُهيب مُزخرفٍ بنقوشٍ من خشبٍ، وذهبٍ، ونُحاس، يطوفُ جمعٌ غفيرٌ من الناس برتابة حول المقام في دوائر منتظمة، يُردِّدون أُهزوجةً ينشدون كلماتُها بحماسٍ وحمية تناقضان رتابة الدوران...

مدد مدد يا سيدنا الولي طال الأمد يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي شاب الولد يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي بارت البنت يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي مات الزرع يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي خوفنا خاف يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي عيشنا حاف يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي غموسنا جاف يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي البير هيجف يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي روحنا راحت يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي روحنا طلعت يا سيدنا الولي

مدد مدد يا سيدنا الولي روحنا ماتت يا سيدنا الولي

داوم الجمعُ على الطواف والإنشاد، يطلبون عونَ الولي، بنوا المقام طاعة لأمر وطلب الولي، بنوهُ فشيدوهُ فخمًا لأمر الولي، طلوهُ ذهبًا حبًا في الولي، نظفوه بألسنتهم إرضاءً لسيدنا الولي، والولي سعيدٌ يضحك ويبتسم، والناس لضحكه فرحون لرضاه..

- ها قد ضحك.. ها قد ابتسم.. شكرًا يا ربنا لفضلك المُتصل.

كان الوليُ كفيفًا، رُد إليه بصرهُ بدُعائهم، سعدوا لرؤية عينيه من جديد ترى وتبتسم، على الرغم من كل ما هم فيه من سقم، فكل ذلك يهونُ ما دام مولانا قد ابتسم.

وللحكاية أصلٌ وفصلْ، فسيدنا الولي، لم يول الإمارةُ هكذا، لقد جاء بعد مخاض، بعدما اشتعلت بالشيب رؤوس الشباب، وجفت الكلمات، وانشقت الحناجر، ومات مَن مات من هزل الولي القديم أبو الغباء!

ولّى الولي القديم الفرار ولقد ذهبَ، واختفى مثل عقلِهِ فيما يبدو للأبد، وجاء سيدنا الولي ليتولى الإمارة، استقبله الناس بالترحاب، فلقد دلف من الباب، باب الكلام المعسول، الذي يُذهِب العقول، فاشتعلت قلوب الناس بنير الحماس، وقدموا ما لديهم من فضة ونُحاس، فأيُّ طلب للولي مُجاب، حتى لو باعوا القبقاب، أو ظلت ديارُهم بلا أبواب.

وقبل أن يفرَ أبو الغباء، أراد أن يبني لنفسه مقامًا، وأن يُنصبَ نفسه على الناس إمامًا، لكنه هرب عندما ثار الناس رافضينَ إمامته، ففر هاربًا ولم يُكمل

بناء مقامه، حتى قرر سيدنا الولي الحالي، أن يحل مقامه، فهدم المقام القديم، ولم يبقِ له أثر، وبنى مقامًا جديدًا قلما يتركُ الخلق مثله من أثر.

أنفقَ في بنائه كلَّ ما يملكُ من ذهب وفضة، كانت تكفي لقرونٍ عدة، ولم يُخرج من جُعبته درهمًا ولا دينارًا، أخرج ما في جِعاب الناس، بكلامه المعسول الحساس، أخرجوا على أثرهِ كُلَّ شيء من الذهبِ إلى النُحاس حتى الرصاص، والناس صاروا جوعى، ومن أين لهم بالمال وقد باعوا ما ملكوا ويملكون، حتى إنهم باعوا الصحون؟

وفي يومٍ أغر، وقف الولي يُحدثهم بكلٍ اعتزاز وفخر:

- قومي الكرام.. كيف حالكم؟ لعلكم بخيرٍ أو هكذا أظن، دُمتم لي فخرًا وعزوة، تُظهرون معدنكم وقت الشدة، فلي عندكم مطلب - وأعرف أنكم جودُ كرماء- لقد وجب بناءُ المقام، فدعوكم من اللئام، والسذج والغُفْل والنيام، وجب بناءُ المقام، بفضلكم ياقومي الكرام، فلا تدعوا الأغيار يفتروا همتكم، أو يُضعفوا عزيمتكم، فالمقام أولى أن يُقام، كي نشعُرَ بالإنجاز، ونصبح قومًا أعزاء، بين بلاد الناس... أعلمُ أن حالَنا صعب، ومعيشتُنا ضنك، خُبزُنا أصبح فُتاتًا، وعلى الملْح نقتات، لكن ببناء المقام، سيغدو الملح عسلًا، والصبرُ شهدًا، وخُبزنُا لن يُعدُ ويُحصى.. لذا فبناءُ المقامِ أولى.

صاح الناسُ بالفرح، لحُسن الكلام ولروعة المقترح، فخرج من بينهم شابٌ يُكذب الولي، ويقلل من شأن الولي ومقامه، وجدوى بنائه، في ظل الجوع والفقر، والعمر الذي مرَّ ويمُر، دون خطوة واحدة في اتجاه المفر، من سيطرة الفقر.

صاح الجمعُ فيه:

- اصمت يا ملعون! سيدنا الولي محتاج للعون، ويحكَ يا فتى! أمُدركٌ أنت لما تقول، أم أنَّ خمرُ النيام أسكرتك، فأذهبت عقلكَ وغيبتك؟!

ضربوا الفتى وطردوه من بينهم، وصرخوا فيه:

- مَن أنت لتقول هكذا، وتُكذِّب سيدنا ومولانا؟!

فصاح بهم الفتى، ودمع عينيه قد جرى، وتحشرج صوته وبكى، وقال مُخاطبهم بأسى:

- يا قومْ... كيفَ حالكم؟ وكيفَ مر الزمانُ عليكم؟، أبعدَ كُل ما حدث، منذُ أيام الملك، مرورًا برئيس الدرك، الذي درك، وترك البلاد لأبي الغباء، وعاث فيها بالفساد، وجاء بجماعة زادُها النفاق، والطاعة العمياء، يصفقون ويهللون لكل فرمانٍ يُصدره أبو الغباء المأفون، ثم جاء مولانا الولي الآن، يريد أن يبني المقام من جديد، وقبضته أشد من الحديد، على كل الناس، الخبيث والطيب منهم والنخاس، يُصدِر قرارًا تُلوَ الآخر، ويبدو أن قرارته مستمرة بلا آخر، يَدُك الرؤوس بين الفينة والأُخرى، تارة بكلام معسول وأُخرى بكلام غير مفهوم، وأنتم تهللون وتصفقون وتفرحون وتمرحون، غيبكم الكلام المعسول، ولا أراه سوى كلام مُرسل، ليس له نفعٌ أو جدوى، سوى الضياع، والدموع، واستمرار لسطوة الفقر والجوع.

- يا قومْ... كيفَ حالكم؟ وكيفَ مرَّ الزمانُ عليكم؟ أخبروني بالله عليكم، لماذا نبني مقامًا والمقامات تملأ البلاد في كل أنحائها؟ ما الجدوى إذًا؟! ألا تعلمون أن سيدنا الولي الوالي، مُتكبر وعاد، ودومًا فخور، بالأبنية الفخمة، والقصور الضخمة؟ حتى إنه قبل الولاية، أتى من قومٍ، يعشقون البناء، فهم يملكون أرضًا على مد البصر، ومالًا هو في الأصل مالي ومالكم، وعُمالًا يعملون بكل جُهد، وما لهم من مقابلٍ للكِد.

- يا قومْ... كيفَ حالكم؟ وكيفَ مرَّ الزمانُ عليكم؟ مولانا كاذبٌ كبير، قطع وعودًا لم يُنفذ منها حرفًا، وعدكم بقتل الفقر، بل ازداد، وعدكم بالمال،

لكنه أصبح صعب المنال، ياقوم.. ألا تعقلون؟! لقد استدان ليبني مقامًا حوله تطوفون، وتهللون، وتطلبون منه البركة، وهو السبب في أن أصبحت بلادُنا مثل البِركة، بركة من ماء آسن، حوافُها طينٌ أسودٍ عطن!

- يا قومْ... كيفَ حالكم؟ وكيفَ مرَّ الزمانُ عليكم؟ هل تساءلتم من سيجلس في المقام؟ مشايخكم يا كرام، مشايخ السلطان، ألا تتذكرونهم؟ وماذا كانوا يعملونْ؟ طاعة السلطان واجبة ونافذة. والآن تتكرر الدائرة، ولا جديد، تحت شمس بلادنا الحارقة، رضيتم بالخنوع، والذل والجوع، أمازلتم تقولون خوفنا خاف يا سيدنا الولي؟ خوفكم مات، وعقلكم مات، والعزم كله مات!

ظلَّ الجمعُ صامتًا، بعدما أنصتوا للفتى، همسٌ وهمهمات: هل الفتى على حقٍّ أم أن مولانا هو المُحق؟! العقول تدور، والعيون تدور، والألسنة تدور، والأسئلة تفور لكن الوضع مستمر، والفقرُ مُستقر، والطوافُ مستمر، والوقتُ يمُر، وسنونَ العمر تفر.. وبقي الجمعُ على حالهم في طوافهمُ المستمر، تلهجُ ألسنتهم بِدُعاءٍ في النفس والفمِ مستقر للولي، ومقامه، وأتباعه، وكأن حديثُ الفتى لم يُكن، وكأن عقولهم لم تعرف يومًا كيف يكونوا من أهلِ الفطن؟ رحلَ الشاب كمدًا وظل الولي، وظلَّ الناسُ يطوفون، ويبيعون منشغلون بالمقام، ووليه، وشيوخه.. وما زالوا يُرددون:

"سيدنا الولي... يا سيدنا الولي... المدد المدد يا سيدنا الولي...!"

ليان للنشر ولتوزيع

وجهي العملة

بقلم: حنان الدجوي

يوم آخر..

استيقظت من نومها كعادتها غير عابئة كم الساعة؟ أو ما اليوم؟ فالزمن والتاريخ لم يعودا يسترعيان اهتمامها!

منذ زمنٍ بعيدٍ كان سطوع الشمس في نهار شتاء قارص كافٍ بأن يوقظها متحمسة مستغلة هذا الحدث في الخروج، والتنزه مستمتعة بهذه الشمس الدافئة؛ لكن اليوم لم يعد هذا مغيراً للامبالاتها، أو شعورها الدائم بأن جميع الأشياء مثل بعضها، لا يوجد شيء جميل ولا شيء قبيح.

قاومت النوم مرة أخرى؛ فهي ما زالت محتفظة ببعض العادات الصحية التي لم يغيرها الزمن، وهي الاستيقاظ مبكرًا.

قامت بإعداد مشروبها الدافئ، وأحضرت الجرائد التي تجدها يوميًا أمام باب شقتها، وجلست في ركنها المعهود رامية نظرة خاطفة على محتويات المكان التي لم تتغير منذ زمنٍ طويلٍ.

كل شيء في مكانه - بشكل مبالغ فيه – بشكل يستحيل معه إضاعة أي

شيء.. هذا الثبات اللعين الذي صنعته، هو نفسه الثبات اللعين الذي أصبح من سمات حياتها..

انتفضت فجأة من مكانها، ومشت في خطى ثابتة، كأنها مقدمة على مهمة صعبة متوجهة إلى مرآتها، رفعت رأسها بتردد متأملة نفسها في نظرات متقطعة، وكأنها تخشى ما أقدمت عليه، تخشى المواجهة، طالما تحاشت خوض هذه المعركة أمام مرآتها لمعرفتها بأنها حتمًا ولا بُدَّ ستكون الخاسرة، استجمعت قوتها وثبتت نظراتها على تفاصيل وجهها: على عينيها الذابلتين، على عنقها..

- "يااااه أنا كبرت قوي!" قالتها بمرارة وهي هائمة شاردة متذكرة كم كانت فتاة جميلة مشرقة! تتمتع بشخصية جذابة؛ مما جعل الكثير من الشباب يتوددون إليها، كانت لها أحلامٌ مثاليةٌ مدوَّنةٌ في مفكرتها بالترتيب، ولكل حلم دوره.

تبدأ أحلامها بإنهاء الجامعة، ثم الالتحاق بوظيفة في مجال تخصصها، وأن تحقق فيها نجاحات ما بعدها نجاحات، بعدها سوف تقع في حب شاب وسيم رومانسي، ينتشلها من هذا الواقع الممل إلى عالم سوف تخطو فيه معه لأول مرة، وحلمها الأخير المؤجل منذ الطفولة هو إنجابها لعددٍ كبيرٍ من الأولاد والبنات سيعيشون جميعهم بالقرب منها، ويملأون عليها البيت هم وأولادهم.. كم كانت بسيطة هي أحلامها!

ولكن الزمن له إيقاع مختلف وحسابات أخرى..

بعد الانتهاء من جامعتها، وبعد التحاقها بالوظيفة، اضطرت بعدها بفترة ليست طويلة ترك العمل، الذي لم تحقق فيه النجاحات التي حلمت بها، وتفرغت تمامًا للعناية بأبنائها من زوجها الذي ليس هو بفارس الأحلام الرومانسي، وإنما كان الواقع بكل رتابته ومللِه، وقد وافقت به لأنه كما أقنعها أهلها "زوج مناسب"، لم يتبقَ لها إلا حلم الأبناء، وهو الآخر لم يتحقق كما

أرادت؛ حيث إنها لم تستطع إنجاب العديد من الأولاد؛ نظرًا للحالة المادية لزوجها، فاكتفيا بالبنت والولد.

ولكنها استماتت في أن تحقق مع أبنائها أهم وأجمل أحلامها، واختارت أن تستمر في زواجها المحكوم عليه بالفشل منذ السنوات الأولى، فقط من أجل أبنائها.. هما قرة عينيها أعطتهما من حبها ما كانت سوف تعطيه لعدد أكبر من الأبناء، لم تشعر معهما بأن عمرها يمضي، ولم تنتبه إلى أن الصغار يكبرون وينفصلون وتصبح لهم حياة مستقلة.. أفاقت منذ عدة أيامٍ على مكالمة هاتفية من ابنتها التي تقيم مع زوجها وأبنائها بالخارج:

"كل 70 سنة وإنتي طيبة يا ست الكل". حينها انتبهت للرقم.. 70؟!

اليوم فقط أدركت عمرها بعد أن نظرت إلى مرآتها التي عكست لها في قسوة مظاهر الشيخوخة والعجز..

الآن أصبحت في السبعين من عمري.. ماذا جنيت نتيجة اختياري؟ أين هم الأبناء الذين اخترت أن أستمرَّ في حياة لم أرغبها فقط من أجلهم..؟ أين البيت الممتلئ بالأحفاد؟ أين الضجيج الذي كنت أخشى منه أن يزعجني؟ أين أبنائي الذين أفنيت عمري من أجلهم متمنيةً أن أقضي معهما أيامي الأخيرة..؟ لم يتبقَ لي منهما غير مكالمات هاتفية! هل هذا هو ما جنيتُ بعد تضحياتي واستمراري في حياة لم أردها؟

لم يكن هناك من يجيبٍ على أسئلتها، ولم يتبق لها غير مرآة قاسية، تعكس لها قبح تجاعيدها، ووسادة بالية ذابت من دموعها المتساقطة كل ليلة، هكذا ضحت وهكذا عاملوها..

****

استيقظت في عجالة وسرعة، لقد تأخرت على اجتماع الجمعية الخيرية التي التحقت بها بعد زواج ابنتيها.

هي امرأة بسيطة عملية تتمتع بقدر من الجمال والجاذبية، تحب المرح، طالما اعتبرت نفسها ورقة في مهب ريح الحياة، ولكنها دومًا كانت تقاوم ليس لشجاعتها، ولكن ليقينها الدائم أنه ليس لها من تتكئ عليه إذا خارت قواها، فكانت دائمة اللجوء إلى الله أن يعينها على صعوبات الحياة.

اختارت هي الانفصال في هدوءٍ عن زوجها الذي تزوَّجته عن اقتناعٍ وحُبٍّ، ولكنها أدركت أن الزواج له مقاييس مختلفة عن مقاييس الحب والارتباط، ففضلت الانفصال للحصول على أقل الخسائر لهم جميعًا.

عملت حتى الثمالة، تفانت في رعايتها لابنتيها حتى أنهتا دراستهما وتزوجتا، وانشغلتا وأصبحت لا تراهما إلا قليلًا؛ لانشغالهما الدائم بزوجيهما وأولادهما.

لم تفكر يومًا بأن تطالبهما بتسديد فاتورة اختيارها عدم الزواج مرة أخرى.. فهي من اختارت أن تعيش لهما، ولهما فقط فداومت على العمل المستمرِّ والانشغال الدائم بهما؛ حتى لا تسمع لنداء أي رجلٍ يريد التقرب والتودد، أو الارتباط بها، أو حتى تسمع لصراخ قلبها إذا ما مال يومًا إلى أحدهم مستغيثًا منها لاشتياقه لأنيس لوحدته.

بعد زواج ابنتيها واحدة تلو الأخرى، كانت تشعر بفراغ يتسرب إلى قلبها، لم يعد هناك الدرع الواقي الذي كانت تحتمي به، المسئوليات التي كانت تشغلها انتهت، أصبحت تدرك جيدًا أنها الآن بلا حصن وأنها مهددة بالوحدة، كانت تتظاهر دائمًا بصلابتها وتستهين بالمشاعر السلبية التي يظهرها من كُن يتشابهن معها في الظروف، ودائمًا ما كانت تنفي الشعور بالوحدة.

هكذا مضت في حياتها، ولا يعرف خباياها غير الله، ومفكرتها الصغيرة

وقلمها الذي سجل الكثير من مشاهد حياتها المؤلمة والمليئة بالحرمان.

والآن هي وحيدة بدون حصونها المنيعة، خائفة من الهجمات المفاجئة التي قد تتعرض لها.

آخر ما كتبته في مفكرتها:

"ماذا جنيت نتيجة اختياري؟!" لم يكن هناك من يجيب سؤالها غير وسادة بالية ذابت من دموعها المتساقطة كل ليلة.

هكذا ضحَّت.. وهكذا عاملوها..!

الحب الأول

بقلم : حنان الدجوي

وأنا فتاة صغيرة كنت أنظر إليه نظرة الواثقة من حبيبها، نظرة العاشقة لرجلها، هو أول رجل استرعى انتباهي، وأول مَن استشعرت معه الطمأنينة، والأمان والثقة.

رأيت كيف كان يعامل امرأته بدفءٍ ولينٍ وحب، ورأيت كيف كانت تكن له حبًا واحترامًا.

أتذكَّر كم كان وسيمًا بسَّامًا، شابًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، رجلًا بكل ما تحويه الكلمة من قوة!

أتذكَّره وهو في أضعف حالاته، يبكي في حضنها، كأنه طفلٌ يحتمي بأمه، وبعدما يرتشف منها جرعة الآمان والسَّكِينة، يبتسم لها ممتنًا داعيًا لها بدوام الصحة، وأن يحفظها له الله دائمًا.

- آآآه كم أحببت دماثة خلق هذا الرجل!

عند وفاتها رأيت نظرته المنكسرة التائهة، التي تبحث عنها بشغف في كل ركنٍ، كنت أراهما فيه معًا، شعرت بمسئولية تجاهه، ولكني لم أستطع أن أخطو

خطوةً نحو حملها.. يقينًا مني بأنني لم ولن أملأ الفراغ الذي تركته.

متمهلاً رأيته واقفًا على قدميه شامخًا متعايشًا مع واقع فرضته عليه أقداره، أحيانًا يبكي صامتًا بمفرده؛ لأنه لم يعد هناك الحضن المواسي الذي طالما احتواه.

أصبح الأب والأم لثلاثة أبناء أنا أصغرهم.. دائمًا ما كنت أشعر أنه يختصني وحدي بمشاعر لا يفهمها سوانا، هل لأنني أشبهها أم لأنني فقدتها صغيرة؟

يوم زفافي كنا نتجنب النظر لبعضنا البعض! وإذا تلاقت أعيننا أرى نظرةً معاتبةً تقول: "أستتركينني أنتِ الأُخرَى؟!" على الرغم من أنني أعلم جيدًا أنه طالما انتظر هذا اليوم، كما أعلم أيضًا الغصة التي يشعر بها لمجرد إني أصبحت مسئولة من رجل آخر غيره.

وعند مغادرتي مع زوجي رأيت نظرة المشاغب في عينيه، وكأنه يقول لي مداعبًا: "لا يوجد رجل في هذه الحياة سوف يحبك كما أحببتك، وسأظل أنا فارس أحلامك الأول!"

وفي نفس اللحظة وعند رؤيته دموعي وأنا أودعه، رأيت النظرة التي دومًا أعشقها، وهو يتمنى لي السعادة في حياتي الجديدة.

تساءلت كثيراً بعد زواجي، كيف استطاع هذا الرجل المضي في حياته دون رفيقة درب؟ كيف اختار أن يواجه شيخوخته وحيدًا لمجرد وعد قد وعدها إياه؟!

كيف استطاع الاحتفاظ بابتسامته ولمعة عينيه طيلة هذه السنين من الوحدة والضغوط والمسئوليات؟

ما زلت أرى حماسته عندما يسرد لي حكايات الزمن الماضي، وكثيراً ما تعالت ضحكاتنا سويًا بسببها، ومازلتُ آراه هذا الشاب الوسيم رغم تخطيه الثمانين.. أهكذا هو، أم هكذا أردت أن أحتفظ بصورته في ذاكرتي فلا أرى غيرها؟ فرغم

رعشة يديه في يدي، ورؤيتي لخطواته غير المتزنة، وانحناءة ظهره، وإدراكي أن قامته أصبحت أقصر مما كانت عليه، ولكني لا أرى فيه غير هذا الرجل الذي كان يحملني على كتفيه ونغني سويًا: "يا طالع الشجرة، هاتلي معاك بقرة".

يالقسوة الزمن وقدرته! أيملك عصاة سحرية يخط بها الشيب في رؤوس أحبائنا، وينحت التجاعيد في قسماتهم بهذه الحدة؟!

كثيراً ما حادثت الموت: لا تنتزعه منِّي! فما زلت أشعر بدغدغته لي حين يوقظني، ما زلت لم أوفه حقه بعد، لم أخدمه في شيخوخته كما ينبغي، لم أنهل من حضنه ما يحصني ضد قسوة ما سأواجه من بعده..

ولكنك رحلت يا أبي، ورحل معك كل إحساسي.

رحمك الله بقدر ما ضحيت من أجلنا، واعلم دائمًا أنك ستظل فارس أحلامي، ليس فقط الأول بل الأوحد..

الواحدة بجنيه

بقلم : رشا حمدي

بينما كنت أمشي أنا وأصدقائي ظهرًا، والشمس حارقة نود أن نختبئ منها خلف الأشجار، ظهر أمامنا طفلان نحيلان، أخ يمسك بيد أخيه الأصغر منه قليلًا، ويضع الطفل الأصغر في رقبته طاولة خشبية صغيرة مثبتة بحبل صغير على رقبته، ويفصل بين الحبل والرقبة كيس بلاستيكي لحمايتها، ويبيع أشياء صغيرة أمشاط وفُرَش وفتل، لا أعلم فيما تستخدم، أوقفه صديقي وسأله عن أسعار بضاعته، فأجابه:

- الواحدة بجنيه.

ونظرت للطفلين ورأيت ملاكين حُرما من طفولتهما، وأجهدهما كثرة السير واسمرت بشرتهما من شمس الظهيره الحارقة. وتخيلتهما طفلين عاديين يلعبان في الشارع، أو حديقة خضراء بلون قلبيهما يضحكان، ويمرحان، ويجُهدان وتسمر بشرتهما، ولكن من كثرة اللعب والانطلاق، وليس للبحث عن لقمة عيش لهذه الأجسام النحيلة، وتخيلت الأم والأب:

هل هما يستغلان طفولة أبنائهم؟!

هل أنجبوهم كوسيلة لكسب العيش أم اضطرهم الفقر ليفعلوا ذلك؟ أيًا كانت الأسباب.. فهما الآن في الشارع.

ثم اشترت منهما صديقتي كل ما معهما، فأخذا المال ورسُمت على وجهيهما ابتسامة عريضة وتبدل إجهاد الوجه بلمعة الفرحة، وصافحانا جميعًا وفي عيونهما نظرة امتنان وشموخ الرجال.

وعندما سلما عليَّ وددت أن أبكي كثيراً، ولكن أعلم أن دموعي لن تُعيدَ لهما طفولتهما، ولكنها تُشفي قلبي الذي جُرحت طفولته عندما رأى أطفالًا يشيخون. وودعنا الطفلان وهما يمسكان يدي بعضهما البعض، ويتسكعان في الطريق عائدين إلى منزلهما، والفرحة مثل الهواء تُحركهما، كما تُحرك غصون الأشجار يمينًا ويسارًا.

وقلت في نفسي: اليوم قابلتما مَن جعلكما تعودان مبكرًا فرحين بما بعتما سريعًا، فماذا عن الغد يا أحبائي؟ يا أزهارًا تذبل قبل أن تتفتح أوراقُها!

كأمواج البحر

بقلم : رشا حمدي

ذهبت أنا وصديقتي إلى الإسكندرية، ومساءً جلسنا أمام البحر كانت الأمواج عالية تجعل الماء يتطاير علينا فقلت لصديقتي:

- لنرجع إلى الخلف قليلًا.

قالت:

- لا، اتركي الماء يداعب وجوهنا؛ فكل قطرة تُحي ذكرى في قلبي.

سألتُها:

- وما هي الذكرى التي أتتكِ الآن؟

فأجابت، وقالت:

- وأنا في سن الثالثة والعشرين كنت أحلم بالزواج بطريقة غير تقليدية، ولكن الأهل والأقارب والجيران دائمًا يحبون المساعدة في الحصول على زوج مناسب قبل أن يتقدم العمر من وجهة نظرهم، ففي يوم جاءت إلينا صديقة أمي وقالت لها: عندي عريس ممتاز؛ فهو شاب لطيف ومتعلم ومسئول.

عرضت أمي عليَّ الأمر فقلت في نفسي مثل كل مرة: لنرى لن نخسر شيئًا وعقلي يقول إنه أمرٌ لن يعود بفائدة ومثله كالسابقين.

وعندما جاء لزيارتنا ذهبتُ إليه في غرفة الصالون ماسكة في يدي صنية عليها كوبان من العصير، وكانت تهتز يداي من الخجل مثل بطلة الأفلام القديمة، وأبطأت في الحركة؛ حتى أحمي الأكواب من أن تنسكب، وكنت أشعر أنَّ كُلَّ مَن حولي يراقبونني، وجلست معه وانتابني شعور غريب لم أشعر به من قبل إنه هو من أنتظره؛ فمن النظرة الأولى شعرت بذلك رغم كلامه القليل، ونبرة صوته الحزينة متأثرًا بخطبته الأولى التي حكى لي عنها سريعًا، وهو متألم ويحاول أن يداري ما أراه في عينيه، لكني شعرت بخفة روحه، وشباب قلبه، وقررت أن أتخلى عن القلق الذي انتابني تجاه حبه الأول؛ إنه لم يجتَز الأمر بعد وقررت أيضًا أن أتخلي عن التفكير في عيوبه أيًا كانت، وسرحت في خيالي وأنا معه وقلت في نفسي:

تذكرت يومًا أني امرأة، ولي رجل أراه في عيني أميري.. ويراني أميرة جميلة، وأحب في عينيه نفسي؛ لأنه يرى ما بداخلي من عقل وطفولة وبراءة (وحسي)..

أمده بطاقة من الحب والقوة وأشعر بالفرحة وأنا بجواره وأنصت إلى كل كلمة من كلامه..

تمنيت أن أكون بجواره جميلة يوم عرسي

كل الأحباب حولي في فرحي

يرقصون معي على نبضات فرحة قلبي

ويرونني وأنا لأول مرة أشعر بفرحة الحب

والزغاريدُ أنغام سعادة في أذني..

وانتهى اللقاء القصير ولم يعد ثانية لزيارتنا، وشعرت بحزنٍ، وبفقده فترة من الزمن؛ رغم أنني لم أعرفه. وبعد مرور خمس سنوات وأنا عائدة من العمل رأيتُه وهو يمشي وبجواره ابنته، وكان عمرها ما يقارب الثلاث سنوات، ابتسمت ابتسامة خفيفة؛ فأنا لم أشعر عندما رأيته بفقدٍ ولا فرقة ولا أي شيء، وقلت في نفسي: نعم لقد كانت حالة، وجعلته هو البطل فيها، وتذكرت نفسي منذ خمس سنوات، فلم أعد تلك الفتاة التي تهتز يدها بصينية العصير من الخجل، أو التي توهم نفسها بالحب من أجل أن تحيا حالة حب، فأحيانًا نعتقد أننا نفقد مشاعر، ولا نعلم أننا نفقد الأوهام.

وسكتت صديقتي فسألتُها:

- وما علاقة هذه الذكرى بالبحر؟

فقالت:

- بعض المشاعر تجتاحنا بقوة، ونشعر أنها غمرتنا ونغرق فيها، ثم تهدأ وتذهب في الاتجاه الآخر، وتتركنا لأنفسنا لنعلم أنها كانت تغمرنا من الخارج فقط، وليس لها علاقة بداخلنا تمامًا كأمواج البحر. فقلت لها:

- في انتظار الذكرى الثانية.

وابتسمنا واستلقينا على رمال الشاطئ أمام البحر، وأخذنا ننظر إلى ما لا نهايته وهو يلتقي بالسماء..

كان لدي الكثير

بقلم : رشا حمدي

زي كل يوم باظبط المنبه على سبعة وربع، وسبعة ونص الصبح؛ عشان عارفة إني مش بقوم من على السرير من أول مرة، بس النهارده صحيت وقمت من سبعة وربع، ورحت عند سرير أمي وبوستها كالعادة قبل ما انزل وصحيت وقالت لي:

- ربنا يوفقك يابنتي ماتتأخريش بقى زي كل يوم. وبعد الشغل كان عندي مشاوير اتصلت بيا أمي وفضلت تزعق:

- مش هاتبطلي تنطيط في كل حتة وتأخير، إنتي مش عارفة اللي بيحصل في الشوارع.

ورجعت البيت بالليل غيرت هدومي، فضلت تقول لي:

- لبسك خفيف هايجيلك برد، الدنيا شتا. وأنا معدية من قدامها ورايحة المطبخ أعمل نسكافيه لقيتها بتزعق تاني حسيت بزهق، وقلت في نفسي: ياربي أروح فين بقى عشان نبطل خناق. ورديت عليها:

- في إيه يا ماما تاني!

قالت لي:

- إلبسي حاجة في رجلك، وكُلي الأول ماكلتيش حاجة النهارده وقامت جابتلي الأكل، وقالت لي:

- هاتيلي بقى المسلسل العربي واقعدي اتفرجي معايا وانتي بتاكلي. إنتي على طول كدا مشغولة، أو قاعدة مع نفسك.

وقعدت أتفرج معاها، رغم إني مش بحب المسلسلات. بس فجأة لقيت المنبه بيرن على سبعة ونص، وإني لسه علي السرير ما اتحركتش والمفروض أقوم أروح الشغل، وإن ماما مش في الأوضة التانية، واليوم دا مش هايبقى موجود تاني غير في خيالي، يوم عادي وروتيني بس اختفى بجزء من قلبي. وقمت ورحت عند سريرها وقلت لها:

- كان لدي الكثير لأقوله لكِ، أحببتك أكثر من نفسي.

ولبست ونزلت شغلي زي كل يوم.

القطار

بقلم : بلقيس الدمشاوي

على رصيف القطار لا تدري إذا كانت تنتظر القطار أم تنتظره.. جودو الذي لا يجيء، دومًا لا يجيء!

رائحة القطار تغوص في مقعدها؛ فتطفو فيها بقايا عطره، تدغدغ حواسها، وتهدهد روحها الطفلة. لم تكن لترضى بالطفولة إلا بين ذراعيه. تتذكر في رائحة القطار رائحة تبغه وملابسه.. تتذكر القطار.. تتذكر كيف التقيا؟

جريدة فرنسية مطوية على منضدة مقهى المحطة، تحمل لمسات كفين، وأفكارًا أزهرت بينهما في لحظات قصار، غريبين صارا واحدًا.

صوت القطار الرتيب يحملها على الشرود؛ فتجمح أفراس مخيلتها مع صوت إديت بياف الراجف، أغنية الزحام تحملها بعيدًا.. بعيييدًااااا.. عبر الزمان والمكان.

- أتحبين إديت؟

- وازنافور أيضًا؟

- كنت أظنني الوحيد المفقود في الترجمة هنا! صوت الأغنيات كان مختلفًا حينها، بعضها كتب عنهما، والبعض الآخر للآخرين فقط يرثي الفراق والألم.. مفردات لم يعرفها قاموس ذلك الكيان المسمى "هما".

تغمض عينيها؛ فيزداد شعورها بهزة القطار، تهدهدها لتغفو، تزداد الرؤى حولها وتغرق في أمواه لا نهائية..

غريبان التقيا.. تمزقهما ذاتُ النصال وتنبض بهما ذات الكراهية، مزاجٌ واحدٌ وأحلامٌ واحدة، أربعة أكف تغزل كفًا واحدًا ذات الرقصات خطواتهما، وذات الإيقاع يدقها قلباهما، يطربان لذات النجوم، ويلثمان ذات القمر.. غريبان صارا بيتًا ونَخيلًا..

تحتضن أصابعها الحقيبة وتغفو كالطفلة على أحد جانبيها؛ فتسحبها الذكريات بقوة، لم تكن تغفو كطفلة، بل لم تكن تغفو فعليًا إلا بين ذراعيه، وعلى نغمات صوته..

- طفلةٌ أنت يا صغيرتي.

- لا تَقُلْ لي يا صغيرتي.

يضم تلك الكف العنيفة؛ فتصير دون كلام طفلة تتعثر في جدائلها؛ فتهرب إلى صدره القوي، تتحول كل قصائد البحتري، ومحمود درويش في رأسها إلى خرافات لامارتين، تدرك أنها بعد صغيرته، وأنها لا تريد إلا طفولة تضرب جذورها فوق قلبه.

تشدو فيروز: "بيتي بيصير وعد.. لما بحاكيه".

تحمل قهوتها المرة أحد أسلحتها التي تتنسمها من عالم الرجال، تنشق عبيرها وتدرك أنه سيظل صديقها الصدوق رغم أنف الطبيب، ترشف القهوة فيحاصرها ثانية..

- قهوة وتبغ؟ ماذا تركت للرجال؟

- أنت فقط لم تدرك بعد أني رجلٌ! ينظر إلى عينيها؛ بل خلال عينيها، ينظر داخل روحها، تذوب كل أحجار القلاع التي عاشت تبنيها حول مملكتها، تتفجر براكينها وتعصف أمطارها بباقي الأسوار، تلفي نفسها ترفل في حرير، وتتطاير حول جيدها خصلات بلون الأساطير، تطرق في خفر؛ فتهرب أسراب الفراش والنجوم الملونة من تحت أهدابها، لا حاجة له بقولها ولكنه يعلنها إمعانًا في انتصاره..

- لا مناص.. أنتِ أنثى!

من داخل القطار تنظر، ترى العالم من بين خصاص النافذة ممزقًا، لا يدري أنه كان يومًا عالمًا.. كاملًا.. صار شرائط منفصلة، لا تدري ماذا فقدت؟ تذروها الرياح التي يثيرها القطار في انطلاقته الغضبى؛ فلا تقوى على الصراخ.

غريبان غزلا بيتًا في انتظار قطاريهما المتأخرين، أتى القطار فنقض غزلهما، هدم البيت وأعادهما كما كانا.. غريبين على رصيف القطار..

تحرك قطارها شمالًا وقلبها يطير جنوبًا؛ لعله يلقى بعضًا من ريحه فيعود لها بالبشرى، أيقظها عويل صافرة القطار على محطة الوصول.. أنزلت قدمًا تائهة، وبعين لا ترى لم تزل تبحث عن الغريب..

أنامل

بقلم : بلقيس الدمشاوي

تقلصت أناملها حول ما تبقَّى من لفافة التبغ حاملةً من المشاعر ما جرى من قلبها؛ فثار وأزبد، ولم تسطع إخراج سواده المحرق نزيفًا من الحبر على أوراقها الوحيدة مثلها.. مسحت نظراتها الطاولة الممتدة أمامها كطريق غير مأهول. كل هذه البقايا كقصاصات الكولاج في لوحة كابوسية بحجم الكون، أم لعله العدم!

نظرت إلى أناملها في شدة، واختفت الغرفة من حولها..

****

قبضت أناملها على أنامل طفلها الصغير، لن يؤذيك شيءٌ طالما أتنفَّس وأرى، لن ينال منك ولو نسيم الخماسين المترب المجنون.

تتعثر خطواتهما الطفلة، صغيرة تقود صغيراً عبر الوعورة. هم يضحك.. ينظر لها صغيرها في اشمئزاز.. ومن أنت حتى تمنعي عنّي الهواء؟ يضرب أناملها بعيدًا عن عاتقه كحشرة.. فتدمي أناملها.. تحمل دمعها إلى داخلها على جناح شهيق

مؤلم، تلثم الجرح وتنظر للصغير الذي يختفي رويدًا في الأفق، تقبض أناملها على حفنة من تراب خطا عليها وتضمها لعينيها!

- لا تخافي، لن تدعي شيئًا يحدُث له ما دام بك روحٌ. تقبض على أنامله الوهمية أناملها، وتمضي في طريقها وروحها تسري عبر هذا التراب متتبعة خطى الصغير.

****

التفَّت أناملها حول القلم الجميل.. في حنانٍ تهدهده فوق الورق؛ فيرسم خطوطًا لا تُصدِّق أنها لها. تضم أناملها قلمًا وأقلامًا أخرى وتزفر قلبها ألوانًا وخطوطًا وقصائد حتى تجف أناملها من المشاعر.. كلما كفَّت عادت للأوراق؛ لينبجس الأسود المضطرم من قلبها عبر أناملها، والقلم عوالم من أقواس قزح أو من العواصف كلها لها..

****

انضمت أناملها في قبضة شرسة وزادت من سرعتها، وهي تزوم بصرخة حرب تتصاعد بافتراس.. صرخة لا بُدَّ وأنها كانت لمحاربي قبيلة ما في زمنٍ ما. لم تكن ترى سوى هدف القبضة على خلفية من كل المعارك التي أدمت تاريخ العالم، كانت ترى الصراخ وتشعر بألوان المعركة وتشم الدماء حين انتهت، تعجبت من أنها لم تقتل في مثل تلك اللحظة وأنها لم تتحرك يومًا لذاتها؛ ولكنها مزقت فورًا وبدون تفكير لقبضة من تراب.

****

نفثت في أناملها المتورمة المتدلية من كفها في مواتٍ مهينٍ؛ لكي تستطيع ولو لثانية تحريكهم، مسحت دموعها التي انهارت كجبلٍ مُزلزلٍ دونما سببٍ.

هل كانت تبكي الألم أم فراقَ أجزاء من كيانها تدفنها في بقاع شتى على طريق ترحالها؟ لم تدرك حتى الآن.

****

نظرت لأناملها المشوهة، تلك التي لم تتوقف عن العمل يومًا حتى شاخت. كانت تراها في جمال كل ما صاغت من قصائد وحلي ولعب، وكان يراها في جمال كل لمسة حنون كانت له منها، أما الآن فهي تفضل ألا تراها كي لا تجن وتجتثها.

****

وضع أناملها على شفتيه ناظرًا لعينيها؛ بل خلال عينيها إلى ما تطوي ابتسمت، فبدأ في إملاء شروط بحجم تشريع حمورابي، لمح الدهشة في عينيها فلم ينتظر موافقةً أو نقاشًا، اشتعلت نيران همجيةٌ في عينيه، وتكلم؛ فلم ترَ إلا أسدًا يزأر، الدماء فوق رأس فريسته، شهقت ثانية..

****

وضعت أناملها على شفتيه تستحلفه لحظة صمت ينظر فيها داخل عينيها، لكن أناملها على حنوها أثارت حفيظته بدلاً من استرحامه.

- لم أكن لأعترض! فقط كنت أريد أن أفهم. إذا كنا سنحيا سويًا، والعمر ليس بلحظة ولا بحُلمٍ، وجب علينا رسم طريق ليس طريقك وليس طريقي، بل طريق الثالث الآتي ليظل نحن. تحولت نظرته من التحفز للتململ، للاستهزاء، لعدم الفهم. هنا فقط أرخت أناملها عن شفتيه؛ فلم يعد لهما أهمية.

****

ضغطت أناملها زر الإيقاف بغِلٍّ، والممثل يناجي:

- أنا أحبك ولكنكِ أكثر ذكاءً من أن أشعر بالراحة حولك، أنت ألمٌ مستمر، تحيين كالقديسين، وهذا يطرد عشاقك دومًا.. فحياة القديسين مملة!

تزفر وتنظر لأناملها؛ فتقرر أن الوقت حانَ لبعض التهذيب والعناية بهم.

****

تلمست أنامله تناشده بعض التفاهم، ولكنه أرغى وأزبد أنها خارج نطاق فهمه وفوق حدود احتماله، ذكَّرته بوعوده لتخطي الفروق التي وسمها بالوهمية لكنه أبى الاستماع، أطلقت معصرات عينيها رصاصها بداخلها، ولكنها شهقت كل هذا المطر فلم تنسكب منه قطرة. نظر لعينيها نظرة هروب وتمتم:

- أنا أخافك..!

****

عبثت أناملها بكتاب تعليمات الهاتف الجديد فنظر لها مبتسمًا، وقال لها:

- ليتَ لك مثله.. كان لا يلقي نكتة لكنها ابتسمت، وسطعت في عقلها مئات التساؤلات بشأن قدرتها على الفهم والتحليل..

****

نظر إلى أناملها، وقال شاردًا:

- لا أرى أناملك إلا ملوثة بالحبر تتعارك على الأوراق، أو في الواقع، ربما لو غمستِها في العطر مرة.. تأكدت أنه مهما جملت لآلئها التي ترتدي، وعطرها الذي يصدح؛ فإنه لن يلاحظ؛ لأنه أول مرة قابل فيها تلك الأنامل كانت تصفع تعسًا حتى الموت، لقد فقدت رونقها بالنسبة له للأبد.

****

تاقت أناملها لضمة أنامله؛ فتباعدت أنامله:

- كيف نضم أناملًا نعلم أننا لا نحميها، بل هي تحمي وتذب، ولكننا لسنا وحوشًا.. هي ضعيفة.. تورِّق زهورها تحت القناع الصارم فلا تجد من يرفعه لتتنفس فتموت فتأبى إلا أن تورق ثانية..

- هراء.. لا إثبات، بل هي تبكي دومًا، هلا رفعتم القناع لـ...

قاطع شرودها ارتفاعُ أنامله نحو وجنتيها ثم تباعد كفيه؛ أغمضت عينيها تنتظر اللحظة السحرية؛ لتهوي تلك الصفعة فوقها كالطاعون، فتطلق العنان لجموح نظرتها المتحدية، وتشهق صمتًا ومشاعر لداخل قلبها، تلملم ما تبقَّى لها في هذا المنزل؛ لتغادره للأبد. يتهاوى حصن مشاعرها من الأساس حتى يصير رمادًا..

****

أخذت في إشعال لفافات التبغ وإطفائها في أناملها حتى لم تعد تشعر بألمٍ، نظرت للطاولة وما عليها من لآلئ كسرتها في غضبٍ، وأقلام حطمتها فورة الكدر بها، وأوراق حميمة تراها في التوِّ كحروفٍ لعوب تتقافز حولها حتى الجنون..

لملمت أوراقها وسلاحها وزينتها على الطاولة الخشبية، وأهالتهم في كومة وأشعلت آخر لفافة تبغ، وأضرمت النار في هذه الأشياء المتكومة على أساها، أنهت لفافتها وألسنة اللهب نصب عينيها تعميها عن الموجودات، تمددت على الأرض، وشردت من جديد..

****

- لماذا لا تعترف بحبك لي؟

- أخشى أنني لا أستطيع.

- وَلِـمَ؟

- لستُ أدري. لا أظن أن بإمكاننا إقامة حياة سويًا.

- يمكنني أن أتغير طالما اقتنعت بالمبدأ.

- ولكنني لا يمكنني أن أتغير.

تدرك شيئًا فشيئًا أن قوانين المغناطيسية الجاذبة لا تعمل حولها بالذات، تراقبه ببطء وهو يمتزج بالأفق مستمرًا في خطواته الرجولية القوية، تتصاعد ألسنة اللهب من قلبها لتحرقها وتلفها في إعصار دوار لم ينفك يصارعها في كل مرة ينقر بابها هذا اللحن المفقود!

أتُراهُ عيبٌ بي، أم فصولاً فُقِدَتْ في الترجمة؟

لم تستطع الإجابة والنار تأكل كل شيء.. تأكل عقلها حتى الشرود.. وتأكلها حتى النخاع!

الصندوق

بقلم : بلقيس الدمشاوي

دقات البيان.. وصوت إديت بياف الأجش.

فيما مضى كانت هذه الأغنية لك، ثم صارت لنا، ثم صارت لي.

من المزعج أن أتذكر كيف كانت قبضتك حول روحي، وأنا أظنها أوراقَ الزهرة تحميها؟

تحميها من الشمس والهواء!! نعم!

- الآن أزهرت، ولم أعد آبه إن كان عمر الزهرة قصيراً؛ فهي حُرَّةٌ من كفيك!

تلك القبضة التي أحكمت، والأصابع التي شكلت حتى ذوقي! طاقات النور الضئيلة من بين تلك الأصابع التي كانت روحي تتنشقها دون وعيي، والتي لونتها أنت، حتى هذه لم تتركها لاستيعابي الخاص.

- لم تتركني أتذوق من منظوري، أستمع للبيان؛ فيطربني لِذَاته، يشجيني صوتها لذاته، أعشق لذاتي، أو لا أعشق، أو لا أطرب!

لكني تنفست! بتلاتي تأبى على الغطاء إلا الهواء، ولا أشم عطرًا إلا الشمس

والسماء!

دقات البيان، وصوت إديت بياف الأجش الجميل..

أرقص وحدي؛ فأبحث عن كفَّيِّ شريكٍ، ولكنه مجرد ارتباط شرطي.. لا للهفة أو الحنين..

أتابع خطواتي الحُرَّة من دونك؛ فأشعر كم صارت أخفَّ وأرشقَ! تنساب خصلات شعري متحررة من الكعكة رافضة أيَّ قيدٍ، وتتراقص حولي كأطفال الباليه؛ فأشعر بدغدغاتها وعناقها لخصري.. فأتنفس!

دقات البيان، وشهقات الكمان، وصوت إديت بياف الأجش الجميل.. وإيقاع الفالس الحالم!

فيما مضى، ما الذي مضى؟ صرتُ أعشق هذه الأغنية من جديدٍ، أعشقها لا لأنها تحدثني عنك، بل لأني صرت أراقص عالمي على أنغامها شفافًا كالبلور!

أقف عارية أمام مرآتي فلا أرى كدمة، ولا جرحًا، ولا ندبة.

أرى ملكة من الرخام والبلور، ولا أخجل!

أمشط جدائلي محررة إياها من القيد، وأحركها ذات اليمين وذات اليسار؛ فلا تنثر غير عطري.. عطري وحدي!

أنظر إلى شفتي فأرى لهما لونًا ولمعانًا خجولًا.. بعد أن أحال الكذب لونهما أعوامًا إلى لون الرماد..!

أنتَ الآن رمادٌ!

انتهت الأغنية ولكنها تدق مسامعي كل حين؛ فأراقص تلك الساحرة الطفلة، وأدق الأرض بقدمي، وأنا أخطو فوق كل ما بعثرته من رمادٍ علق بذلك الصندوق، ويبتلعني صوت دقات البيان، وصوت إديت بياف الأجش الجميل الذي أعشق..

أين اسم القصة؟

بقلم : نهاد فتوح

أخيرًا جاء يوم مماتي! هذا اليوم الذي اشتقت إليه وأنا أنتظره كثيرًا. اشتقت إليه كأم تحمل وليدها، وتتلهف لملاقاته، كعذراء تخرج لملاقاة حبيبها بعد طول انتظار!

لا أعرف ما مصيري الآن؟ أأدخل الجنة، وأستمتع بنعيمها أم النار بجحيمها؟ حاولتُ أن أكون عبدًا مخلصًا لله في عبادته، حاولت أن أمشي على الطريق المستقيم؛ لأعبره يوم القيامة، حاولت ألا أكذب على أحد بعد نعتي ككذابة في طفولتي لتخيُّلي أشياء وقد كان هذا من الصعوبة بما كان، ولكن الأهم والأصعب كان أني لم أكذب على نفسي وأكون نفسي في وسط أمواج متلاطمة من الزيف. لم أغش يومًا في أي من الامتحانات ولا في أي من تعاملاتي، لم أسرق إلا مرة واحدة وأنا في الثامنة من عمري لكي أشتري حلوى محرمة؛ لأنها أغلى من مصروفي، لم أخن ربما كان هذا بالتحديد سِرَّ شقائي في الدنيا أنني لم أَخُن، لم أزنِ اللهم إلا قبلات مسروقة في وسط المارة، لربما نمت في خروجة أو غفلت

عن فرض. هل أعاقب على اللمم أم يشفع لي للمحاولة؟ لطالما أخلصت النية للصلاح. ما مصيري الآن؟

- ما يُطَمئِن خاطري، هو أنك يا الله ياجبارٌ لطيفٌ. أنت الذي عند ظنِ كُلِّ عبدٍ بك. أنتَ وحدك تعلم كم حاولت! وكنت أنت وحدك سندي، فأنا لم يكن لي أبدًا أحد في الدنيا. عشت أكافح رغبتي لأقتل نفسي وأتخلص من هذا العالم الذي كنت غريبة عن همزاته ولمزاته. حاولت أن أحافظ على نفسي نقيةً، وفي سبيل ذلك اصطدمت مع خلقك يارب. فأنت وحدك تعلم وأحمدك أنك أنتَ الذي سيحاسبني.

دخل إلى غرفة غسلي نسوة كُثر يغسلونني ويقلبونني يمنةً ويُسرةً كفتاةٍ، تتجمَّل في يوم عُرسِها ينظفونني ويلبسونني الأبيض كي أكون في كامل لياقتي لملاقاة وجهك الكريم.

دخل رجال لا أعرف معظمهم إلى غرفة غسلي؛ ليحملونني على أكتافهم ليس لتكريمي، ولكن فقط لأني فقدت القدرة على حمل جسدي، أحسبهم يحاسبونني في أنفسهم، فعلى حسب ثقل وزن نعشي يحكمون على مصيري أإلى النار أذهب أم الجنة؟! عادةً يقسمون على دخول المتوفي الجنة برائحة كفنه وخفَّته على أكتافهم ولكنهم لم يجزموا بمصيري، ربما لتأكدهم أنني إلى النار، يَحملونني في وجومٍ صامتين صامدين مصرين على التخلص من حملي الذي أثقل كاهلهم في الدنيا، مع أني لم أكن يومًا حملًا على أحدٍ وكنت دائمًا مستقلةً في قراراتي ودخلي لكي لا أثقل عليهم ولكنهم اعتبروا هذا هو عين الحمل والصخرة التي تكسر عليها كل اتصال بيني وبينهم. لربما يدعون لي الآن بالرحمة ولكني واثقة من رحمتك يا حبيبي، الأحرى لهم أن يطلبوها لأنفسهم،

هم من يحتاجونها للاحتماء من شرور أنفسهم لأنني من الآن سأكون بصحبة ملائكة ومن أحسن منهم صحبة؟

لم يستغرق الأمر وقتًا ليحملوني إلى قبري ولكن أي قبر؟ فأنا أوصيت بلحد لا أريد أن يسكن جسدي غرفة من غرف المقابر العثمانية. أريد أن يتحلل جسدي وتتسلل خلاياه في الأرض لربما أزهرت وردًا؛ يستمتع الطيبون بعطرها أو شجرة يستظل بظلها الحائرون المكويون بنيرانها.

- على ما يبدو أنهم وصلوا. أي نهاية لجسدي هي أحسن له بكثير من الدنيا.

دخلت ساحة مرقدي الأخير على صوت سورة الرحمن "فبأي آلاء ربكما تكذبان" لم أكذب أي من آلائك يا رحمن وضعوني على جانبي وانهال التراب على وجهي.

- إنه لحد! الحمد لك يارب وشكرًا لك أنك ألهمتهم أن ينفذوا وصيتي.

بسم الله الرحمن الرحيم؟؟؟

أعرج على قارعة الطريق

بقلم : ريهام عبد الله

مرَّ اليوم ثقيلًا. لا تدري لماذا جاءت بابنها معها هذا اليوم؟ هذه الإشارة اللعينة كم توَدُّ ولو لمرة واحدة فقط ألا تقف بها!

ما الذي أطالها هذا اليوم؟

"الفل. الفل."

كان هذا نداء يأتي من بعيد.

هذا الصوت، مألوفٌ لديها لم تسمعه منذ زمنٍ طويلٍ مضى.

- فل يا هانم. نظرت إلى اليد الممدوة عبر النافذة بأعواد الفل، تنسمت رائحته الخلابة.

- إنتي بتحبي الفل قوي كدا.

- جدًا. وبحترم سواق الميكروباص اللي بيعلق فل في عربيته.

- طيب خديهم كلهم.

- بكام يا عم؟

كانت ضحكاتها تجلجل آنذاك وهي في أيام خطوبتها السعيدة، تلك السعادة التي غادرتها ما إن تزوجت.

لقد تزوجت حبيبها؛ لتجده بعد الزواج إنسانًا آخر ليس كعهدها به.

ما الذي تغيَّر فيه؟ أتغيرت هي أم تغيَّر هو؟

ضربه لها، وإهانته لها باستمرار بسببٍ وبدونِ سببٍ.

كانت ترجع ذلك إلى طبيعة عمله كضابط شرطة، ولكن هل كلهم هكذا؟!

لم تشكُ حظها لأحدٍ. ظلت صامتةً، صابرة تحتسب أجرها عند الله.

إلى أن جاء اليوم الذي ضربها، وتركها تنزف ألمًا قبل الدم؛ ليسعفها الجيران، وتعلم في المستشفى أنها حامل.

هذا الخبر الذي قد يكون مُفرِحًا لأي أم تنتظر بفارغ الصبر وليدها.

ألهذا كان غاضبًا منها؛ لتأخُّر حملها؟! ولكنه لم يشأ الذهاب معها إلى الطبيب

بعد كل هذا العذاب يأتي من يخفف وطأة ما تشعر به

انتظرته طويلًا تلك الليلة، فرغم ما حدث كان وليدها بخيرٍ

انتظرتْ وطالَ الانتظارُ، واستمرَّ لعدة أسابيع وهي لا تعلم عنه شيئًا. كما أن والدته والتي كانت تحنو عليها دائمًا أخبرتها أنه في مهمة.

وبعد مرور شهرين تسلمت ورقة طلاقها. لم تخبر حماتها بمولودها، وهي كامرأة عجوز، لا تستطيع الحركة كثيراً، لم تزرها.

أرادت أن تكون أوَّلَ من يخبره. وبعد استلام ورقة الطلاق لم تستطع فعل شيء، لقد استغنى عنها رغم ما فعله بها.

أين عساه ذهب، هذا الحب؟!

إلى أين ولى؟ أيكون ذهب أدراج الرياح؟

ولماذا لم يعد هو؟ ما معنى أن يبعث لي بورقة الطلاق هكذا؟

لم تخبر أحدًا بوليدها؛ فلن يكون هو سبب الرجوع إليه.

ليرحل، وسأرحل وسأعلمه عنه كما أعلمني بالبريد. عسى ألا يصله بريدي!

استمرت طيلة حملها تعمل جاهدة على طلب الهجرة، أرادت الهروب من هذا الهواء الذي يستنشقانه سويًا. لم تحتمل فكرة وجودها في ذات المكان وذات البلد.

- ماذا سيفعل عندما يعلم أنَّ له ولدًا؟ هل سيأخذه مني؟

- هل سيكبر ابني ليكون مسخًا كأبيه؟!

كلا، لن يكون. سيكون محبًا معطاءً وفيًا.

سأربيه كما يجب أن يكون.

سافرت قبل وضعها إلى إنجلترا، ووضعت هناك واستمرت تعمل ومعها ابنها الذي حصل على الجنسية البريطانية بحكم مولده بها. إلى أن حصلت هي الأخرى على الجنسية بعد مرور خمس سنوات. وهي تعمل جاهدةً دونَ كللٍ، أو مللٍ. تعلِّم ابنها اللغة العربية، وتعاليم دينه، وكانت تحكي له عن مصر الحبيبة:

كم هي جميلة تلك البلد التي تشتاق إليها الأنفس دائمًا!

فهي لم تنزل مصر منذ خمس سنوات. كانت متواصلة مع أهلها إلى أن تعبت والدتها؛ فعزمت على الرجوع، وها هي الآن في مصر منذ ستة أشهر، ستة أشهر في ذات الإشارة.

- لماذا لم تسمع هذا الصوت من قبل؟

تذكرت أنها المرة الأولى التي تفتح النافذة التي بجوارها، أراد ابنها أن يخرج يده من نافذة السيارة ففتحت النافذة؛ لتسمع صوته:

- الفل. الفل. فل ياهانم.

التفتت إلى صاحب الصوت؛ لتراه إنه هو، كالمحموم انتفض بعيدًا عنها ترك عيدان الفل معلقة في نافذة السيارة، وابتعد مسرعًا. كان يقفز بين السيارات، وهو يصرخ كالذي أصابه مسٌّ من الشيطان:

- افتح الإشارة. افتح الإشارة.

لتجد بعدها الإشارة مفتوحة، ولم تجد سبيلًا غير أن تبتعد بالسيارة؛ وتقف بعيدًا لتراه..

كان هناك عرج في رِجله اليسرى جعله يقفز بين السيارات.

- أيعقل أن يكون هو؟! وما الذي حدثَ له ليكون هكذا؟

استفاقت من غفوتها تلك على صوت ابنها:

- ماما هو احنا مش هنروح عند تيته؟ أنا جعان.

أدارت المحرك وأسرعت مبتعدةً، وهي تتمتم بهمهمات لا يكاد صغيرها يستوعبها.

راقب هو ابتعاد السيارة وهو يسترجع ذكريات هذا اليوم..

- مش ملاحظ إنك زودتها المرة دي مع مراتك. إنتَ من ساعة ما اتجوزت وانتَ بتعاملها وحش، وهي مابتتكلمش، ارحمها شوية.

تنهد بحرقة وهو يقول:

- عايزني أقولّها ايه؟ إن عندي ورم في العمود الفقري اكتشفته بالصدفة تفتكر هتصدقني.

- لو بتحبك هتصدقك.

- ولما أعمل العملية، شفت الدكتور قال إيه؟ نسبة نجاحها أد إيه؟ لو فشلت هعيش عاجز وهي هتخدمني طول العمر هاعيش عالة عليها.

- يا شيخ فال الله ولا فالك. ربنا كريم قوي وهتبقى كويس إن شاء الله.

- ونعم بالله. يارب. أنا بتقطع كل ما أضربها بس المرة دي هي الفيصل. أنا مش راجع البيت تاني وهطلقها!

- حرام عليك 3سنين مستحملة قرفك، وفي الآخر تطلقها!

- عايز أبقى ندل في نظرها وتنساني، أحسن ما أعيش ونظرة شفقة في عنيها.

- إنتَ مجنون!

- علشان بحبها!

- ها عامل إيه دلوقتي؟ أحسن؟

- الدكتور قال إيه؟

- قال إن العملية نجحت بس استأصلوا حتة من الرِّجل الشمال. كان في ورم في القصبة باين في الأشعة الأخيرة، والدكتور مارضيش يقولك علشان حالتك النفسية كانت سيئة.

- يعني ايه؟

- يعني بدل ما كنت عامل حسابك على شلل هتعيش أعرج!

- لسه مفيش أخبار عنها؟

- هو اللي بيهاجر بيرجع تاني؟

- لا.

كانت الحسرة تأكله، كيف طاوعته يده على ارتكاب جريمته الشنعاء في حق حبه الوحيد؟

- إيه يا ابو زُومل إنتَ تعرفها؟ انتفض مرة أخرى للصوت؛ ليجد زميله بائع المناديل.

- هي مين؟

- اللي انتَ مسيت عليها بعودين فل. بتبعلها الصنف؟

- لا، بس افتكرت حاجة قلت أجيلك على طول.

- افتكرت إيه؟

- إنتَ ماخدتش حق الفطار.

- هععهههعهههععههع أنا عازمك. بقولك المعلم عايزك آخر النهار.

- ليه؟

- علشان تبيع الصنف مع الفل. انتَ عملت سمعة نضيفة هنا وهو عايز يستغلها.

كان عمله متخفيًا هذه المرة وخصوصًا بعد عرجه الذي يسهل عليه كثيراً، ولأنها مهمته الأخيرة أراد أن ينجزها على أكمل وجه؛ ليختم حياته المهنية ويسافر يبحث عنها يطلب منها السماح والغفران. ولكن الآن، ماذا عساه أن يفعل وهو يرى ابنها إلى جوارها؟ لقد تزوجت وكونت أسرة.

- سامحيني.

- هي مين دي يا أخينا؟

- مفيش حد. هنروح إمتى؟

وفي المساء وأثناء ذهابه لم يلاحظ تلك السيارة المتوقفة بعيدًا، وراكبتها التي مسحت دمعة كانت تترقرق في عينها، وأبت إلا أن تنزل رغمًا عنها وهي تنظر إليه حينما كان ينظر هو إلى القمر.

حُلمٌ وأملٌ

بقلم: ريهام عبد الله

بين جنبات الكتب، اعتزلت وأخذت دفاترها، وبدأت عملها الروتيني في تصنيف الكتب

ق.ب123، أ.ر635

ما هذا الذي أفعله؟ أين ضاعت 98% في الثانوية العامة؟

أين ضاع الامتياز أربع سنوات في الكلية؟ ج.ر413

يا إلهي.. أينقضي عمري، وأنا هكذا؟!

- سأثور.. سأتمرد.. سأترك العمل. أين استقالتي؟ إنها في جيبي.

- أستاذة أمل.. هذا النداء أخرج أمل من عملها الروتيني؛ لترد برتابة اعتادت عليها:

- نعم.

- المدير عايزك.

وبخطوات جامدة جعلتها كتمثال.. ككتاب موجود على الأرفف.. لا، ليس

ككتاب، ففي بعض الكتب حياة، ولكن ما تفعله من روتينٍ يَوميٍّ سلب منها الحياة. إنها جسد بلا حياة.

جسد بلا روح.

- كلا، فتلك الروح التي تستعر بين جنباتي هي التي تعطيني الأمل في غدٍ.

- غد؟ أين هو هذا الغد الذي أحلم به؟

بخبطات متثاقلة، دقت باب المدير لتجده هو شخصيًا يفتح الباب بأسارير متهللة، وقابلها على غير العادة مبتسمًا.

علت الدهشة وجهها ولم تجد ما تقول غير:

- حضرتك طلبتني؟

- مبروك يا أمل.

علامات استفهام حائرة لا تعرف عن أي شيء تستحق هذه المبروك!

- على إيه يا فندم!

- هتسافري.

رجعت بذاكرتها إلى المرة الأخيرة التي ودعت حلمها، قبل حتى أن تعرف أنه الحلم الذي تحلم به منذ زمن..

- ماسألتيش فين يعني؟

- منتظرة حضرتك تقول لي.

- إيطاليا.

- إيطاليا تاني؟

- أيوه هتغطي فعاليات المؤتمر الدولي للكتاب هناك.

- آآآآآآآه

أتشعر بالفرحة أم أنها ضاعت قبل أن تكتمل؟ أجهضت في مهدها! فهذه المؤتمرات، تمثل ضياع وقت وجهد. كيف سأبحث عنه هذه المرة؟

وبلهجة آمرة قال المدير:

- حضّري نفسك، السفر بعد أسبوع.

بخنوعٍ شديدٍ قالت:

- حاضر. وهي تتحسس الاستقالة القابعة في جيبها، وقامت وهي تسأل نفسها: أيكون هذا المؤتمر مختلفًا عن الذي قبله؟ أتراني أقابله مرةً أخرى هناك أم عساه نسيني في زحمة الحياة؟ ولماذا لم يسأل طيلة العام المنصرم؟ إنني لا أعرف عنه شيئًا سوى تلك الضحكة التي جعلتني أنظر إليه باستغراب. أيكون سعيدًا لهذا الحد أم أنه يواري حزنه الترابُ خلف تلك الضحكات؟ تلك النظرة التي جعلته يقترب منِّي، ويسألني علام أنظر؟ ذلك السؤال الذي جعلني أفر منه وأبحث عنه فيما بعد.

بخطى متثاقلة ذهبت إلى هذا الركن القصي في المكتبة، ومن بين العديد من الكتب أخرجت كتابًا بتجليد مميز، وبحروف ذهبية قرأت:

الأمل

الإصدار الأول للكاتبة أمل بهجت

الإهداء

"من صاحب الضحكة التي جذبتك أول مرة، أرجو أن أراك مرة أخرى"

هذا الكتاب الذي وجدَتْه ضمن كتبها، ولا تعرف كيف عرفَ بأنها تكتب؟

وكيف عرف اسمها؟ كيف عرف عنها أشياء كثيرة؟ وهي التي لا تعرف عنه أي شيء. فتحت الكتاب فارغ الصفحات وأمسكت القلم وبدأت تكتب:

- إيطاليا، سأسافر إليكِ مرة أخرى، فأرجو أن أراه لأعرفه.

مسحت تلك الدموع التي أبت أن تحتجز بعد الآن، ومع شدة هذا الفيضان حضنت أمل كتابها تاركة دموعها تنساب في هدوء.. لتسأل:

- أترى الحلم يصبح حقيقة وأعرفه؟ سؤال لن تعرف الإجابة عنه إلا بعد أن تسافر إيطاليا التي أصبحت حلمًا، وأصبحت خوفًا!

قد تغرق!

بقلم: ريهام عبد الله

من هنا بدأت. من حيث توقفت. لم تكن تعلم لماذا توقفت؟ ولكنها بدأت من جديد، بداية تحسبها مقبولة نوعًا ما.

- هنبدأ ولا لسه؟

أتاها ذلك الصوت من بعيدٍ؛ ليعيدها إلى واقعها الذي تعيش فيه.

أتراها تبدأ، أم لم يحن الوقت بعد؟

أيا نفسي هلَّا بدأتِ الآن أم عساكِ تتوقفين؟ وإلى متى تبدئين ثم تتوقفين؟

ألم يأن الأوان إلى بداية حتى الخطوة الأولى؟! خطوة واحدة نحو ذلك المجهول الذي أخشاه.

- يالااااا!

أفاقت على تلك الصيحة المدوية التي أخرجتها من شرودها.

صوت المدربة وهي في الماء تريدها أن تقفز، وهي لا تعرف السباحة، ولا كيفية أن يبقى وجهها على الماء كي تستطيع التنفس، إنه الخوف الذي تملكها.

ودون تفكير ألقت بنفسها في الماء، يحارب عقلها ذلك الطوفان الذي اجتاحه من كل حدبٍ وصوبٍ، قلبها يدق بعنفٍ، طبول تقرع في دويٍّ مُخيفٍ، شهقات متلاحقة تريد أن تتنفس، تضرب بيديها الماء؛ إنها تغرق!

- أين تلك المدربة؟

كانت قرأت فيما مضى أن من يحارب المياه تحاربه.

إذًا عليها أن تستسلم.. ألا تقاوم!

ولكن أليس هذا ما تفعله دائمًا في الحياة؟! الاستسلام دون مقاومة!

حينما استسلمت في دخول كلية لا تريدها لرغبة أبيها في عدم سفرها لكلية أخرى أرقى، واختار تلك التي تبعد ثلاث ساعات ذهابًا وثلاث ساعات إيابًا، لم تكن تحبها، ولكنها تفوقت بها.

وتخرجت واستسلمت لعملٍ لا تحبه كي تبتعد عن الجلوس في المنزل، وتكون بعيدة عن أي مشاحنات. واستسلمت لما يحدث في العمل.

وأصبحت خاضعة، خانعة! وأرادت التمرد تلك المرة التي أعلنت فيه رأيها، وطالبت بحقها؛ فاجتنبها كل من حولها.

في مجتمعنا، إما الخضوع وإما الاجتناب. فكان الانعزال من جانبها؛ رغبةً في أن تجد نفسها بعيدًا عن مجتمع، لا يقبل باختلاف الرأي فهو يفسد للود قضايا وليست قضية واحدة.

أليس في الماء حياة؟ ألم يخلق الله من الماء كل شيء حيٍّ؟ فهو إذًا حياة يفعل بنا ما تفعله الحياة.

إنها تريد الخضوع، فلا مجال للمقاومة فهو الاستسلام التام أو الموت.

- هل تَمرُّدي عليها يعني مَوتي؟

- إنتي كويسة؟

انتشلني هذا الصوت مع شهقة عميقة قوية، وكحة ظلت متتالية برهة، وخروج الماء من كل مكان.

- هل بعد الاستسلام حياة؟ لا أدري!

لعلَّ عقلي لم يستوعب بعد، ذلك الدرس الذي تعلمته. ولكن قلبي أبى إلا أن ينظر مرة أخرى لصفحة الماء الهادئ ويقول له:

- لقد استوعبت الدرس جيدًا. فبعض الاستسلام حياة. فحينما تدع الأمور تمضي يمضي معها الموج بعلوه ويرفعك لأعلى لتستنشق عبير الحياة، وتعرف أنك وأنتَ معه ستحيا في هدوءٍ.

- ولكن حذار يا صديقي! لا تعبث معه وتسبح ضد التيار فقد.. تغرق!

إشارة مرور

بقلم : أسماء محمد فهيم

كنت هناك أقف تحت الأمطار، والسماء ملبَّدة بالغيوم الرمادية ويعتصر قلبي إحساسٌ مريرٌ بالانقباض والكآبة. زحام شديد يحيط بي، وأصوات أبواق السيارات تتعالى فتثير فيَّ إحساس التمرد، فأتمنى لو أنَّ لسيارتي جناحين، كتلك السيارات التي كنت أشاهدها وأنا طفلة في أفلام الرسوم المتحركة؛ لأطير بها وأبتعد عن هذه الأجواء التي تضغط على أعصابي.

وبينما أنا كذلك أدرت عينيَّ في المحيط؛ آملة أن يتحسن مزاجي، وإذا بي أرى ذلك الوجه المألوف، أجل.. وجهٌ أعرفُه جيدًا، كان في سيارته ملامحه مقتضبة يرتدي نظاراته السوداء. أمعنت النظر جيدًا. إنه هو. أجل ومَن يرتدي نظارات شمسية في هذه الأجواء إلا هو. أتذكر جيدًا عندما سألته يومًا، فأجابني أنه كان يتمنى لو أنه يستطيع الاختفاء، فلا يراه أحدٌ أبدًا.

هكذا هو يحب العزلة كنتُ أرى ذلك من عيوبه، أشعر أنه لا يُحِب أحدًا، ولكنني الآن تفهمت لما كان كذلك. لقد كانَ مُرهفَ الحس لا يقوى على تحمُّل الضغوط التي يفرضها عليه الآخرون، ولذلك كان يميل للابتعاد؛ ليجد الراحة لنفسه.

- ها قد بدأت السيارات تتحرك الهويني، وستقترب سيارته من سيارتي. آااه بضع أمتار قليلة تفصلنا.. يا للقدر.. ولكن أستطيع أن أراه بشكلٍ أوضح.

- لا أعلم ماذا اعتراني؟ قلبى انشرح. وبدأت أفكار سعيدة تلتف حول عقلي! أكُلُّ هذا لأني رأيته، رغم أني غير متأكدة أنه هو؟ ماذا حدث؟ ألم أكن أنا من تركته، وأنا التي لم أفكر به يومًا منذ يوم فراقنا؟! ما الذي ملأني بالحماسة والسعادة لمرآه الآن؟! ها هو يخلع نظاراته الشمسية، إنه هو! ما هذا؟ لقد توقف المطر عن الهطول وانعكس شعاع من أشعة الشمس الهاربة على زجاج سيارته، بعد أن حارب كثيراً الغيوم؛ ليضفي لمعة على عينيه العسليتين تلك اللمعة التي أسرتني منذ أكثر من عشر سنوات، لمعة جعلت قلبي يرقص بين جنباتي، وها هو يمرر أصابعه في شعره؛ لتتخلله، كما تخللت روحه قلبي منذ سنوات أحببته وقتها من أعماق قلبي، طبيعته كانت تختلف عنِّي كثيراً، وهو الذي لا يقبل الاختلاف كان يريدني أن أتنازل عن ذاتي، وأتحول لمصغر منه أتبعه ولا أعترض على تصرفاته. أطيع أوامره، وأنا أشعر أنه أغدق عليَّ نعمه إذ دلني على ما لا يرتقي عقلي للوصول إليه، أسعد بتحكمه فيَّ؛ إذ أنه اختارني أنا، دون الجميع ليكون مولاي، وكنت أنا مملوءة بالبهجة وحب الحياة. لي آرائي وأفكاري التي أغضب كثيراً عندما يعتدي عليها ويقيدها، أطيعه أحيانًا، وأختلف معه كثيراً! ولكن ماذا فعلت لي أفكاري وآرائي وحريتي؟! لقد كان يحبني ويريد بي خيراً ولو كنت مختلفة معه.. أستسقيني أفكاري حنانًا أو ستغمرني آرائي اهتمامًا؟ ماذا لو كنت استسلمت له، وتواريت خلفه ونسيت ذاتي قليلًا؟ أليس الحب أهم؟!

ها هو قد بدا يتحرك نحوي، سأجعله يراني بالتأكيد ستحيا المشاعر في قلبه مُجدَّدًا، ولكن.. إنه يتجاوزني، ماذا أفعل؟ السيارات أمامي راقدة بلا حراك،

أشعر أن ذرات جسدي تتصارع بداخلي، تدفعني لأتحرك ولكن لا سبيل الآن.. هاه حمدًا لله بدأت أتحرك نحوه، عشت تلك السنوات أبني مستقبلًا وأجتهد في عملي حتى وصلت لما أنا عليه. ماذا لو كان أحبَّ نجاحي وساندني؟ ولكن كيف له ذلك، وقد كنت متقدمة عليه في كل شيء؟!

لقد كان تشدده لآرائه يخلق صدامًا دائمًا مع رؤسائه، وثقته الزائدة بنفسه تبقيه في محله فلا يطور من حاله أبدًا، أصبح الجميع يسبقه وأنا معهم..!

آاه ولكن ماذا في ذلك ربما كان هو على صوابٍ، ولم يفهمه أحدٌ، كان يجب أن أبقى بجانبه أؤازره؛ حتى لا يشعر أنني في فريق وهو مع الفريق الخصم.. لقد نظر في اتجاهي، أرى قوس قزح يصل بين عيني وعينيه، إنه جذابٌ كما كان دائمًا قلبي يدق فرحًا لمرآه و.. وأخيرًا فتحت الإشارة، وبدأت السيارات في التسابق والابتعاد..

- لا أرجوك. انتظر. سألحق بك تركتك منذ زمن. أما اليوم فلا لن أتركك فقد آلمتني الوحدة كثيرًا اشتقت لكلماتك الحانية، كانت قليلة ولكنها كانت هنا بجانبي سألحق بك؛ لأنني سئمت من النجاح وأنا وحيدة سأتقبلك بزلاتك. وأنا أكيدة أن الحياة بالتأكيد جعلت منك شخصًا أكثر تفهمًا.

ها قد لحقت به أرى خصلات شعره السوداء الداكنة، تتحرك بفعل الهواء وتحرك نبضات قلبي بفعل الحنين، أكاد أشم عبيره من هنا، أسمع صوته يناديني باسمي؛ فترتجف أوصالي. أوقف سيارته، سأقف أنا أيضًا، وأتشجع وأذهب إليه.

مؤكد، سيفرح لرؤياي؛ فقد كان حزينًا جدًا لفراقي، ولكن مَن هذه التي تقترب؟ إنها شبح لفتاة كانت جميلة يومًا، عيناها زائغتان، طلتها لا تحمل أيَّ أمارات للسعادة هزيلة تحمل طفلًا وبيدها آخر، وحقائب على كتفها تكاد تخلعه وهو مرتدٍ نظارته محدقًا أمامه في العدم غير مبالٍ بما هي عليه..

تراجعت للخلف، تذكَّرت.. تذكرت تلك اللحظة التي قررت الابتعاد عنه فيها وقتها، رأيت تلك السيدة، رأيت نفسي بهذه الصورة، رأيت نفسي منطفئة وبلا حياة.. أشعر بالوحدة أجل ولكنني حية، وقلبي ينبض هرعت إلى سيارتي وقدتها بسرعة وقد قررت ألا أتجول بعيني مرةً أخرى وأنا في إشارة المرور.!.

البقاء

بقلم : أسماء محمد فهيم

كانت تتهادى بين الأشجار تحت أشعَّة الشمس الدافئة متجهةً إلى الجدول القريب، تداعب الغصون برأسها، وتسترق النظرات خلسة على وليدها الذي لم يتم شهره الأول بعد. كانت تريد أن تشعره بثقتها فيه، وأنها لا تراقبه حتى يتجرأ على اتخاذ خطواته الأولى بمفرده.

أدارت رأسها باتجاهه، فلاحظ نظرتها التي حاولَتْ أن تخفيها، فأسرع نحوها يقرب رأسه الضخم من جسدها، فأحاطته بخرطومها الطويل في حنانٍ ليس له مثيلٌ، فشعر بطمأنينة أعطته دفعة ليتقدم بضع خطواتٍ بعيدًا عن أمه.

وصلا إلى الجدول بعد أن أضناهما العطش، فتجرعا الماء بلهفة وشعرا بالرطوبة تسري في أحشائهما، تولد انتعاشًا كانا يحلمان به منذ قليل.

وبينما الأم ترتشف الماء في سعادة، شعرت بدفعة كبيرة من الماء، تنهمر على جانب جسدها، وإذا بهذا الصغير يداعب أمه في مرح ويستدعيها؛ ليبدأ اللعب بالماء كما تعوَّدا. نظرت إليه الأم بحب، وأخذت تغمره بالماء المختلط بحنانها

وأمنياتها له بالسعاده الدائمة، وبينما هما كذلك لمحت بطرف عينها انعكاسًا لوجه تعرفه جيدًا، التفتت بغتة إلى حيث يقف.

كان هناك بوجه جامد، يترصدهما متعطشًا للحظة يبلغ فيها مبتغاه، نظرت إلى صغيرها الذي ما زال يلهو غير مدرك أن الحياة لا تعطينا إلا لحظات سعادة قليلة، أما الآن فلابد أن نصارع؛ لنزيد لحظات أخرى لحياتنا، وآخِر ما نفكر به إذا كانت هذه اللحظات ستكون سعيدة أم تعيسة. فالبقاء هو هدفنا الآن.

في لمح البصر أخفت صغيرها خلفها، والسبع يرمقها بنظرات متحفزة على حافة الجدول. يعرف أنه لن يكون بكامل قوته، إذا دخل إلى الماء بينما هي بقوة بدنها، وضخامة حجمها ستكون أهلًا لهذا الصراع. نظر إليها، وشعره البني الكثيف يتحرك حول وجهه القاسي، ويثير الرهبة في قلبها.

كل ما كان يهمها هو صغيرها الذي لم يهنأ أو يتمتع بعد، أما هو فكل ما كان يشغله تلك القبيلة التي تتلمس الطعام منذ أيام. سيموتون جوعًا يجب أن يبقوا أحياء، حتى لو اضطر أن يسلب هذا الصغير حياته، أما إذا استطاع أن يقتلع أمه منه فسيتركه يعيش.

أما هي فستموت دون وليدها، لن تترك هذا الوحش يحرمه النور، والحياة، وتلك السعادة المطلة من عينيه.

قرَّر الأسد التقدم بضعَ خطواتٍ داخل الجدول، فتراجعت خطوتين للخلف وهي تدفع وليدها الذي بقي خلفها، اقترب الأسد أكثر مصدرًا زئيرًا اهتز له قلبها، فأطاحت بكمية كبيرة من الماء في اتجاهه، تراجع قليلًا ثم عاودَ الاقتراب، فحاولت إخافته بأن ركضت في اتجاهه وهي تدفع الماء نحوه، فاستدار وركض حتى عاد إلى الشاطئ، ووقف في سبات يراقب مرةً أخرى..

- ألا ترحل؟! ألا تبحث عن فريسة أخرى؟! لو لم يكن لي هذا الصغير، لم أكن لأبالي بما ستفعل!

- وأنا أيضًا لو لم يكن لي صغار ما كنت جعلت هذا الصغير، يرتعد خوفًا.

- ولكن صغاري يجب أن يبقوا، فأنا المسئول عنهم.

- وصغيري أيضًا لن يموت اليوم.

رمقها بنظرة صخرية، ثم انقضَّ عليها، غرس مخالبه في فخذها، وتسلق ظهرها حتى أصبح معلقًا بها فهي أمله في إطعام صغاره، وهو كابوسها الذي غرس مخالبه في أحلامها.

حاول مستميتًا التشبث بها؛ محاولًا التقام لحم ظهرها بين فكيه. كانت تتحرك بجنونٍ حتى تسقطه، لا لأنها تتقطع من الألم، ولكن لأنها الآن بعيدة عن الصغير. إنه في خطرٍ الآن.

- ما هذا؟! يا ويلتي! من أين أتى هؤلاء؟! أأحضرتَ إناثَ القبيلة معك؟! لم تكن وحدك من البداية إذًا!

- وهل يهاجم الأسد فيلًا وهو وحيد؟!

- تعالوا إلى هنا. تعالوا إليَّ أنا. إياكم أن تقتربوا منه.

ولكنهم ركضوا نحو الصغير؛ فهبَّت إليه منقذةً، والسبع على ظهرها يعوقها، ولكن وليدها في خطر. تحركت بعنف شديد حتى أسقطته، واتجهت للصغير الذى كان يصارع بلا أمل. فأخذت تضرب بخرطومها وأرجلها يمنة ويسرة في محاولات لإبعاد الإناث عنه فلما وجدوا منها من القوة ما يمكن أن يبعدهم عن طعامهم، انقسموا إلى قسمين بعضهن أحطن الصغير، وأوقعنه وانهلن عليه

بأنيابهن، والأخريات هاجمنها واعتلين ظهرها حتى سقطت أرضًا وهن رابضات فوقها وأنيابهن، ومخالبهن تقطع لحمها.

نقلت عينيها بين الجميع تبحث عنه..

- أين هو؟ استطاع الهرب؟! لا لم يستطع ها هو هناك قد قضي، وها هن يتقاسمنه.

- واااااه! وحسرة على صغيري الذى فارق الحياة وأخذ روحي معه! نظر السبع في عينيها..

- ألن تقاومي؟!

- ولِمَ؟! الموت قادمٌ قادمٌ. فليأتِ الآن. حتى لا أموت ألف مرة على فراقه.

تقدَّم الأسد نحوها، وهي مطروحة على الأرض لا تقاوم، فاقترب من عنقها بارزًا أنيابه وغرسها، وهو يشكرها على منحها البقاء له، ولصغاره!

*تحياتي لحنان الفايد ودانا الخياط..

عودة

بقلم : شيرين سعد

عادت منى إلى منزلها بعد غياب أسبوعٍ كاملٍ، قطعت كل اتصال بكل عائلتها، وفي مقدمتهم زوجها العزيز عادل.

غادرت القاهرة ومكثت في فندق فلسطين بالإسكندرية، كانت لا تغادر غرفتها سوى لتناول الطعام.

أخذت إجازة من عالمها، الذي اعتصرها ولم يُبقِ شيء لتعطيه لأحد، ولا حتى لنفسها، كانت في أمس الحاجة للاختلاء بنفسها؛ لتعيد ترتيب أوراق حياتها التي ضاعت ملامحها بسبب إهمال عادل لها، الذي كان متأكدًا أنها ستظل دائمًا في انتظاره، وتعود إليه مهما حدث.

ولكن في النهاية خارت قواها، وبحثت داخلها عن حبها الذي كان يسكن قلبها ذات يومٍ! لم تجده فاستجمعت شجاعتها، وغادرت منزلها دون التحدث لأحد، لم تعرف كيف فعلتها؟! ولا كيف تجرأت على اتخاذ هذه الخطوة؟!

طوال حياتهم الزوجية، كانت الزوجة المحبة المطيعة التي لا تحب افتعال

أي مشاكل مع عادل، الحياة صارت على وتيرة واحدة، ولم تستطع أن تحتمل أكثر من هذا، هو لم يعد حاضرًا في حياتها، وجف نبع العطاء فسافرت إلى الإسكندرية وعادت بعد أن اتخذت قرار الانفصال عن عادل.

تعمدت أن تعود إلى منزلهما في الصباح؛ لأنها متأكدة أن عادل يذهب إلى عمله لكنها فوجئت بوجوده في المنزل، تسمرت في مكانها وألجمتها المفاجأة. وعندما رآها عادل قفز من مكانه وأخذها في أحضانه:

- إنتي كنتي فين يا منى؟! أنا كنت زي المجنون لفيت على الأقسام والمستشفيات.

نظرت منى إليه وتجمدت ابتسامة بلهاء على وجها، لم تعرف كيف تجيبه؟ لأنها كانت متأكدة أنها لن تراه الآن.. كانت تحتاج لمزيد من الوقت حتى تستطيع أن تواجهه.

هو كان لا ينتظر إجابتها. كان كل همه أنها عادت إليه كما كان يأمُل. أخذ يتحدث عن رحلة بحثه عنها، عن الوحدة والألم الذي كان يحسه بعد اختفائها، كانت تنظر إليه صامتة تبحث عن أيِّ كلمة؛ لترد على سيل الأسئلة التي لم تتوقف..

- إنتي سليمة. إنتي كويسة. أنا مش مصدق إنك رجعتي، هو صحيح إنتي واقفة قُدَّامي ولا أنا باحلم؟ إنتي كنتي فين؟ وبتعملي إيه؟

في البداية، أسئلته كلها كانت تنم عن حبه واهتمامه بها، ولكن بعد فترة الصمت، التي كانت تسيطر على منى، فقدَ هدوءه وارتفع صوته:

- هو انتي مش بتردي عليَّ ليه؟ أنا حأفضل أكلم نفسي كده كتير؟

لكنها لم تنطق إلا بكلمةٍ واحدةٍ:

- طلّقني يا عادل.

بهت من طلبها وأخذ ينظر لها بحدة:

- أطلَّقك؟ مش فاهم!

- أيوه طلقني. خلاص أنا تعبت من حياتنا، ومن تصرفاتك وأنانيتك.

- إنتي بتقولي إيه يا منى؟ إنتي اتجننتي؟!

- اتجننت علشان لأول مرة باقولك اللي حاسة به من فترة، بس كنت بأديك فرصة وراء فرصة ومافيش فايدة.

- أنا مش فاهم انتي بتقولي إيه؟ وليه دلوقتي؟؟

- علشان أنا لما بعدت عرفت إني ممكن أعيش من غيرك، إن الحياة بقت أهدا وحسيت إني أستاهل إني أتعامل أحسن من كده!

- وحُبنا؟!

- حُب؟! هو فين الحب ده؟! خلاص.. خلينا كل واحد يروح لحاله أحسن.

- إنتي أكيد أعصابك تعبانة، إهدي كده ونتكلم بعدين.

- لا خلاص أنا كنت جاية آخد هدومي وأروح لماما. وأسرعت إلى غرفتهما، وأخذت ما تحتاجه وخرجت إلى الصالة، وجدته ما زال لم يستوعب كلامها. وتنفست الصعداء عندما لم يحاول أن يوقفها وتركها تذهب.

الحادثة

بقلم : شيرين سعد

جلست رنا في فراشها صامتة، تنتظر رجوع والدتها من عند الطبيب، دخلت والدتها الغرفة متفادية النظر إليها؛ محاولة منها إخفاء دموعها.

- إيه ياماما الدكتور قالك إيه؟

- كان في أوضة العمليات.

أغلقت رنا عينيها وعادت بذاكراتها ليوم الحادثة المشؤمة، زاهر مرَّ ليأخذها بعد انتهائها من عملها، وكعادتها تأخرت في النزول إليه.

- إيه يا رنا التأخير ده كله؟ ماما منتظرانا في المطعم.

- حاضر. ما أنا نزلت أهو.

وكانا يتبادلان الأحاديث، وفجأةً بدون سابق إنذار، وزاهر يستعد للانطلاق بسيارته بعد أن تأكد من أن الإشارة خضراء. جاءت عربة نصف نقل من على يمينه تجرى بسرعة مخيفة؛ تحاول أن تسبق الإشارة قبل أن تتحول إلى الأحمر، ولكنها اصطدمت بسيارة زاهر وانقلبت السيارة بمن فيها، لم تدرِ رنا ماذا حدث بعد ذلك؟

استيقظت رنا في المستشفى، لا تعي أيَّ شيءٍ من حولها، تحاول أن تفتح عينيها بصعوبة شديدة، ألم شديد أسفل فقرات ظهرها.

- زاهر..

أخذت تبحث عنه حولها، لكنها لم تجده. انحنت والدتها وقالت:

- إهدي يا رنا، زاهر كوبس مجرد رضوض بسيطة.

التقطت أنفاسها وتمتمت:

- الحمد الله.

استعادت وعيها رويدًا رويدًا، وأخذت تتساءل عن الذي حدثَ لها، كل من حولها كان يتهرب من الإجابة.

- ياماما ردي عليَّ أنا رجليًّا مش حاسة بيهم خالص. هو الدكتور فين؟

- حالًا. هاشوفه ياحبيبتي. ارتاحي انتي.

خرجت والدتها من الغرفة، والدموع تملأ عينيها:

- يارب أقول لها إيه دلوقتِ؟ الصبر من عندك يارب! أقول لها ازاي إنها اتشلت؟! يارب خفف عنها يارب، وكمان هو فين زاهر؟؟

بعد الحادثة جاءت سهى هانم والدة زاهر، واصطحبته للمنزل عندما اطمأنت على سلامته، وطلبت من الدكتور السماح له بمغادرة المستشفى.

- يا ماما أمشي إزاي دلوقتي؟ مش أطمن على رنا؟

- هي لسه قدامها شوية تعالى ريح نفسك شوية، وارجع لها.

لم يصبر حتى الصباح الباكر قام، وذهب إلى المستشفى، لكن مواعيد الزيارة كانت انتهت، فرجع إلى منزله دون أن يراها.

- إنتَ نزلت برضو تروحلها، مستعجل على إيه؟

- يا ماما كنت عايز أكون جنبها لما تفوق من العملية.

- إبقى روح بكرة هي الدنيا طارت.

- إيه ياماما إنتي ليه بتتكلمي عليها كده!

- أتكلم ازاي يعني؟ ما انتَ لازم تفوق من اللي انتَ فيه!

- أفوق ازاي يعني؟!

- تفوق يا زاهر رنا خلاص اتشلت مش حتنفع لك، وحتكون عبء عليك. الحمد لله إنك لسه في الأول.. صرخ زاهر مقاطعًا أمه:

- إزاي بتقولي كده ياماما! أنا باحب رنا.

- بكرة تنساها.

هل من المعقول أن يحدث هذا؟! لا مستحيل. لن يترك رنا أبدًا.

وذهب ليراها في الصباح الباكر، ولعدة أيام، ثم توقف عن الذهاب إليها، لم يعرف كيف يتعامل معها؟ أصبحت عصبية وفي بعض الأوقات كئيبة. لا تريد أن ترى أحدًا، نفدَ صبره سريعًا. لم يستطع أن يواجهها، بعث والدته لتبلغها خبر فسخ خطوبتهما.

عندما دخلت سهى غرفة رنا، وجدت والدتها تجلس بجوارها.

- صباح الخير يا رنا.

- أهلاً سعاد.

- كويس إنك هنا تعالي لو سمحتي عايزاكي بره. غابت سعاد خمس دقائق ثم جاءت؛ لتحضن رنا:

- بكره ربنا يبعتلك اللي أحسن منه.

صرخت رنا:

- لا لا لا ثم غابت عن الوعي.

نجلاء تحلم بالجنة!

بقلم : حنان فايد

نجلاء طفلة في المرحلة الابتدائية. ترمق مدرس اللغة الإنجليزية خارجًا من باب الفصل ويخفق قلبها في توتر؛ لأنها تعرف من سيدخل من ذات الباب بعد دقائق. مدرس الحساب. وليست هذه هي المشكلة، وإنما ما سيفعله المدرس اليوم. فاليوم سيعلن المدرس درجات كل تلميذ في امتحان الشهر السابق.

كانت نجلاء خائفة.. خائفة من عقاب المدرس أمام أقرانها، ومن عقاب أبيها أمام إخوتها الذين لن يحركوا ساكنًا. هي تعلم أنها لم تجاوب جيدًا. لكنها كانت تأمل في أن تحصل على درجة النجاح.

دق قلبها بعنف وقسوة عندما دخل مدرس الحساب الصارم ذو الشارب الضخم، ووضع أدواته ومسح السبورة، وهو يلقي التحية. ثم أغلق باب الفصل، فابتلعت نجلاء ريقها وكأنه أغلق منفذ الهرب. وأحنت رأسها في محاولة بائسة للتخفي من الأستاذ!

وضع المدرس يديه على خصره كالعادة وقال:

- درجاتكم تقرف! الله يخيبكم.

ولوح بالعصا في يده وأردف:

- دا أنا هاخليكم تحرموا تيجوا المدرسة مرة تانية.

وكان لا يعلم أن نجلاء، تراقب العصا في يده في هلع، وزادت كلماته رعبها.

أخذت تدعو في ضراعة، وإحدى ساقيها ترتجف ألا تكون من الراسبين.

- يا رب أرجوك.. هاصلي العشاء قبل ما أنام.. يا رب أنجح.

وهنا بدأ المدرس في الحركة، وفي يده كشف بأسماء ودرجات التلاميذ.

انكمشت نجلاء في مقعدها، وهي تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها. وازداد ارتجاف ساقها سرعة. صوت كعبي حذائه.. خطواته الثقيلة البطيئة بين صفوف التلاميذ الجالسة في توجس.

صارت يدا نجلاء باردتين، كالثلج مع كل دقة من دقات كعبي حذاء المدرس المشقق على الأرض المغبرة. وتوقفت الخطوات. ولم تجرؤ نجلاء على النظر خلفها لتعرف عند أي تلميذ توقف. فقط سمعته يقول:

- إنت يا حمار! ساقط بالتلاتة.

وسمعت صوت لطمة .ثم:

- 25 من 60؟ إنت متخلف؟! افتح إيدك.

وانكمشت نجلاء أكثر وأكثر، وهي ترتجف كلما سمعت وقع العصا الغليظة على يد زميلها. والولد ينتحب، وهو يقول بصوت متقطع ذليل:

- والنبي يا أستاذ خلاص كفاية.. والنبي مش هاسقط تاني. والأستاذ يرد بصوت مجلجل:

- لا "وحياة أمك". هاربيك بجد مادام أهلك ماعرفوش.

- أربعة.. هاه.. الإيد التانية.. خمسة.

وتجرأت نجلاء ونظرت خلفها. وجدت زميلها البدين قد التصق بالحائط الأصفر في وضعٍ يشبه القرفصاء، وهو يبكي ويتوسل للأستاذ أن يكف. واحمر وجهه الأبيض المكتظ والمدرس يضربه بالعصا على كتفه وذراعه الممتلئ.

نظرت نجلاء أمامها حتى لا تزيد جمهور المتفرجين واحدًا، وضمت ذراعيها إلى صدرها. أشفقت على زميلها خاصةً، وهو على الأرض وتسمع سباب الأستاذ المقذع.

ثم توقف الأستاذ عن الضرب، وسمعته يأمر التلميذ بالعودة لمجلسه، فسمعت خطوات زميلها المسرعة وصوت نحيبه، الذي حاول أن يخفضه قدر الإمكان .

وعادت دقات حذاء الأستاذ على الأرض، التي كان لها رنين خاص وسط الهدوء المتوجس، الذي غمر الفصل إلا من صوت نحيب التلميذ البدين. اقتربت الخطوات منها، فتقلصت نجلاء وهي تدعو ألا تتوقف الخطوات عندها. لكنها فوجئت بأصابع الأستاذ تطبق على أذنها، وترغمها على القيام.

توجهت أنظار الفصل كله إلى نجلاء، وأحست أنها وسط بحر من العيون السوداء الواسعة المحملقة. لم تنبس ببنت شفة، بينما قال الأستاذ بصوت عال:

- أما انتي.. اصبري علي.

ووجه كلامه للفصل مستطردًا:

- عارفين درجة الهانم؟ 18 من 60! شكلها كانت بتبيع بقدونس على ناصية حارتهم، بدل ما تذاكر!

وضحك بعض زملائها. رغم كل شيء لم تُرِد نجلاء ذكر درجتها أمام الفصل، وآخر شيء كانت تريده، هو ضحك الفصل عليها. كان المدرس يلوي أذنها

ويضغط عليها حتى خُيِّل لها، أنها ستنقطع وتنزف شلالًا من الدماء. وكان الألم يعصف بها حتى كادت تتوسل للمدرس أن يتركها. لكنها لم تستطع. لم ترد الكلام؛ لأنها لو فتحت فمها ستنطلق الدموع من عينيها بدلًا من أن تنطلق الكلمات من لسانها، فآثرت الصمت.

قرَّب المدرس وجهه من وجهها فرأت عينيه الضيقتين من وراء عويناته الغليظة، ولفحت أنفاسه الكريهة وجهها، لكنها سيطرت على عضلات وجهها كي لا يبدو عليه الامتعاض. قال مهددًا :

- إنتِ يا عصاية المقشة! مش هاضربك المرة دي عشان انتي بنت. بس هاعجنك المرة الجاية. اقعدي خيبك الله!

وأطلق سراح أذنها. وجلست نجلاء وهي تكتم أنفاسها؛ لأنها توقعت سيل دموعها مع خروج أنفاسها. وواجه المدرس الفصل كله وقال:

- الاتنين دول بس هما اللي ساقطين. دلوقتي درجاتكم المقرفة. على إبراهيم 38 من 60. منى محمد 39.. درجات تقرف الكلب.. أشرف محمود 51.

وتوالت الدرجات.. وهي تتحاشى التقاء عينيها بعينيِّ أيٍّ من زميلاتها اللاتي يحدقن بها .

شرح المدرس قليلًا بعد ذلك، ثم رن جرس الفسحة. جئن إليها زميلاتها؛ يربتن على كتفيها مواسيات، وبعضهن تأملن أذنها الحمراء في شفقة. قالت إحداهن:

- إيه الدرجة دي يا نجلاء؟ دي أقل درجة في الفصل كله! إنتي كنت بتبيعي جرجير بجد؟!

تناثرت الضحكات المكتومة من حولها، ثم نظرت إحداهن نظرة لائمة للأخريات وقالت:

- على العموم احمدي ربنا إنه ماضربكيش. لكن خدي بالك بعد كدا يا نجلاء، عشان تكوني معانا.

ثم غادرن وسمعت قهقهتهُن؛ لأن إحداهن خطفت عبوة الحلويات من الأخرى. وصارت نجلاء وحيدة تمامًا. انتظرت قليلًا ثم لم تتحمل، وسالت عبراتها في مرارة .

في نهاية اليوم الدراسي، خرجت من المدرسة، وتحاشت الحديث مع أي من زميلاتها. سارت بأبطأ ما تستطيع حتى تؤجل مواجهتها مع أبيها. لقد طلب المدرس إمضاء ولي أمرها على ورقة امتحانها، وويل لها إن لم تحضرها موقعة غدًا. ومن ثم قررت إبلاغ أبيها في المساء قبل النوم.

وفى المساء، ذهبت إلى أبيها الجالس أمام التلفاز يشاهد نشرة الأخبار، وكرشه الفخيم مسترخٍ تحت جلبابه الواسع. وقفت على مسافةٍ منه وفي يدها الورقة. قالت:

- عارف يا بابا أستاذ رجب مدرِّس الحساب؟ أنا مابفهمش منه حاجة خالص! لا أنا ولا زمايلي!

نظر لها في شكٍّ ثم قال وهو يعتدل في جلسته :

- هي نتيجة الشهر طلعت؟

مدت يدها إليه بالورقة، محاولة عدم الاقتراب أكثر من اللزوم ومحاذرة لمسه. انتزع منها الورقة ونظر فيها، ثم رفع عينيه إلى نجلاء وفيهما لمعة الغضب الشرس. كانت نجلاء تغرق في عرَقِها البارد وهي تهمس :

- الأستاذ عايز إمضاء ولي الأمر على الورقة. هابقى أقول له يشرح الحاجات الصعبة أكتر عشان أحل كويس. هو السبب في درجاتي. أكيد عايزنا ناخد دروس عنده!

قال لها وهو يقوم:

- يا سلام؟!

طويلٌ مهيبٌ ضخمٌ.. وفي عينيه نظرة لا تبشر بالخير. نظرة فيها غضب عارم مجنون! نظرة ألفتها. يقترب منها وهي تتراجع. التصقت أخيراً بالحائط الأملس البارد وانتظرت. كانت تسمع دقات قلبها تتعالى. اقترب أكثر ثم بدأت نوبة الجنون. صفعة، تصفر لها أذنها فتترنح، يجذبها من شعرها. تضغط على فكها في إصرار، سباب.. ثم الحذاء.. لا، إلا الحذاء.. بلا تردد يضربها على رأسها بالحذاء المتسخ، وتفكر في أنها تُضرب كما الصراصير. صفعتان متتاليتان. دم يسيل من شفتها، ويدفعها فترتطم بالحائط.. تسقط أرضًا فتتكوم في الركن محاولة إخفاء ما يمكن من جسدها. الحذاء مرة أخرى. ترى قدميه أمامها وتفكر في تقبيلهما؛ لعلها تستدر عطفه فيتركها، لكنها أحجمت.

لماذا تقبِّل هاتين القدمين المكتظتين المشعرتين؟

وفي النهاية رمى عليها ورقة امتحانها وهو يسبها، ويلهث لبذله مجهود ضربها المبرح. قال لها إنه لن يمضي؛ حتى يضربها المدرس غدًا.

قال إنها الغبية وليس الأستاذ. هل قال إنها صرصارة كذلك، أم أنها تتوهم؟

وبعد أن ابتعد، اقتربت منها أختها تواسيها، فرفعت كفها بمعنى أنها تريد أن تترك لشأنها. ثم تسللت للحمَّام وهي تكتم بكاءها. قبعت فيه ما يقارب الساعة حتى تتأكد من نوم الجميع. وفي أثناء هذه الساعة، تأملت جسدها في المرآة.. كدمات زرقاء وحمراء. قطرتا دماء متخثرتان على ذقنها. يدها تورمت وازرقت حتى صارت بشعة المنظر.

متى ضربها على يدها؟ لا تذكر. لقد كانت نوبة جنون!

انسلت في هدوء من الحمَّام، وانزلقت في فراشها الصغير في غرفتها المشتركة مع أختيها. فردت الغطاء على نفسها محاولة عدم إصدار أي صوت. قاومت الرغبة في البكاء مرة أخرى؛ حتى لا تستيقظ منتفخة العينين، فتعرف زميلاتها ما حدث لها ويبدأن أسئلتهن الفضولية متظاهرات بالتعاطف، وستحاول إنزال كم قميصها على يدها حتى لا يلحظه أحد.

كيف ستقول لأستاذ رجب غدًا إن أباها لم يوقع على الورقة؟ فلتكف عن التفكير في هذا الآن.. ستفكر في أشياء أخرى مبهجة.

هل هي حقًا صرصارة؟ طبعًا لا... بل هي زهرة جميلة!

وهل يمكن المشي على السحاب؟ ولم لا؟ ها هي ذي تمشي عليه! تنحني وتأخذ قطعًا منه تنثرها حولها وترميها على الدنيا من تحتها.. تنام عليه فيحتويها في حنانٍ.. ورود زاهية تتساقط من فوقها!

زهرة جميلة..! نعم، هي زهرة جميلة!

جبار الحارة!

بقلم : محسن صالح

كان شحتة جبارًا. كنا ندعوه نحن الصبية باسم عم شحتة، حيث إن الشعرات البيضاء أخذت في غزو رأسه الأصلع، ولكن جبروته لا يزال كما هو مع ضيق في الخلق، ومرض بادٍ عليه تراه في مشيته وطريقة كلامه، وشكل أسنانه التي أنهكها التدخين، وتعاطي المخدرات.

حاول بعض شباب الحارة جس نبضه ومشاكسته. فكان يومًا لم أرَ مثله في حياتي. رأيته، كالأسد الهصور يواجه خمسة شباب بمفرده، وبجسده الفارع والجنزير في يده، يطوح به عاليًا في الهواء، فلا يقترب منه أحد. لقد ترك الشباب الحارة بعد هذا العراك على النفوذ وإثبات الذات ولم أرهم ثانية.

عم شحتة، والذي كانت لديه عربة كارو يعمل عليها مع أولاده في نقل الفاكهة والخضار، عبارة عن كتلة من الافتراءات والجبروت والعنف والشدة في إنسان واحد. لم يحتك بأحد من سكان الحارة، فقد كان يخاف من الكبار ولا يتكلم معهم إلا بكل تبجيل وخوفٍ بادٍ.

كان أبي من كبار رجال الحارة، وكان لا يتكلم مع عم شحتة إلا بإلقاء التحية والسلام فقط، أو الرد عليه.

وذات يوم رشت أمي الماء أمام منزلنا في الحارة؛ طلبًا لنداوة الجو وتلطيف جحيم الظهيرة! بعد قليل دخل هذا المفتري إلى الحارة بعربته الكارو، وتعثر حصانه في الوحل الذي تكون من جراء الماء المرشوش، وإذ به يسب الماء ومن رشه، وكل من يرعاه وزاد في السباب..

لم أرَ في حياتي مثل هذا المشهد! فلم يكد عم شحتة يصل بعربته الكارو إلى نهاية الحارة، إلا ووجدت والدي على رأسه بالسيف في غمده المعدني المغطى بالجلد، وأخذه بضربة خاطفة على رأسه ارتج من إثرها، وأخذ يترنح ثم مال ولم يكد يعتدل، حتى كانت ضربة أبي الثانية من القوة للدرجة التي صرخت من هولها إحدى نساء الحارة.

حاول أولاده الاقتراب من مكان الشجار، فإذا بأبي يخرج السيف من غمده؛ ليبرق في سماء الحارة، كأنه الموت ويهوي به على عريش العربة الكارو ليقطعه نصفين بضربة واحدة كأنها دكة الرعد وجبروته!

تغيرت كيمياء أبي وأنا أشاهده يصول ويجول، ورجال الحارة يكلمونه على مبعدة وعم شحتة يفترش الأرض والدماء تسيل من رأسه، ولا أحد يقدر على الاقتراب من المكان.

مرَّ المشهد، كأنه يوم القيامة وكل العيون عالقة بأبي تتوقع المزيد من الكوارث، ولكن هدات الأمور، وتم حمل عم شحتة إلى المستوصف القريب .

في المساء كانت هناك جلسة عرب حضرها عم شحتة برأسه المربوطة بالشاش، تحدَّث أبي بصوت خفيض في بداية الأمور، ثم ما لبث أن ثارت ثائرته

وكادت أن تحدث عركة، لولا حضور أخوالي وأعمامي ببنادقهم معلقة على أكتافهم، وأولادهم يضعون أيديهم على أماكن مسدساتهم تحت جلابيبهم.

خيم الصمت على المكان وتم تكليف عم شحته بالاعتذار للحارة ولأبي ولنا جميعًا، وترك مبلغ ضخم؛ كتأديب له لزوم صيانة شئون الحارة مثل: الصرف الصحي، وأية اصلاحات أخرى لمواسير المياه، أو أية متطلبات أخرى .

في الليلة التالية، كان أبي عند الطبيب يُعالج من آثار ارتفاع ضغط الدم من جراء هذه الحادثة، وأمي تدعو له بالشفاء، وتدعو على من كان سبب العراك بالويل والثبور.

مضت بنا السنوات العشرون في الحارة، والكل يعمل لنا ألف حساب ولا يقترب منا حتى بعد وفاة والدي.

لم تكد تمر عشر سنوات على هذه الحادثة حتى أصيب عم شحتة بشلل نصفي أقعده عن عمله، وكان يقوم بعمل جلسات كهربائية وعلاج طبيعي، ولكنه توفى غير مأسوف عليه، خاصة وقد خاصم الكل، وأضر بأخواته البنات اللائي سرق ميراثهن وأموال أبيهن.

أتذكر هذه الأيام، وأنا أرنو ببصري من شرفة شقتي في الدور الخامس في عمارة الحاج نصر، وأسترجع أيام زمان.. أيام الخير والحب، وأيام الجبروت كذلك.

أيام مرت وولت كأنها قطار يسير ويمضي. وإن كان ضجيج أحداثها لا يزال يدق في صناديق أدمغتنا حتى الأن.

فهل يا تري سننسى الماضي، أم أنه سيخرج من بين خلايانا، ويعكر علينا حياتنا الحالية، والقادمة؟!

ستي حميدة!

بقلم : محسن صالح

كأنه حلم، الساعة الثانية عشرة ظهرًا. صرخات على رأس حارة الطنطاوي، حيث نسكن، الحارة عريضة وممتدة تحس كأنها شارع رئيسي من عرضها، والبراح الذي ينتابك ساعة دخولها. تنتهي بمنزلٍ قديمٍ مبنيٍّ من عروق الخشب القديمة، مكون من ثلاثة أدوار حيث تتماس مع الشارع المواجه لها عند هذه النقطة.

المنازل تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة، الوفاء يجري بين أهالي الحارة وسُكَّانها، كالهواء الذي يتنفسونه في الصباح والمساء وكل الأوقات. الحب والاحترام نبتتان تنموان بين الأطفال، ويشرف على زراعتهما الكبار، فلا تجد سوى الأدب الجم والاحترام.

نشأت في هذه الحارة صغيراً، تتلقفني أيادي الستات الكبار ومنهم ستي حميدة، التي كنتُ أقبِّل يدها الضخمة، فتربت على رأسي الأسود الصغير، وتناديني بكلمة "شيكولاته". أمي تحترمها جدًا وتقبِّل يديها أينما رأتها، وبخاصة بعد زواج ابنتها من أحد قرائب أمي.

الساعة الثانية عشرة وجلسة الستات الكبار الصباحية منعقدة على رأس

الحارة، حيث هناك ثلاث درجات من السلم الحجري قديمة تتراص بجوار بعضها البعض، يجلسن عليها يتحدثن وهن يحركن رؤوسهن ويتبادلن الضحكات، وعصافير الهدوء والوئام تحلق فوقهن! كنا لا نلعب مُطلَقًا ونحن صغار، إلا حينما يغادرن المكان.

الصرخات عالية ومنطلقة من رأس الحارة، ستي حميدة، أغمى عليها.. وسقطت وسط النساء، تكهرب الجو وتزلزل المكان، انطلق الرجال من جوف الحارة إلى حيث تجلس الستات ليحملوا ستي حميدة من يديها ورجليها ويدخلنها منزلها.

تركت أمي المنزل، وتركتني مع أختى الكبري سامية، التي كانت شديدة الحنو عليَّ كأرنب صغير شديد الحركة صعب المراس- تركتني والدقيق يملأ وجهها وملابسها كلها، والدموع تبلل كل شيء، عادت بعد لحظات شديدة البكاء، يسمع لصوت بكائها نشيجٌ يهز جسدها كله.

الخطوات داخل منزلنا سريعة ومرتبكة، أبي حضرَ من عمله مسرعًا وهو يلهث، تكلم مع أمي وأنا لا أفهم شيئًا مما يقولان سوى:

"سكتة قلبية، الدكتور، ياخسارة.. إلخ من الكلمات التي استطاع عقلي الصغير فهمها.

الدموع تترقرق في عيني أبي، والذي أراه يبكي لأول مرة في حياتي، أمي كانت تحكي دائمًا عن خصال ستي حميدة الطيبة، والتي كانت تسهر على راحتنا، وتوقظنا في سحورنا في الشهر الكريم، وتطعمنا من طعامها، وتمد أحيانًا يدَ المساعدة لنا، حينما يضيق بنا الحال، تدس المال في يد أمي وهي تقول لها:

- إنتي زي بنتي.

كانت ستي حميدة ممتلئة الجسد خفيفة الحركة والروح، تعافُ الحديثَ عن الغير، لا تترك الصلاة أبدًا، وتحفظ القرآن كاملًا، وكان صوتها حلوًا جدًا في قراءة القرآن وترتيله.

كنت أحب الحلوى التي تخصني بها، وأهوي على يديها تقبيلًا، فتضحك وهي تناديني باسمي المفضل عندها "شيكولاته"؛ فيحمر وجهي.

صوان العزاء يمتد في شارع شوقي عبد الرحمن، والذي يلتقي مع حارتنا، حارة الطنطاوي. البكاء والصراخ والحزن المكتوم، يخنق الأجساد والعيون فلا ترى هناك إلا ضبابية الأضواء ووميضها من بين رقرقات الدموع، وكذلك أشباح القادمين للعزاء الذين لا نتبين ملامحهم كما نعرفها.

أبي، كالنحلة في كل مكان يخدم المعزين حتى انتهت هذه الليلة الليلاء، ولم تتوقف الصرخات التي تومض من بين رماد الحزن طوال الليل قادمة من منزل ستي حميدة، وأبي يستيقظ؛ لينظر لنا بعينين كالجمر من البكاء وهو يقول:

- اللهم تغمَّدها برحمتك وخفف عنها الحساب في أول ليلة لها في قبرها، وحتى يوم القيامة آمين.

عم محمد شعبان

بقلم: محسن صالح

دائمًا، أراه بوجهه الأسمر النحيف وعصبيته البادية، قصير القامة، عنيد الرأس، صعب المراس. يقهر دائمًا أولاده ويعاملهم بشدة بادية، كأنما يعامل الغرباء الذين لا يعرفهم، لَكَمْ سمعت أبي وعمي يعبران عن استيائهما من مسلكه هذا. لم أره يومًا على حالة من السكون والهدوء كما كنت أرى عم حامد البقال، الذي لا يغيب صوت إذاعة القرآن في خلايا دكانه، بل نسمعه حينما نعود إلى المنزل، ونحن نفتح لفافات الطعام الوفير الميزان الذي يقدمه لنا وهو مبتسم الثغر.

عم محمد شعبان لا يضحك أبدًا، المرة الوحيدة التي رأيته يضحك فيها، كانت عندما نجح ابنه عمر في الابتدائية، ساعتها ضحك وأعطاني لأول مرة كوبًا صغيرًا من الشربات، شربته وأنا فرحان.

مرت السنوات، وإذا بي أجد عم محمد شعبان يمشي وبه عرج خفيف وانحناءة في الظهر بادية للعيان، حتى إذا جاء ذلك اليوم المشهود، شاهدتهم يحملونه من محله، ذلك المحل الذي كنا نطلق عليه "محل البخل"! حملوه

إلى عيادة الطبيب التي تعلوه، ذلك المحل، الذي يتسع من الأمام حيث تلوح المرايات على الحوائط مع الإضاءة، التي تجعلك تحس بأنك دخلت محلًا ضخمًا وكبيرًا، ثم لا تلبث أن تراه أمامك بقامته الصغيرة وأنفه الدقيقة، وتكشيرة تعلو محياه لازمته واستقرت من دوام سخطه على من حوله.

بعد أسبوع من الحادثة وجدت ابنه الكبير شمس يفتح المحل، ثم أُغلق المحل على مدار شهرين، حيث علمنا أنه أجرى جراحة لتغيير الشرايين في القلب، كادت أن تودي بحياته. عاد عم محمد شعبان، وهو يتوكأ على عصاه ويرتب أجزاء المحل، وبعض الكلمات القليلة يرددها في تحركاته، ثم لفت نظري سماعي لصوت إذاعة القرآن ينطلق من جوف محله، حيث يبيع الخردوات والإكسسوارات المختلفة. تنطلق بقايا رائحة البخور كالسحاب في سماء المكان! لاحظتُ الانكسار في عينيه وارتعاشة في إحدى يديه، ولكن البسمة نورت وجهه كضوء مرايا المحل، سلمت عليه، وأنا أهم بتقبيل يديه فردَّ عليَّ:

- الحمد لله.. الحمد لله على كل شيء، قدَّر ولطَف.

بعد أن كان الناس ينفرون منه، وجدتهم يقبلون عليه، ووجدت لأول مرة الكراسي تتراص أمام محله، وفي الجزء الأمامي من مقدمة المحل الحوارات لا تنتهي يقطعها من حين لآخر رنين ضحكاته، فالتفتُّ إلى أبي الذي يسير معي بالقرب من المحل، فيقول:

- لا تتعجب يا بني، المرض بيغير كتير!

نجح ابنه عمر في الإعدادية، ونجحت أنا كذلك لنتلاقى في الثانوية العامة بمدرسة أحمد لطفي، ونغترف من حدبه واهتمامه ومحبته لنا وللغير، كما كان يحدوني باهتمام خاص بعد وفاة والدي، وأنا في الصف الأول الثانوي.

في صباح أحد أيام الجمع، جاءني ابنه عمر وهو ينهج، علمت من بين لهاثه أن عم محمد شعبان مات، شاء الله لي أن أراه بعد الغسل، وأرى وجهه المضيء كالبدر، بكيت وظلال ابتسامة تملأ وجهي وأنا أقول لـ عمر:

- أبوك في الجنة، شايف الوش منور إزاي!

بكيت كما لم أبكِ قَطّ، وكأنني أبكي فراقه وفراق أبي معه، دفناه وعدنا، فأخذت عمر معي، وأنا أتذكر كلمات عم محمد شعبان بأن "الحياة رحلة، ولكل واحد منا يوم للرحيل".

جلبة

بقلم : محسن صالح

الساعة السادسة صباحًا. تأخذ الأصوات في الارتفاع قليلًا، تملأ مسام الجلد في تنفُّسٍ حارٍ ومستمر وعنيد، أبخرة النوم لم تغادر جفون العينين بعد، فقط تهويمات الحلم الرابض على أركان النفس لا يزال يأخذ بخناقها، الأصوات المترامية إلى كأنها الحلم الذي أراه وأستمر فيه ولا أريد أن أنهيه أو أختمه. الأصوات الصاخبة تدق على جنبات المنزل من الداخل. تدق دقات رتيبة في تدفق عجيب عنيف وشديد يأخذ في الاندفاع على نحو سريع وصاخب، كدقات الأجراس العالية الحادة التي تصم الآذان.. أصوات الأشياء من داخل المنزل تعلو في جلبة، يتبعها هرج ومرج وتحركات سريعة ومكتومة، لأقدام تنطلق من المطبخ العريض إلى حجرة النوم مرورًا بصالة الطعام تأوهات عنيدة تصر على الارتفاع، تحثها أصوات أخرى خافتة.

فجأة ينطلق صوت صراخ حاد وعنيف. إنه صوت الأم في أنات تدق الضلوع وتضرب جنبات الصدر. الأنفاس اللاهثة تدفع خطوات كل من في المنزل: الأم، البنتين والولدين، خمسة أشخاص يعانون اللحظة بكل جنباتها وتأوهاتها. يندفعون

جميعهم إلى حجرة النوم، الكل يريد أن يساعد، أو أن يعرف ماذا يدور هناك؟ تصعد الأكف إلى الوجه تكاد تمزقه من القلق والرجاء، النظرات الحيرى بين أن تدرك ما يحدث وتستوعبه وبين ألا يحدث مكروهٌ له، القلق يملأ المعدة، ويملأ جوف المكان أيضًا، الأيادي ترتعش من التوتر ومما هو قادم. ابتعاثات الأمل يخنقها صراخ المكان وتوقعات تنذر بما لا تُحمَد عواقبه. أصوات تتردد:

- بابا.. بابا.. بابا..

يندفع الجار عم فوزي في ملابس الخروج، عريض الوجه، عريض الكتفين، رأسه أبيض الشعر، إحدى عينيه شبه مغمضة. يترك دراجته أمام باب المنزل على غير ترتيب. يدلف إلى الداخل في حذرٍ. ترشده الأم إلى سرير الوالد. المسافة من الباب الرئيسي تمتد كأنها عامٌ. خانقة هي الحيطان، ثقيلة كأنها أحجار كئيبة تجثم على الجميع!

يرتفع السرير الحديدي بأعمدته في سماء الحجرة رمادية اللون. أرض الغرفة عارية إلا من السجادة المعتادة التي حال لونها.

يد عم فوزي تندفع إلى الصدر – صدر أبي- تتحسسه وفي لهجة سريعة، وحازمة يقول:

- عصير ليمون بسرعة أرجوكم أرجوكم..

تندفع يد عم فوزي إلى الصدر تدلكه في رغبة عنيدة في إفاقته، ذلك الصدر الذي ينازع اللحظات الأخيرة له في هذه الدنيا. صوته ينادي في رجاء يشوبه القلق وعينان تتحركان في نظرات زائغة:

- عم خضير.. عم خضير.. رد علي.. رد علي.. عم خضير..

الأصوات تخرج من قمقم الترجي، ومن الرغبة في ألا يحدث مكروه. ندى

الصباح بلل الأسياخ الحديدية، التي تغطي شباك الحجرة الرئيسية التي تطل على الحارة، الصدأ آخذٌ في الدخول على هذه الأسياخ واستحالت بعض أطرافها إلى اللون البني الغامق. صرير هواء الصباح حاد، إنه شهر يناير الذي يبطش بقدميه الكبيرتين المكان، ويذلنا مساء ونحن تحت الأغطية التي تكاد تدفئنا!

جميع أرجاء المنزل يحوطها صمت مخيم ومقيم في لحظات كلها رجاء، وفي انتظار أن تتحقق المعجزة التي يظن كل من بالمنزل أنها لن تكون. المكتوب مكتوب. هذا هو عنوان اللحظة الغاضبة الحزينة. المكتوب قاسٍ هذا هو عنوان المكان! المكتوب مكتوب هذا هو لسان الحال!

ينطلق صوت مخنوق من داخل الحجرة، وقد كسرت حروفه العبرات فلا تفهم حروفه إلا بالكاد:

- عم خضير مات. عم خضير مات، عم خضير مات..

يرتج المنزل بالعويل العالي والمخيف. الحيطان تهتز من الصراخ. الأرض ترتج من العبرات أصوات الكل في نشيج غير منقطع، وصرخات عالية جدًا، تسقط أختي الكبرى، ويغمى عليها في الحال وهي تولول، أخي يضرب يديه في الباب الخشبي؛ لعله يهدئ مما ألمَّ به، أهالي الحارة يندفعون في غير ترتيب، أقدامهم تدهس كل شيءٍ، والنظرات الحائرة تملأ العيون التي لا يزال يغطيها النوم. الحشود تتجمع وكأنها أيادٍ حانية، تتحسس رأس طفل صغير يبكي في طريق خالٍ من المارة تاه منه أبواه!

الأصوات تتداخل مع البكاء، ومع العويل، ومع الكلمات:

- الله يرحمه، عم خضير. الله يرحمه. الله يرحمه..

وهكذا تنطلق دوامة الموت؛ لتخطف غاليًا، وتترك الكل في حزنٍ تبتلعه

لحظات قادمة غريبة والكل لا يعرف متى ستحين ساعته؟! هل هي الآن أم بعد ساعات، أيام، أسابيع، أو حتى أعوام؟ الكل ينتظر قدره الذي لا يعرف له موعدًا، وهو يضحك من تصاريف الحياة، أو يبكي..

صورة معاطي

بقلم: محسن صالح

الحارة في ساعة العصاري، كأنها بوابةٌ من الجنة فُتِحَت عقب انغلاق ممر صعب من لهيب الظهيرة، اكتوت منه كل الكائنات الحية في حارتنا، فراخ ستي سنية، التي تركن في ظل مدخل الباب وقد تدلَّى لسانها بحثًا عن الماء، حصان عم عبد الرحمن، الذي يصهل لمقدم أفعوان الظهيرة ويحاول التواري في أي مكان توجد فيه نسمة هواء، خرفان ستي أمينة، التي تكاد تُشوى من لفح شمس المكان.

صبية الحارة هم وحدهم من يتحدون هذا اللهيب، ويجرون يمينًا وشمالًا في محاولة لاستقطار كل لحظة من لحظات النهار، وكأنهم يسابقون الزمن في لعبهم وجريهم ولهوهم، حتى لوكان ذلك في معاندة عجائز المكان.

المياه المتدفقة من خرطوم المياه القديم، تلطف من حرارة المكان وهي تحتضن ذرات تراب الحارة في عناق كله اشتياق وتشبث حتى الثمالة. أقدام الطيور، تدق في قلب برك المياه الصغيرة في فرح جذل بعده تحرك أجنحتها، وكأنها

عقاب ضخم يهم بالطيران، تتبع هذه الحركات صيحات كأنها، غناء موال الوفاء للماء وتأثيره السحري على الكائنات.

ستي أمينة تجلس على عتبة الباب، كأنها كتلة صغيرة لا يرى إلا شعرها الأبيض، الذي يلوح من تحت طرحتها السوداء وظهرها المنحني، كأنه ظهر طفل صغير، تنظر إلى أطفال الحارة وهم يمرون أمامها في تلكؤ غريب تنادي على أحدهم؛ ليشتري لها شيئًا من عم عبده البقال على رأس الحارة.

تدلف إلى داخل منزلها؛ لتغيب في بطنه ساعتين ثم تخرج بعد ذلك وفي يدها علبة معدنية ملونة صغيرة تفتحها، ثم نسمع صراخها ونحيبها العالي، فيظن الجميع أن ثعبانًا ما تسلل من منزلها الخشبي ويهددها أو عضها، يهرول لها أهل الحارة من الكبار والصغار. هبط أبي مسرعًا على ارتباكٍ واضحٍ في حركته، وهو يترنح بعد انتفاضته من نومه وهو يصرخ عليَّ:

- في إيه؟ إيه اللي حصل؟

درجات السلم الحجرية تكاد أن تنخلع من أماكنها، وأبي يقفز عليها، حتى يقف في وسط صالة المنزل في الدور الأرضي. يصل إلى باب المنزل الخارجي؛ ليفتحه بسرعة وهو يتجه صوب مكان صراخ ستي أمينة.

عم فوزي، وعم شعبان يهرولان في ملابسهما المنزلية، ويلحقان بأبي، وهما يستفسران عن سبب صراخها وما حدث.

يلمح الجميع الصورة في يدها، إنها صورة معاطي ابنها الذي مات غريقًا في إحدى قرى الدلتا، حينما كان يعمل مدرسًا. مات غريقًا! لقد قتله كسوفه حينما تولى بعيدًا عن مكان السباحة اليومية، حيث كانت الفتيات يجلسن على

الشاطئ؛ لغسل الحلل والصحون، لينزل في مكان غير المكان، وتسحبه الدوامة ليغوص في عمق النيل.

التفت النساء بسرعة حول ستي أمينة، وهن يضعن الصورة ثانية داخل العلبة ويحتضنها، ويحاولن تهدئتها. والدعاء بالرحمة لمعاطي.

استعدت هذه اللقطات، وأنا أرى حجرة ستي أمينة تتناولها معاول الهدم؛ لكي يتم إنشاء منزل مكان بيتها الملاصق لدارنا. أتذكر ذلك ولسان حالي يقول بعد ثلاثين عامًا من هذه الحادثة، وقد ترك الحياة من ترك وغادرها من غادر:

"سبحان مَن له الدوام!"

أم الجدايل

بقلم : راما صلاح

شعرها الطويل المجدول بالفطرة يتدلى من جسدها الممشوق الفاره، ليضفي على ترعة القرية جمالاً فوق جمالها مما يجعل الترعة تعكس ضوء الشمس مع لون الخضار فتتحول للوحة فنية متجانسة ومكتملة الأركان. إنها شجرة "أم الجدايل" كما يُطلِقون عليها أهل القرية.

مرت عليها الحلزونة ذات يوم وقالت لها في تعجب: "ألا تخشين الدنيا يا أم الجدايل؟ أراكِ منطلقة ومتفائلة، تنشرين بهجة في كل الربوع برغم كل الظروف المحيطة"

ردت عليها أم الجدايل في شغف: "أنا بنزل ترعتي اللي بغسل فيها شعري يوماتي من كل شكل ولون.. فيه اللي بتغسل الصحون واللي بتحمي الواد واللي بتسقي البقرة واللي بتعوم وتسرح في الملكوت واللي بتاخد من خير ترعتي والمياه اللي بترويني يوماتي"

وأكلمت حديثها المشوّق: "برغم إن مياه ترعتي ساعات كتير بتتسخ وساعات ما بتتشرب وبرضو ما أنكرش إن ساعات كتير بتكون جنة، وبرغم كده لا عمري شِخْت أو اتبدلت ولا سمحت لليأس يكسرني ويحني ضهري".. ثم

أكلمت: "رأيت في المؤذي درسًا وفي أي حد أخذ خيري زكاة عن نفسي وعفيتي وعشان كده لا عمري شِخْت ولا اتبدلت ولسّاني صبية وبكبر كل شتوية وشعري بيطول بين نهار وعشية".

ردت القوقعة بأسى وحزن مكتوم مصحوب بخيبة أمل: "أنا يا أم الجدايل بخاف من ظلي وأتحامى من العدو بغطاء وأفضَل خايفة حتى وأنا تحت الغطاء.. ومع ذلك عمري ما كبرت ولا اتبدلت ولا القوقعة ضمنت لي ساتر".

أم الجدايل ردت عليها بغضبٍ وأسى على حالها البائس: "وإيه اللي حينوبك من كل وجع القلب ده؟ سيبتي الكون الكبير ده كله بكل جماله وتحدياته وأحلامه ومفاجآته لجل تتحامي في قشرة وفي الآخر لسّاكي مرعوبة وخايفة!!"

ردت الحلزونة وهي بتدمع ومقهورة: "ظنيت إن الصومعة حتضمن لي حياة في وسط كون كبير مخيف ولا ويرحم .. وهو الخوف اللي اتزرع جوايا مع القوقعة خلاني متعلقة، ما بحاولش أحلم ولا أطير ولا أكبر ولا أعيش. الحلم اللي جوايا سجين محبوس جوة شرنقة متبشنقة. حلم محدود ما يقدرش ينطلق ويطير ويكبر زيك"

وأكلمت حوارها بنبرة مكتومة وحزينة: "ما كسبتش على أدّ ما خسرت حالي ومحتالي وكل ما أمشي خطوة خوفي يرجّعني خطوتين وينتهي بي الحال جوة الشرنقة من تاني"

ردّت أم الجدايل بحب ونبرة حانية واعظة: "أصل طول ما الواحد بيقول يا حيطة لميني، لا حيطة بتستر ولا مخلوق بيجبر.. رأس مالك عفيتك وحريتك وانطلاقك وحبك للحياة.. ده الخوف ما بيمنعش الموت يا بنتي.. الخوف بيمنع الحياة"

بائع الورد

بقلم : راما صلاح

عم أحمد بائع الورد كان صاحب محل ورود معروف بالجيزة، وكان دومًا الورد عنده مرصوص كسيمفونية لحن جميل متجانس الأركان. وكان "عم أحمد" كما يطلق عليه أهل المنطقة يتفنن في رص الورد ويتفانى في الاعتناء به.

جاءته ساكنة مستجدة في المنطقة، وكانت تلك المرة ثالث مرة تتعامل معه، ولكنها كانت تبدو مغتربة من الشام.

"الورد دايمًا حلو وجميل يا عم أحمد.. بس يجي عندي ويصير له ثلاث أيام ويدبل" قالت المرأة في أسى.

"يا مدام الورد بيتقلع من جذوره يا مدام.. من بيئته وأهله وحاله ومحتاله.. يومين وما يستحملش.. يموت على طول".

ثم أكمل عم أحمد: "أنا صاحب الورد.. ممكن يطول معايا بحكم خبرتي في الورد وحبي ليه. الورد بيحس يا مدام ويتفاعل زي البني آدم تمام".

"فعلاً يا عم أحمد!" قالت المرأة في تعجب

"آه طبعًا"رد عم أحمد بثقة وهو يعدل قوامه المنحني: "كلمي الورد وطبطبي عليه وحيحس بيكي.. بطلي تسألي وحيموت"

سرح عم أحمد لبرهة وتذكَّر اليوم المشئوم الذي ترك فيه أهله. تذكَّر ذلك اليوم الأسود الذي تبدل فيه مصيره وفقد فيه جذوره وهويته وحبه للحياة.

مر يومان وجاءته المرأة القاطنة لعمارة الجيزة ثانية تتساءل عن الورد وعن عم أحمد.

"أهلين عم أحمد.. كيفك، أنا جيهان اللي ساكنة في عمارة الجيزة اللي قبالكم وكان بدي بلفة حلوة من إيديك الحلوين"

التفت عم أحمد ليرى وجهًا أبيضَ صابحًا كالورد الأبيض النادي في صباح مشرق جميل، ولاحظ نظرة الأسى التي كانت تبدو خلف عينيها اللوزيتين.

شعر عم أحمد بأنها في عمر الزهور ولكن تحمل في قلبها حزن دفين وعلي ما يبدو أنها شامية تحمل قصة أسي.

أراد عم أحمد أن يروي لها قصة حياته المأساوية.

"أعرفك بنفسي. أنا يا بنتي بشتغل هنا من سنين.. من عشرين سنة.. واستطرد قصته في حزن:

- "أنا جوز أمي قرر إنه مش عايزني معاه في البيت، وأمي للأسف الشديد وافقته". ثم أكمل قال بصوت مكتوم والدمعة عالقة في عينيه السمراوين: "تخيلي لما شجرة أو فرع يلفظ وروده أو فاكهته قبل ما تكبر"

"عادي يا عم أحمد" -ردت جيهان- "انا وبيّي وعيلتي كنا عايشين بجنوب

سوريا ومبسوطين وكان عندنا أرض كبيرة وزرع كتير".. أكلمت: "إجت الحرب المنحوسة وأخدت كل شي.. كل شي راح بين ليلة وعشيية واضطرينا نهرب لأي بلد إلى أن استقرينا بمصر"

"كلنا ورود يا عم أحمد بننقلع يا بنقرر نعيش في تربة تانية تأوينا يا بنضل في تربتنا وبيمشي الحال" ردت في أسي.

"صح يا بنتي، هي الحياة كدة يا بتطردك يا بتضطرك تغيَّر عيشتك" رد عم أحمد واستكمل: "بس بنبقى عايشين دايمًا بِنُص قلب أو الحياة بتموِّت فيكي حاجات كتير قوي زي الوردة لما بتموت بس بتفضل ريحتها"

"ساعات بعيط على السنين اللي فاتت وأنا، وحيد وساعات حبي لاولادي ينسيني قسوة جذوري ويثبتني على الأرض ويحسسني إني لسه عايش" استكمل عم أحمد حديثه الشيق وهو يلف لها أحلى باقة في المحل. فقد كانت أول مرة يتكلم من سنين عن حاله بهذا الصفاء الروحي وهذا الصدق.

تأثرت جيهان جدًّا بما قاله عم أحمد وحديثه المشوق الثري، ورأت في كلامه حكمة قد يفتقدها أكبر المحللين والمديرين. كلامه لمس روحها وحالة الشجن والحنين لأرضها التي كانت تشعر بها، ولكنها رأت في عم أحمد الأب الذي لا تخشى أن تبوح بضعفها أمامه.

ذهبت بيتها متأملةً في حال الدنيا وفي حالة نشوة وصفاء ذهني غريب. فتحت اللاب توب وكتبت حالة على الفيس بوك تقول: "نحن جميعًا ورود تتوق لأن تعيش مزدهرة و متألقة، ولكن عالمها القاسي يقتلع جذوره تارة أو تجف تربته تارة أخرى.. عالم نتوق أن نعيش فيه بجذور حقيقية تمنحنا القوة وتشعرنا بالأمان والحب والحنان.

نعيش في عالمنا هذا بنصف قلبٍ، ولكننا نعيش و نموت بداخلنا أشياء كثيرة ولكننا نأبى أن نموت.

ما بين الموت داخليًّا وصراعنا لنعيش ستبقى الحقيقة المؤكَّدة؛ أننا نحلم بأن نظل دومًا ورودًا مُزدهرةً في بستان الحياة، ونثور داخليًّا حتى نحافظ على نضارتنا ووهجنا وحبنا للحياة. نحارب لكي نظل ورودًا أو شِبه ورود".

التاج انحفى

بقلم : راما صلاح

هذا السؤال اللعين بات يحاصرني كخيالي منذ نعومة أظفاري!

- يا مرايتي يا مرايتي. مين أجمل منِّي؟

وترد مرآتي بحدة مطلقة:

- هناك مَن وجهها أبيض كالثلج، وفمها أحمر كالكرز!

ولكنني لم أكن بيضاء، ولا فمي مكتنز وجميل كالكرز. أنا فتاة عادية بل وأقل من عادية أيضًا.

كنت دومًا أحاول أن أعوض قبحي وضعفي وقلة حيلتي بالمذاكرة والاجتهاد حتى إني كنت دومًا الأولى على الفصل، وحتى في الجامعة.

كلما أخلد لذكرياتي أشعر بألمٍ وحسرةٍ. كان الأولاد دومًا ينادونني بأبشع الألفاظ، وكنت أذهب إلى بيتي، وأهرع إلى غرفة نومي، ووسادتي تشهد على دموعي التي تمتلئ بها كلَّ يومٍ.

وكبرت وكبر همي معي، كالحمل الثقيل إلى أن تخرجت في الجامعة وعملت بشركة مرموقة ووظيفة مرموقة.

كان أول يوم لي كسكرتيرة في إدارة التسويق لشركة مياة غازية معروفة.

حاولت أن أبدو أكثر جمالًا وحيوية، وأتخلص من عقدة الدمامة التي كانت بمثابة حمل ثقيل على عاتقي أحمله معي أينما ذهبت.

- صباح الخير يا أستاذ نشأت.

- أيوه. صباح النور. إنتي مين؟

- أنا حضرتك السكرتيرة الجديدة اللي عينوها، مَلَك عبد الله.

- إنتي!

جاوب باندهاشة وتعجب منقطع النظير، ورأيت وجهه يشتاط غضبًا وصرخ في وجهي:

- يا علي.. مش أنا كاتب شرط إنها تكون حسنة المظهر! مين دي؟!

تلعثمت وتاه الكلام مني، وتاهت أحلامي وآمالي وانهارت أمامي وانكسرت في ثانية، ولكنني حاولت أن ألملم شتات نفسي، وأبدو متماسكة وواثقة.

- بسس لو ششفت ششغلي حضرتك حتغير رأيك أكيد.

رمقها بدهشة ممزوجة بحالة من القرف..

- أما نشوف!

أتذكر يومها اشتغلت بكل همة وإرادة وغضب، يكاد يحرق البر والبحر. كنت أشعر بغِلٍّ وثورة عارمة على هذا المجتمع القاسي والظالم والقاضي غير المنصف، والجلاد الذي لا يرحم!

عملت كما لم أعمل من ذي قبل طيلة حياتي، وكل كلمة وجعتني في حياتي كانت بمثابة كرباج لي؛ لأجري في عملي وأرمح وأثبت نفسي كإنسان قادر على كل شيء، ويستحق كل حسنة وتقدير.

- أهو ده الشغل حضرتك. شوفه كده وقرر إذا كنت كفئًا إنك تثبتني ولا لسه هتدور على حسنة المظهر؛ عشان تنورلكوا الشركة.. سلام.

نمرتي مع مدير التعيينات، لو قررت إني هاكمل يا ريت تعرفوني.

تركتُ العمل، هائمة على وجهي والأفكار تحوم بعقلي كالنحلة الثائرة والتائهة منتظرة أصغر موقف لتقفز في وجه أحدهم لتلدغه، وفي كل واحد يعتقد أنني لست جميلة، وأنني لست جديرة بالحياة السعيدة. وأن المرأة الجميلة الممشوقة ذات الشعر الغجري والعينين الزرقاوين، والنظرة الهائمة والمرحبة ذات السلوك المغري، مثل بائعات الهوى والتي تصدر عهرها حتى تعمل وترتقي وتتزوج وتنجب، جديرة عني بالحياة الكريمة والتقدير والاحترام والقبول.

دخلت بيتي متعبة مرهقة وشاحبة اللون.

- مالك يا ملوكتي.

تساءلت أمها في حيرة وقلق.

ردت على أمها بصوت مخنوق و دموعها محبوسة في عينيها:

- المدير يا ماما مقتنع إن الشغل كان عايز حسنة المظهر، وإني غير جديرة بالشغل.

واستكملت بصوت مجروح ومكتوم:

- أنا غير جديرة بالحياة يا أمي! وآسفة يا دنيا بجد!

قالت كلماتها، وهرولت إلى غرفتها، وامتلأت مخدتها بالدموع، ولكنها كانت أمطارًا منهمرة هذه المرة، وخزين قهرة سنين حملته على عاتقها، ومشت بشرف وتحملته حتى تعمل عملًا لائقًا، وتتزوج بزوج مناسب، وتفرح وتعيش.

رأت كلبها ماكس يهرول إليها يحضنها بخوف وبحب عميق وقلق. أحست

بصوت عويل ماكس، وحضنه يحتويها ويربت على قلبها العليل، ويملأ فراغ نفسها ووحدتها وكأنه يقول لها لا تخافي. أنا معك وحولك وبحضنك. لحظتها أحست أن مرآتها، كلبها ماكس، الذي أحبها من كل قلبه. ليس بعينيه ولكن بقلبه. لحظتها أطلقت سراح دموعها السجينة، فانهمرت في لحظة شجن وسعادة في آن واحد.

- ما تخافش يا ماكس. أنا فلة يا جميل. وأكملت:

- إنت جميل قوي يا ماكس، وأنا بحبك قوي. وعمري ما حبيت الدنيا كده غير عشانك يا أغلى صديق.

ذهبت لمرآتها، وكأنها تكلم الناس عبر مرآتها:

- أنا مرايتي ماكس يا حزينة.. ياما كسرتيني وقهرتيني وقهرتي ناس غيري!

يا ريت كل الناس بتشوف بقلبها قبل عينيها زي ماكس، إلا كلهم عندهم عمى بصيرة وقلب. وأكملت بأنفة وعزة:

- أنا ياما عانيت ومع ذلك نجحت. أنا فعلًا ملكة وعندي تاج غير مرئي، تاج نجاحي ومعاركي، اللي هزمتها ولسه بحارب، تاج نجاحي وقلبي اللي أحن من أجمل الجميلات!

- يلا يا ماكس ننطلق. تعالى أمشِّيك شوية في الجنينة، وأنسى معاك الدنيا والناس..

لوعة

بقلم : نسرين سليمان

كانت ساحة المسجد مزدحمة بالناس. كثيرٌ همُ، ترى من أين جاءوا؟! وجوه مألوفة إلى حدٍّ كبيرٍ، ووجوه غريبة عليها. تدور عيناها في جميع النواحي تبحثان عنه! تتمنى أن تحضن عيناها عينيه، واصلت البحث بمقلتيها الحزينتين ولكنها لم تتمكن من العثور عليه.

كل العيون متجهة إليها مليئة بالحزن والدموع، والجميع قد أحاطوا بها من جميع الجهات.

هناك من يربِّت بحنانٍ على كتفيها، وهناك من يعانقها بشدة، وهناك من يتحدث كثيراً بكلام لا تسمع معظمه؛ فهي ملهية بالبحث عنه. عادت تدور وأنهار من الدموع تتجمع في مقلتيها!

ثم بدأ قلبها في الخفقان بقوة ويداها ترتعشان، وكأنها تمر على جبلٍ جليديٍّ! لقد وجدته، ها هو يقف في الزحام البعيد. اقتربت، وقد تجمدت الدماء في عروقها. اقتربت أكثر حتى تلقي بنفسها في أحضانه الدافئة وبين ذراعيه؛ لكي تشعر بالأمان والدفء حتى يذوب ذلك الصقيع في دمائها. اقتربت من ينبوع

حنانه الأبدي حتى ترتوي وتشعر بأنامله الرقيقة، تداعب خديها في حب فلطالما أشعرتها يداه الحانيتان بتدفق شديد من المشاعر، تنهمر في نهر الأمان الواسع.

بدأت تنادي عليه من بعيدٍ محاولةً الاقتراب منه أكثر.. ظلت تهتف، وتنادي باسمه، ولكن هيهات! فلقد ذهبت صيحاتها سدى في وسط هذا الزحام الغريب. من أين يأتي الجميع؟

تمنت لو أنهم اختفوا فجأةً من أمامها؛ حتى يسهل عليها الوصول إليه، أو حتى لكي يسمع صوتها تناديه، بعد مجاهدة غير يسيرة، تمكنت من الاقتراب منه أكثر، واستدار هو؛ ليصبح في مقابلتها، ولكنها صدمت، وفغرت فاها! لم يكن هو! لم يكن سوى عمها الذي يشبهه كثيراً. تسمرت في مكانها، ولم تستطع حبس دموعها أكثر من ذلك، وقد عادت تتذكر تفاصيل اليوم وكيف غادرها من غير رجعة؟ وكيف أحست هي بانكسارٍ جارفٍ، اجتاح بعنفٍ كلَّ خلجاتها؟! وكيف تركها ورحل في صمت بعيدًا عن عالم - مليء بآلام وأوجاع - لم يكن هو قادر على الاستمرار بين عبث طبيعته، ودونية انفعالاته! وتركت العنان لنفسها، فوصل صوت نحيبها لعمها، الذي قام باحتضانها يطمئنها، ويحاول تهدئتها.

لقد رحل والدها للأبد. أغمضت عينيها؛ مستشعرة دفء أحضان عمها الطيب.

نعم لقد رحل، تسابقت الأفكار والمشاعر مذكرة إياها، نعم لقد ودعته منذ قليل قبل الصلاة عليه! ودعته الوداع الأخير، وطبعت على جبينه وخديه الباردين الكثير من القبلات.

سوف تفتقده كثيراً. لا بل إن الافتقاد بالفعل بدأ يسري في قلبها. رفعت عينيها إلى عمها بحركة طفولية، وهي ما زالت متعلقة بيديه، ويحتضن هو بدوره كتفيها في حنان قائلة:

- رحل أبي، ورحلت معه ذكريات طفولتي..

رحل أبي، ورحل معه ذلك الصرح، الذي طالما أسندت عليه قامتي.

رحل من كنت أجتهد؛ حتى تكون ابتسامة الرضا على وجهه سعادتي.

رحل من كنت أركض اليه مهرولة؛ حتى أواري بين ضلوعه سوءتي.

رحلت نصائحه المفيدة الآن بغير رجعة؛ فأنا من الآن وصاعدًا بمفردي.

رحل بعد ما صمم، وبنى مثال الرجولة في مخيلتي.

رحل مؤسس الأمان، ينبوع الحنان، مصدر الارتكاز في عائلتي.

أجابها عمها في هدوءٍ محاولًا طمأنتها:

- حبيبتي.. لكنه سيبقى في وجداننا وقلوبنا، وستبقى سيرته العطرة، تنير دروبنا!

نظرت إليه بعينين دامعتين، ولا تزال محتفظة بآثار الحزن والبكاء الشديد قائلة:

- رحم الله أبي!

شغفتني حُبًا!

بقلم نسرين سليمان

اغرورقت عيناها بالدموع الصامتة، وهي تجلس في حيرة أمامه، بينما استلقى هو على كرسيه، ينفث دخان سيجارته الملعونة في غرورٍ. لا تصدق ما تسمعه منه، حدقت في وجهه الخمسيني وهي.. وجلة، وقلقة!

نعم إنه هو نفس الشخص، الذي طالما ألقى على مسامعها كلماته المعسولة المكذوبة. كان يذوب بها عشقًا، وينسج لها من جملَ الحب والغرام أشعارًا، ويبني من الأوهام بيوتًا!

هي أحبَّته وبشدة، ولكنها كانت تعلم أن مجتمعها سوف يلفظ ذلك الغرام الأسود! وأهلها سوف يرفضونه قطعًا؛ إنه يكبرها بأكثر من عشرين عامًا.

لو كانت تعلم أنه سيخذلها يومًا ما. لما خاضت تلك الحرب الضروس مع أسرتها كلما تقدَّم إلى خطبتها شابٌ يضاهيها عمرًا، حتى إنها خارت قواها تمامًا ذات مرة، ووافقت بعد إلحاحٍ شديدٍ من أمها على أن تتم خطبتها. (تعتقد أمها أنها ضربت كل الأرقام القياسية في عدد خطابها).

إنه شاب أسمر طويل القامة، وملامحه مصرية أصيلة محببة للنفس، سرعان ما أحبها وكيف لا يحبها؟! وهي جميلة رقيقة تأسر كل من يراها بطلتها الرائعة، وقوامها الممشوق، وجاذبيتها المعقدة.

لكنها صريحة مع نفسها، حاولت أن تبادله حبًا بحب ولم تستطع؛ فلقد كان قلبها معلقًا بحسام، ذلك الأحمق الجالس أمامها؛ ليخبرها بكل غرور وحزم أنه لا يستطيع الاستمرار، وأنه لن يكمل معها قصة الحب الحزين! وأنه يفضل أن يرقى بنفسه فوق تلك المشاعر، ويستمر في حياته الرتيبة التي رسمها منذ زمن بعيد مع زوجته وأولاده، فهم على حد تعبيره أولى به منها.

تساقطت العبرات الباردة على وجنتيها الورديتين، وهي تطبق شفتيها؛ علها تخفي ارتعاشتهما. وعلى الرغم من استقرار عينيها في عينيه، إلا أنها كانت تحاول جاهدة أن تزيل آثار التوسل العالقة بهما. كانت على حافة الانهيار لقد أحبته بكل خلجة من خلجات قلبها الملتاع. كانت على أتم الاستعداد أن تتخذه شريكًا لحياتها بالرغم من الفوراق الكثيرة، التي تقف حائلًا بينهما.

تنظر إليه وهو يتحدث، فيمر شريط ذكرياتها معه أمام عينيها..

كم توسل إليها! وكم رجاها! يشهد عليه ذلك الهاتف السهران الذي لم تستطع ساعات الليل الطويلة، ولا عمله الباكر في أحد المصــارف، - وهو مكان عملهما ومهد حبهما- منعه من أن يسمعها هذه الكلمات العذبة، وأن يلعب على أوتار مشاعرها. إنها تلك الموظفة الجديدة الصغيرة التي شاءت الأقدار، أن تعمل في أحد الأقسام، والتي كان يرأسه حينها حسام.

لا بُدَّ من أنه أحبها، وأصبح متيَّمًا بها في غضون شهورٍ، وإلا ما الذي أجبره على اختلاق حب كاذب، وهو له حياته ذات الروتينية العتيقة، حياة ناجحة

من جميع النواحي الحياتية والعملية. إذًا لا بُدَّ من أنه أحبها. وهكذا تقاذفتها الهواجس المريرة، ولم تدرِ هند كيف خدعها؟! وكيف نسج لها كل هذه الشباك الهينة؟! وكيف خُيِّل إليها أنها أصبحت تسكن قلبه وتملكت مشاعره..

وأخيراً نطقت كلمات متقطعة، وكأنها مغشيٌّ عليها:

- كما يحلو لك يا حسام. بدأت أنت العلاقة وها أنت تنهيها، تنهيها ضاربًا بحبي عرض الحائط، ولم يجل حتى بخاطرك ما سيسبب هذا من ألمٍ في صدري، ولكن لن أتوسل إليك كما توسلت أنت من قبل؛ حتى تستحوذ على حبي، ولن أركع ولن أذل لك أبدًا، فما بني على خطأ، لا بُدَّ من أن ينهار في النهاية، وها هي النهاية تخطها أنتَ بيدك بلا رحمة! لا أدري كيف طاوعت هوى نفسي واتبعتك بلا تفكير منِّي، كأنني مسلوبة الإرادة وشغفتني حبًا، وظلمت بذلك أشرف، وهو الذي أحبَّني دون انتظار أن أبادله تلك المشاعر الجميلة، فأنا أيضًا اعتزمت ألا أمضي في تلك العلاقة المشينة مهما كلفني الأمر، لن أجادل أو أزيد عما قلت؛ فلقد استجاب الله دعواتي لإنهاء هذا الهراء المسمى حبًا.

نهضت من مجلسها على الكرسي في مكتبه الفخم واتخذت طريقها في هدوءٍ إلى الباب، ثم لم تلبث أن توقفت فجأة واستدارت عائدة إليه، فمنحها ابتسامة ساخرة كأنما يقول لها ها أنت قد عدت لي مجددًا، ولم تستطيعي الابتعاد حتى للحظات! ولكنها فاجأته بابتسامة أكثر سخرية، وقالت في لهجة نجحت بشدة أن تجعلها قوية وعنيفة كالإعصار:

- سوف تصلك استقالتي بعد دقائق، فأنت تعلم جيدًا أنني لن أسمح لنفسي بأن أكون مرؤوستك بعد الآن.

وقبل أن يشرع حتى في الإجابة.. كانت هند قد مسحت بالفعل دموعها، وخرجت وأغلقت الباب خلفها بشدة، وكأنها تغلق معه قصة حبها الواهي، المحكوم عليه بالقتل على يدي حبيبها المزعوم!

سؤال

بقلم: شاهندة سعد

"هل تستطيع أن تحكي لي قليلاً عن طفولتك؟"

سألت هذا السؤال للعديد من الأشخاص الذين جاءوني لحل مشكلاتهم، وددت أن ألقي نظرة عامة عن حياتهم والبيئة التي نشأوا فيها؛ لأنه إذا كانت لديهم مشاكل وصعوبات في الوقت الحالي، فمصدرها قد يرجع إلى مرحلة الطفولة.

توفى والدي وأنا في الثالثة من العمر، لا أتذكر أن هذا الأمر كان يمثل أي صعوبة بالنسبة لي حينها، ولكن ما يمثل لي ذكرى مؤلمة حقًّا حينما اضطرت والدتي للعمل والتخلي عني لمعظم الوقت بسبب عملها. كنت عبئًا عليها ولم أكن أستطيع إدراك ذلك وقتها، لكن بمرور السنوات بدأت أحمل لها مشاعر الإعجاب والتقدير كلما أدركت كيف تحملت مسؤولية الأب والأم معًا، ولكن ذلك الإعجاب لم ينجح أبدًا في أن يبعد عن ذهني الإحساس بأنني لم أحصل على الرعاية والاهتمام الكافي منها.

ثم تزوجتْ والدتي، وأعتقد أنها لم تكن خطوة حكيمة منها، فزوجها كان

يتسم بالقسوة والهمجية، أغلب أيام طفولتي قضيتها والحياة في عيني موحشة وصورتي أمام نفسي مظلمة وأنا أشعر أن قليلاً من الحياة صواب وأنني لا أستحق الكثير.

مرت طفولتي وكأنها كابوس، وما زلتُ أذكر مواقف عديدة حدثت لي كان المحرك الرئيسي لها اعتقادي الراسخ أنني لا أستحق وأنني لست جديرة بشيء ولأن الحقيقة تقول إن الآخرين ما هُم إلا مرآة تعكس معتقدات المرء، كانت معظم الأحداث التي مرت بي فيما بعد والمعاملات التي تلقيتها من الناس على مدار الأعوام التالية تقودني دومًا إلى فكرة عدم الاستحقاق التي سيطرت عليَّ.

لقد أدركت الآن أن اعتقادي الراسخ أنني لا أستحق وأنني لست جديرة بشيءٍ هو ما جعلني في آخر الصف دائمًا في معظم مواقف حياتي.

بمرور الوقت، زاد لديَّ الشعور بعدم الاستحقاق بسبب تلك الحياة القاسية والعنف الذي رأيته في طفولتي، وما تعرضت له فيما بعد؛ إذ قابلت رجلاً لطيفًا في مقتبل شبابي وبعد أحد عشر عامًا من زواجنا، وفي الوقت الذي بدأت أصدق فيه أن الحياة السعيدة الهادئة يمكنها أن تستمر، فوجئت به يصرِّح لي برغبته في الزواج من أخرى.. حقًّا؟!

وفي لحظة سلبني إحساسي بالأمان والاستقرار!

قال لي أحد الأشخاص ذات مرة إنه قد يحدث شيءٌ صغيرٌ وسط الأزمة يؤدي إلى تغيير مجرى الحياة.

كانت هذه بداية بسيطة عزَّزَت لدي حِسَّ التأمل، قررت مواصلة حياتي وممارسة الأنشطة الاجتماعية التي من خلالها تمكنت من التعبير عن قدراتي وطاقتي الإبداعية..

كانت هذه الأنشطة ملاذًا جديدًا لي.

بعد ذلك في فترة ما، شعرت ببعض الآلام وتم تشخيص حالتي بالسرطان.

ولم يكن غريبًا بالنسبة لي؛ فما رأيته وتألمت منه في طفولتي من معاناة لا يفرق عنه كثيرًا.

ومثل أي شخصٍ آخر، شعرت بالرعب حينما عرفت بإصابتي، ولأول مرة في حياتي لا أريد الاستسلام ولا أريد أن تنتهي حياتي هكذا دون أن يكون لي أيُّ أثرٍ في تغيير مجرى حياتي.

بدأت القراءة والبحث والدراسة فيما يتعلق بالطرق غير التقليدية للشفاء من هذا المرض فكلمة "عضال" مرعبة حقًّا وتحمل على الإحساس بالفزع لكثير من الناس، لكنها بالنسبة لي تعني حالة خاصة لا يمكن علاجها أو التعامل معها فقط بالوسائل الخارجية، لا بُدَّ من إلقاء نظرة على العلاج بداخلنا. فإذا أجريت لي عملية جراحية للتخلص من السرطان ولم أتخلص من نمط التفكير الذي يؤدي بي إليه، فسيظهر ثانية في مكان آخر.

وساومت نفسي على معالجة نفسي بعد الجراحة دون اللجوء للكيماوي وتحملت مسؤولية ذلك وبحثت كثيرًا في الطرق البديلة لعلاج السرطان.

بدأت أتناول الأطعمة الصحية والمفيدة للجسم ومنذ ذلك الحين، تعلمت أيضًا أنه يجب عليَّ أن أحب نفسي وأرضى بها أكثر من ذي قبل، وأتخلى عن ظلم نفسي بنقدها وتعنيفها.

كذلك كان يجب عليَّ التخلص من الشعور بالاستياء والغضب الذي أحمله منذ طفولتي وأومن أن ما تعرضت له في حياتي ليس عذرًا لطريقة تعاملي مع

نفسي الآن. كأنني كنت أمنح الفرصة للورم السرطاني أن يُنهك جسدي لمجرد أنني أرفض التسامح ونسيان ما مضى ومرَّ عليه الزمان.

وبمساعدة متخصص جيد تمكنت من التعبير عن الغضب القديم الكامن بداخلي، ضربت الوسائد، صرخت بغيظٍ وبصَوتٍ عالٍ، نفَّذت كل الوسائل المتاحة للتنفيس عن ذلك الغضب.

بدأت أشعر بالراحة والهدوء إلى حد ما.

والآن يمكنني أن أتفهم الأمور وأنظر إليها بشيءٍ من الحكمة والوعي بل شعرت بالشفقة تجاه من آذوني وتوقفت عن إلقاء اللوم عليهم أو لوم نفسي.

واستعنت بخبير للتغذية حتى أتمكن من التخلص من السموم من آثار ما تناولته من أطعمة ملوثة وغير صحية على مدار السنوات السابقة.

وبالمثل فإن الأفكار الملوثة تتراكم وتسمم العقل.

كانت النتيجة والتشخيص الطبي الأخير يقولان إنني قد تخلصت حتى من آثار السرطان.

والآن تأكدت أن المرض يمكن أن يُعالَج.. فقط إذا كانت لدينا الرغبة الفعلية والنية في تغيير نمط تفكيرنا واعتقادنا وسلوكنا.

قررت تمرير خبراتي والعمل على مساعدة الغير في تخطي آلامهم.

وها أنا ذا أنظر إلى الماضي بكل حب لأتعلم من سابق تجاربي، فلا يوجد صواب وخطأ ولا مجال هنا للجيد والسيء، فأنا لا أحاكم الماضي وقد مضى وولى.

ليس لي غير تجارب الحاضر أعيشها..

وأنني أحب نفسي التي انتشلتني من وطأة الماضي وجعلتني حيث أنا.

أوراق وذكريات

بقلم: سحر الجميل أحمد

جرَّتني الرأفة إليها اليوم أو ربما رغبتي في اللقاء بها؛ فمنذ سبعةُ أيامٍ بلياليها وهي تلاحقني بنظراتها البراقة فكم هي ناصعة البياض، ساكنة في مكانها يعكس بياضها مرآة ذكرياتي، إلا إني كنت أحيد النظر عنها خوفًا من مواجهتها.

ربما اليوم أصابتني بسِحرٍ لا أدركه كي أذهب إليها، أو ربما أنا مَن قررت أن أتغلب على خوفي الذي يلازمني.. الخوف الذي يسلب منِّي كُلَّ لحظات السعادة؛ فلا تظهر على ملامحي ويبدلها فقط بعلامات القلق والتوتر وكأن السعادة فعلٌ فاضحٌ لا يجوز إظهاره فيكون محكوم عليه بـــالتستر والتخفي!

اقتربت من المكتب الذي توجد هي عليه واسترحت على الكرسي، أمسكت بقلمي الذي كان منذ زمن رفيقي وصديقي إلى أن افترقنا ولا أذكر متى كان ذلك الفراق، كل ما أذكره أنه كان عندما فقدت شيئًا ما بداخلي، ولم يعد للحياة معنى، أصبحت حياةً بائسةً ويائسةً لا جديد فيها بل لا حياة.

وضعت القلم عليها حينها أصابتني قشعريرة هزت أوصالي لتعلن عن إزاحة الخوف من المواجهة، بل الخوف من الآن والحاضر والمستقبل، وبالفعل فعلتها وعلمت أن طرد الخوف سهلٌ فقط هو في حاجة إلى قوة إرادة.

نظرت إليها وإذا بها أشد بياضًا ربما من شدة فرحها بأني أخيرًا استجبت لها، وكأنها تريد أن تخلصني من تلك الحياة الرتيبة، وتزيح عني الهموم التى لم أعد أعترف بها، بل تعايشت معها وكأنها هي الحياة، أي حياة! ربما كانت تريد أن تعيد إليَّ المشاعر والأحاسيس التي افتقدتها منذ زمنٍ وأصبحت مجردة من المشاعر بل من الإنسانية، ولم أحتفظ بشيء منها إلا بالخوف والخوف فقط.

هي ورقة ولكنها كانت لا تعلم أن مواجهة نفسي لا تستطيع هي وحدها تحمله، فقد أحتاج الكثير والكثير من الأوراق، أو ربما كانت تعلم ذلك جيدًا ولا يؤرقها في شيء إلا أن تعيد لي الحياة، أما قلمي فأخذ يتحرك عليها بسلاسة شديدة معلنًا عن سعادته بلقائنا بعد الفراق.

تداهمت الذكريات إلى رأسي صورةً تلو الأخرى، ذكريات الطفولة والتي كنت دائمًا ما أرفض الاعتراف بأني طفلةٌ، كنت أجالس الكبار وألعب مع الكبار وأتحدث أحاديثَ الكبار، وكأن الصغر ليس من شيم التمييز؛ فكثيرًا ما كنت أحب أن أتميز عن باقي أقراني، كنت لا أعلم أني سوف أكبر يومًا وأتمنى لو عدت صغيرة.

مررت بذكريات المراهقة والتي مرت دون أصدقاء حقيقين، جميعها صداقات عابرة لا تتعدى سور المدرسة بل وجدران الفصل، سعيدة بوحدتي أو هذا ما يشعرني بتمييزٍ عن الباقين الذين كن دائمًا في جماعاتٍ، وكنت كذلك أيضًا بتفوقي الدراسي، وكان ما كنت أحرص عليه.. الآن أنا وحيدة أنشد الأصدقاء ولا أجدهم.

وحيدة حتى عن نفسي التي لا أعلم متى افتقدتها؟ هل كان ذلك عند فقداني لأمي ومن بعدها بقليل أبي؟ أم إني افتقدتها عندما استسلمت ليأسي بعد رحيلهم وأدركت أن الحياة قد تستقيم بودنهم؟ ربما كانت كذلك ولكنني

لم أحاول؟ فقط كان عليَّ أن أحاول العيش والبحث عن معنى للحياة.

ما فعلته هو اللوم ورمي المسؤولية على الناس والظروف، الظروف التي حرمتني من أن أعيش كما أريد، ولكن ما الذى أريد؟!

لم أسأل نفسي يومًا قبل هذا ما الذي أريد؟ ومن أين يأتي السؤال وأنا دائمًا الضحية والمجني عليها؟

والآن وقد حان الوقت لأن أسأل نفسي هذا السؤال، هل حان أيضًا لكي أجيب عنه؟، هل حان الوقت لأعلم مَن أنا ولِمَ أنا؟، هل حان الوقت للتخلص من وحدتي التي دائمًا ما كانت تخشى عليَّ أمي منها؟، هل حان الوقت للبحث عن معنى لحياتي؟

ومع جريان أسئلتي أذَّن المؤذن لصلاة الفجر، نظرت حولي وجدت الكثير من الأوراق قد مُلئت، وشعرت بأن روحي وقلبي وعقلي يتعانقون للمرة الأولى، كما غمرني شعور بالراحة وأصابتني نفس القشعريرة التي حدثت فى بداية الليل مع إمساك القلم وهزت أوصالي من جديد، ولكنها في هذه المرة لم تَكُن نتيجة للخوف؟ وإنما الآن تعلن عن ولادة فجر يومٍ جديدٍ من رحم اليأس.

جرح الياسمين

بقلم : دانة الخياط

كانت فتاة رقيقة جذابة، تتكلم بصوت هادئ خفيض، وتتصرف أيضًا بهدوء ووداعة، تعرف طريقها في الحياة وأهدافها واضحة، فهي فتاة متوازنة، وكانت تعيش في علاقة حب مع أحد زملائها في الجامعة، وكان هو يبادلها حبًّا عنيفًا نابضًا، استمرت العلاقة سنتين، ثم انتهت بالفشل، حيث تركها حبيبها وتزوج فتاة أخرى نزولًا عند رغبة والدته.

انقلبت الفتاة فجأةً، لم تعد تطيق البقاء في بيتها لحظةً، وأصبحت تقتحم حياة زملائها وزميلاتها وتفرض نفسها عليهم، وتقضي أيامها بطريقة لا تحافظ فيها على سمعتها، كانت تعطي نفسها وبدون تردد للآخرين وكأنها تنتقم من الشخص الذي أحبَّته ومِن الدنيا بأسرها، كانت تظهر في الأماكن العامة بسبب وبغير سبب وكأنها تتحدى.. كانت تخرج عن هدوئها القديم خروجًا صاخبًا وكأنها تقول بقوة وعناد: لقد تخليت عن كل عاداتي القديمة التي كان يحبها الشخص الذي أحببته ويسعد بها!

لم تعد تعرف الهدوء، أصبحت كثيرة الكلام والإزعاج، تعلن مشاكلها للجميع بكل صراحة، كانت تدرك بينها وبين نفسها أن سلوكها غريبٌ وغير طبيعي،

ولكنها تتحاشى مواجهة نفسها، بل على العكس كانت تعلن أن حبيبها الذي تركها هو المسئول عن كل شيء، وتُردِّد: لقد تركني بعد أن أحببته، أنا لست مسئولةً عن أي شيء..

رأيتها في ساحة الجامعة ذات يوم وكانت على حافة الانهيار العصبي أو الجنون، كانت تفتقد إلى جاذبيتها المعهودة، وتحولت إلى وجه أصفر لا جاذبية فيه ،تحولت إلى وجه يحمل المرارة والألم في تعابيره.. لقد خسر الشاب الذي أحبَّته وردة أهداها لها في أحد الأيام، أما هي فكانت تخسر عمرًا.

وفجأة.. اختفت ياسمين ولم نعد نراها...

بحثتُ عنها في كل مكان، ولم أجدها، في الجامعة والطُّرقات ووجوه الناس، ولم أجد لها أيَّ أثرٍ، توجهت إلى سكن الطالبات الذي كانت تعيش فيه، فقيل لي بأنها حزمت أمتعتها وعادت إلى موطنها، هدأت نفسي بعض الشيء، فقد كنت أخشى أن أسوء من رحيلها، واستطعت الحصول على عنوان لمراسلتها، وكتبت لها أولى رسائلي:

عزيزتي ياسمين،

اختفاؤك المفاجئ أثار قلقي عليك، لا يهم مَن أنا، ما يهم الآن هو أنت، المهم هو ياسمين الفتاة الرقيقة الرائعة بأخلاقها وروحها وطموحها.

ياسمين..

ما مرَّ بك أمر طبيعي ومحتم على كل البشر، ومن غير الطبيعي أن لا يمر بأحد، ما مر بك مؤلم حقًا، ولكن.. لا يجب أن تتوقف الحياة عند هذا الحد، وليس من العيب أبدًا أن تتعرضي لهذا الموقف، بل العيب أن يكون فشلك في الحب بطاقة مرور إلى عالم الفوضى والاستهتار وتستمتعي بفشلك. من الخطأ

أن لا تعالجي المشكلة أو تفهميها أو حتى تتجاوزيها، من الخطأ أن لا ترسمي لنفسك خطة تسيري عليها لتعيدي لنفسك التوازن بعد الأزمة. وتبدئي من جديد. لا تفقدي إرادتك أمام الفشل، ولا تسمحي للجانب الساحر من الفشل أن يسيطر عليك.

ياسمين..

يجب أن تعودي ياسمين التي عرفناها وأحببناها، عودي يا زهر الياسمين الندي، عودي برائحتك المنعشة التي كانت تعبق في كل مكان.

وكان ردها بأنها تعيش بلا أحلام، وأنها تشعر بأن عمرها قد زاد أضعافًا، فالشباب في مثل عمرها يعيشون بالأحلام، الكل يحلم وأحلامهم فيها لون الضوء ورائحة الزهر، وفي النهاية ترسم لهم لوحة جميلة لحياة جميلة، أما هي فلا أحلام لها، فهي لا ترى أمامها غير اللون الأسود، الظلمة والكآبة، صورة لفتاة أحبت بإخلاص ووفاء، والجزاء كان الاستهتار بمشاعرها، لا ترى غير رجال بلا رجولة بلا قلب بلا إحساس، لا ترى رجولة ذات معنى وكلمة وعهد، لا ترى غير المرارة، لا تشعر بغير الهزيمة. وهي الآن تشكل من نفسها قوقعة تعيش بداخلها صامتة وحيدة حزينة على الحياة التي فقدت قيمها ومعانيها، ولا تريد أكثر من ذلك..

رددت عليها بحسم ورغبة صادقة في إنقاذها، وقلت:

عزيزتي ياسمين..

لا تصنعي من فشلك في الحب قصيدة جميلة تتغنين بها بينك وبين نفسك، لم لا تفكرين بمشروع جديد كالتفوق في دراستك التي قطعتها، أو أي مشروع آخر يعيد تكوين شخصيتك، لماذا تقتاتين على الأحزان وتشربين من دموعها؟

إن الحياة لا تعطي سرها وسعادتها بسهولة، وعلى الإنسان أن ينظر إلى حياته على أنها مشروع، يجب أن يعمل على تحقيقه وتنفيذه، أن يضيف كل يومٍ شيئًا جديدًا إلى حياته، أن يقرأ صفحة مفيدة، أن يقول كلمة طيبة، أن يراقب نفسه ويسألها: إلى أي حدٍّ أنا نافع للحياة.

الفشل ليس نهاية للحياة، بل هو تجربة مفيدة يجب أن نخرج منها بنتيجة لنصل بتجاربنا الجديدة إلى شاطئ النجاح.

ياسمين..

إن لذة الفشل لذة خطرة، تؤدي في النهاية إلى هدم الحياة بقسوة ومرارة، فلا تضعي يدك على خدك وتنتظري أن تتغير الحياة بقفزة مفاجئة، فالحياة لا تتغير.. إنما نحن من يجب علينا تغيير أنفسنا ومواكبة الحياة بأفكارنا.

وتوالت الأيام.. وتوالت الرسائل..

كانت ياسمين تنتظر هذه الرسائل، وتجد فيها مسكِّنًا قاتلًا لآلامها، ودافعًا لها لمواجهة الحياة بعد أن فقدت الثقة بكل ما يحيط بها، وبنفسها أيضًا.

أما أنا.. فكنت أعلم أنها كانت بحاجة إلى شخص يحتويها ويساندها، حب صادق، ثقة، أمان، مضمد لجراحها. وكنت أحبها منذ زمنٍ بعيدٍ، إلا أنني لم أكن قادرًا على مصارحتها.

أنهت ياسمين دراستها الجامعية، وعادت إليها حيويتها ونشاطها، عادت زهرة ندية تعبق رائحتها العطرة في كل الأرجاء، عادت ضحكتها الصافية، عادت ثقتها بنفسها وبالحياة. صقلها الألم فأصبحت أكثر حكمة وتوازن، أكثر واقعية وأملاً، وظننت أنها ستنساني.

وفي يوم.. وبينما أنا أجلس خلف مكتبي منهمكًا في عملي، وإذا بياسمين تقف أمامي، كانت عيناها تعبران عن كل ما يجول بخاطرها دون أن تنطق بحرفٍ واحدٍ، يومها أيقنت بأن الطيب لا بُدَّ أن يلتقي يومًا بطيب مثله، وهذه عدالة الحياة..

For Lamel's Sake
(A work of fiction)

By: Hashem ElAssad

I'm Eskator. I come from a village called Feyatos. The village besides us is Malego. They are the worst creatures that walked on this earth. Any atrocities you can think of، they did to us: Stole our land; raped women and girls; murdered people by the thousands. My sister Lamel was killed and mutilated by them in front of my eyes. She was only 5 years old. How cruel can cruel be? I was eight years old then. I did not cry. I did not wail. Instead، I boiled from the inside. All of my sadness was sublimated into anger. I was furious; all the time. Every night، I would go to bed with fire burning in my chest; the face of Lamel's face the night she was murdered haunting me. As I grew up، all of this wrath was channeled in a very systematic pragmatic way.

While my peers were busy playing soccer or dreaming about becoming doctors or engineers، I had one overwhelming goal in mind: to spill as much Malegian blood as possible. So I joined the para-military Ifsay pretty early on. And I practiced، practiced and practiced. Their training was very intense. I stood out even though I was very young. While my peers were exhausted by the end of training، I wanted to run more، shoot more، and fight more. I didn't feel like taking a break. You see: the hate I felt towards Malego was unreal. It gave me a tremendous amount of energy and focus. Very little of that energy was squandered on depression. It was fury through and through. In a bizarre way، I hated Malego more than I loved my sister Lamel.

Aside from my stamina، I became famous for my shooting skills. Thirty years pass and I became the single most important sniper in Ifsay. I successfully assassinated 52 Malego men. I was the pride of Feyatos. After every successful hit، I would go to the dead body and leave a note on it. It said "For the sake of Lamel". The feeling that I had when shooting was، strangely enough، amazing. The sound of the bullet was sweeter than music. The rush of adrenaline I felt while focusing on the target was more enjoyable than soccer. Every time I left the note، I felt relief like I finally paid a debt. Every step I took was dedicated to my sweet Lamel.

ليان للنشر ولتوزيع

On May 20th 1980، I had a very important target to take out. Regis Vynalok. He was the most important chieftain in Malego. Killing him would be a severe blow to the village. I hid in a deserted house in front of his home and I waited for him to get out. He finally did. That was my big moment. I took a deep breath. As I was about to pull the trigger، something unexpected happened. His daughter, maybe 6 years old, caught up with him and he held her between his arms. I stopped. “Oh come on. Not now!” I whispered. It was apparent from their body language that she was kissing him goodbye. I thought I could wait a minute or two. A thousand ideas rushed through my mind for those few seconds. “Those bastards killed Lamel. Why shouldn’t I kill their little girl? Let them feel the pain I felt.” I never killed a child before. I found myself moving the target from her father’s head to the girl’s head. It’s as if another power was controlling me. Then، for the first time، I could clearly see her face. She was looking in my direction.

The surprise I got hit me like a brick of stone. In a very eerie way، she looked extremely similar to Lamel: The same freckles، the same long black wavy hair، and the same wide innocent smile. The whole scene was surreal. It teleported me to the night Lamel died 3 decades ago. I could now see Lamel’s terrified face. I could see the murderers as well. Only this time، I was one of

them. A very disturbing realization: I turned into the monster that I dedicated my life to destroy. I felt sick to my stomach. I won't do it. I held down my weapon. As I was waiting for her to go away، another disturbing thought crept. What will happen to this family after I kill that man. I never felt like that before but I felt sorry for them. I even felt sorry for the father. My heart sank. As a proud Feyatosian، I should never feel any positive feeling towards Malegonians. But I did. And I could not deceive myself otherwise. It wrenched my heart. Now, I didn't want the girl to leave at all. She finally did leave. 5 seconds went by. I focused again on his head. He was on his way to his car. I had about 30 seconds to get the job done. I tried to force these new feelings out of my head "This is Malegon: The village that killed and raped your people". Then a thought occurred to me. It was a very obvious one that I should have had a long time ago. But for some reason، it took 30 years to arrive. "So did we! So did we! So did we!" I felt like someone had plunged a dagger into my chest. I tried to fight it "Eskator! But they killed way more than you did! Their massacres are much bigger than our massacres!" That thought teleported me again to the past. But this time، it was to the times when I fought with my brother and mom came to settle the issue. He would always say "His punch was a lot stronger than my punch". That moment was comical and tragic at the

same time; hilarious and disastrous at once; simultaneously glorious and pitiful. It opened the floodgates. I felt childish. I felt that all this time of seeking revenge was shamefully similar to the petty fights I had with my brother. And the rationalizations we created to allow ourselves to sleep at night after killing people were unmistakably similar to the ridiculous excuses my brother and I told our mom when we fought. I wanted to silence these thoughts. There was little time left. So I did what I had to do. I went to leave him my note. But this time I gave it to him in his hand. It read "For Lamel's sake and for Lamel's lookalike sake". I hugged him. He looked at me with his mouth wide open. And for the first time in thirty years، I cried mourning Lamel.

الفهرس

السماء تُمطر الحلوى!.................................... 7
جنة حلويات الشام.................................... 10
مسافر.................................... 13
دماء بالدور الثاني!.................................... 15
رسائل مكتومة!.................................... 20
جينز م ق ط ع.................................... 24
حورية 27
صولو.................................... 35
غُربَة صباحِيَّة.................................... 40
سوارٌ من العشق.. أنا 43
المحظوظون 69
سر الحياة.................................... 75
لأجلك ريحانة!.................................... 78
عين الأفعى!.................................... 82
نابليون وسط البلد!.................................... 87
الأجنحة القرمزية.................................... 91
رسالة من البعد الرابع.................................... 93
خواطرُ ميِّتٍ 96

القادم أجمل.. 99
انصهار.. 108
التَّرِكة 111
أهالي القاهرة الكرام.. 114
أقل الخسائر 120
أبي أشواق مستعرة 130
العلمين الجديدة 133
إنني أحبك.. 145
نمول ونمولة: جـ2.. 152
الأسير 160
الأصل إنسان.. 165
حدوتة... 171
رسالة من مقبرة الزمن 174
مقام سيدنا الولي 177
وجهي العملة.. 182
الحب الأول 187
الواحدة بجنيه... 190
كأمواج البحر 192
كان لدي الكثير... 195
القطار 197
أنامل.. 200
الصندوق.. 206
أين اسم القصة؟.. 209
أعرج على قارعة الطريق.. 212

حُلمٌ وأملٌ 219
قد تغرق! 223
إشارة مرور 226
البقاء 230
عودة 234
الحادثة 237
نجلاء تحلم بالجنة! 241
جبار الحارة! 248
ستي حميدة! 251
عم محمد شعبان 254
جلبة 257
صورة معاطي 261
أم الجدايل 264
بائع الورد 266
التاج الخفى 270
لوعة 274
شغفتنى حُبًا! 277
سؤال 281
أوراق وذكريات 285
جرح الياسمين 288
For Lamel's Sake 293

المعتكف الكتابي

بدأت فكرة المُعتكف الكتابي بمبادرة من الروائية هدى أنور لدعم الكُتاب اللذين يملكون موهبة الكتابة ويواجهون الكثير من التحديات والعقبات فى طريقهم لإذكاء موهبتهم وتحويلها إلى أعمال أدبية تُثرى الأدب العربي.

وإيمانا منها بأن تحديات الكاتب والفنان في أغلبها تحديات نفسية، كالسدّة الكتابية(التوقف عن الكتابة) أو عدم القدرة على التعبير أو عدم الثقة في جودة أعمالهم إلى آخره من العقبات النفسية التي قد تؤدي إلى وأد الموهبة الكتابية وضياعها، وإيماناً أيضا من الروائية هدى أنور أن العالم الأدبى يحتاج إلى مزيد من الأدباء اللذين يمتلكون الشغف والموهبة فقد قررت أن تأخذ على عاتقها، بالعمل مع فريق من المتخصصين، مهمة صناعة أدباء وأدب جاد يتناول مشكلات وقضايا المجتمع المصرى والعربى فى إطار أدبى متميز.

المعتكف الكتابى هو عطلة كتابية خارج العالم الصاخب، عطلة يعود منها الكاتب وقد تخطى كل التحديات والمشكلات التى تقف عائقاً فى طريقه لإنتاج أعمال أدبية ثرية، وبعد العودة ينضم الكاتب لأسرة المُعتكف الكتابى التى تضم جميع أفراد المعتكف تحت مظلة واحدة، وتستمر رحلة الدعم حتى نشر أول أعمالهم الأدبية.

بدأت أولى دورات المعتكف الكتابي في مارس ٢٠١٧ في دهشور، مرورًا بنبع الحمراء، وحتى دورته الخامسة في ديسمبر ٢٠١٧، وتتواصل دورات المعتكف الكتابي لتبدأ في عام ٢٠١٨ فى دهب جنوب سيناء، ثم الفيوم، ثم نبع الحمراء وغيرها، حتى وصل للمعتكف العاشر ونجح في تجسيد أحلام أكثر من 20 كاتبًا أضافوا للوسط الأدبي 20 عملاً أدبيًّا مميزًا، ما بين الروايات والمجموعات القصصية، علاوةً على 3 كتبًا جماعية أفرزت لنا أكثر من 80 كاتبًا فى مختلف ألوان الكتابة.. مع المعتكف ثق سيرى حُلمك النورَ.

للتعرف أكثر على تجربة المعتكف الكتابي والتواصل والاشتراك معنا يرجى زيارة صفحتنا:

https: / /m.facebook.com /profile.php?id=148040759866883 2&ref =content_filter

المُعتكف الكِتابي – هُدى أنور The Writing Retreat Egypt